

رسالة الخفان

بين التاميم والصريح

دكتور

فوزي محمد أمين

لكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش بولس - الإسكندرية

ت : ٤٨٣٠١٦٣

اهداءات ٢٠٠٢

أد/مستطفي الساوي الجويني

الاسكندرية

رسالة الخفان

بين التاميم والتصريح

دكتور
فوزي محمد الشين

لكية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية
٤٠ بن سويف - إسكندرية
٤٨٣-١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وَكَذَلِكَ يَجْئِبُكَ
رَبُّكَ وَيُعِظُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ الْإِبْرَاهِيمَ وَاسْحَقُ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

صدق الله العظيم

تقديم

ليس هناك خلاف على أن « رسالة الغفران » من أهم آثار أئى العلاء وأغناها ، رأى فيها القدماء دليلاً على تمكن أئى العلاء من الأدب واطلاعه فقال الصفدى فى الغيث المعجم : « ومن وقف على كلام أئى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين للنمر بن تولب :

أَلَمْ بصحبتى وهم هجوعٌ خيالٌ طارق من أم حصن
لها ما تشهى غسل مُصَفًى متى شاءت وخُوَازى بسمن

وكيف غير القوافى منها ، وتزّلها على سائر حروف المعجم — خلا حرف الطاء — علم تمكن أئى العلاء من الأدب واطلاعه «^(١) حتى أولئك الذين تحاملوا على أئى العلاء ، ورموه بسوء المعتقد ، ورأوا فيما صوره من رحلة الغفران مزدكة . واستخفافاً ، لم يكتموا إعجابهم بما ترمى إليه من مقدرة أئى العلاء الأدبية . يقول الذهبى وهو واحد من أولئك المتحاملين :

« له (رسالة الغفران) فى مجلد ، قد احتوت على مزدكة واستخفاف وفيها أدب كثير »^(٢) .

★ ★ ★

وفى العصر الحديث شغلت رسالة الغفران دارسين من الشرق والغرب ، وتباينت زوايا النظر ، وسبل المعالجة ، فبينما شغل فريق بالبناء الفنى وراح يتلمس ما فيه من تفرد أو قصور ، شغل فريق آخر بما حوته الرسالة من آراء نقدية ولغوية كانت — فى نظرهم — جديرة بالدرس .

(١) تعريف القدماء بأئى العلاء ص ٤٨٥ .

(٢) تعريف القدماء بأئى العلاء ص ١٨٩ .

وفي مقدمة الفريق الأول يأتي الدكتور طه حسين حيث تحدث عن رسالة الغفران في بحثه الذي قدمه إلى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ ، فلفت إلى ما فيها من سخرية خفية غير أنه رأى أن أبا العلاء لم يخترع في رسالته شيئاً كثيراً ، وأنه أخطأ مواضع من الخيال كان حقه ألا يخطئها ، وأوقع الخلاف والمهاترة بين أهل الجنة^(١) .

ثم جاءت الدكتورة عائشة عبد الرحمن — وكان لها الفضل في إخراج نص الغفران محققاً — فكتبت دراسة نقدية حول غفران أبي العلاء، ونهت أيضاً إلى ما في الغفران من سخرية لاذعة ، وراحت تتلمس وشائج بين رحلة الغفران وشخصية أبي العلاء وكأن الغفران تعريض خيالي فيه الحركة والانطلاق واللذائذ والمتع ، وفيه قبل كل ذلك البصر، وكل أولئك حرم منه أبو العلاء في حياته . خرجت الطبعة الأولى من هذه الدراسة في سنة ١٩٥٤ م ، وفي سنة ١٩٧٢ م قدمت الدكتورة عائشة دراسة أخرى تحت عنوان « جديد في رسالة الغفران » رأت فيها أن الغفران محاولة مسرحية رائدة في الأدب العربي تصحح ما شاع من حدائث عهدنا بالأدب المسرحي ، وعلى هذا فقد قدمت نص الغفران بمسرحاً قام فيه الحوار مقام السرد والحكاية^(٢) .

هذا في الشرق ، أما في الغرب فقد راح الدارسون يلتمسون أثر غفران أبي العلاء في إبداعات أدبائهم ، ولعل أبرز دراسة في هذا المجال هي دراسة المستشرق الأسباني « القس ميغيل أسيد بلاثيوس » الذي رأى تأثير دانتى بأبي العلاء ، وأن كوميديا دانتى الإلهية اعتمدت على أصول إسلامية من بينها الغفران .

وقد لقي رأى بلاثيوس رواجاً لدى دارسي الغرب ، وكان حجة ردها دارسو العرب في مجال فضل الأدب العربي وسبقه ، وكانوا في ذلك على حق .

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء ص ٢٢٠ وما بعدها .

أما الفريق الثاني الذى شغل بما حوته رسالة الغفران من آراء نقدية ولغوية فأتى فى مقدمته الدكتور أمجد الطرابلسى ودراسته « النقد واللغة فى رسالة الغفران » وهى محاضرات ألقاها على طلابه فى المدة من سنة ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ . وواضح منحنى هذه الدراسة من العنوان الذى وضع لها ، غير أن ما يهمنا هنا هو أن نسجل ما زعمه الدكتور أمجد الطرابلسى من أن جوهر رسالة الغفران ليس إلا هذه القضايا النقدية واللغوية ، وأن أبا العلاء لم يقصد من البناء الفنى إلا أن يكون مجرد إطار تعرض من خلاله هذه القضايا ، يقول الدكتور أمجد .

« قد لا يتعد أحدنا عن الصواب إذا قلب النظرية رأساً على عقب ، مفترضاً أن أبا العلاء إنما قصد فى (رسالة الغفران) إلى كتابة رسالة جوابية فى النقد اللغوى والأدبى ، وفى الكلام على الزندقة والزنادقة ، أما الأسلوب القصصى التكميى الذى لجأ إليه ، والإطار السماوى الهزلى الساحر الذى ابتكره لقصته ، فهما بالنسبة إلينا من الأشياء الجميلة الرائعة ، ولكنهما قد لا يكونان فى نظر المعرى سوى أمور تتصل بالشكل والإطار دون أن تغير من جوهر الموضوع شيئاً . ولا نحسب أن المعرى ومعاصريه والذين جاعوا بعده قبل عصرنا قد استشفوا غير هذا وراء رسالة الغفران » (١) .

* * *

وتضاف إلى هذه الدراسات شذرات وردت هنا وهناك ، فى ثنايا دراسات أوسع كالذى كتبه الدكتور شوقي ضيف فى « عصر النول والإمارات » ، والذى كتبه الدكتور محمد زغلول سلام فى « الأدب فى مصر الفاطمية » (٢) .

* * *

(١) النقد واللغة فى رسالة الغفران ط الجامعة السورية ص ٦ .

(٢) قد لا تعنيا هنا الدراسات اللغوية البحتة التى قامت حول نص الغفران مثل دراسة الدكتور حنى حبيب المحفوظة بجامعة الإسكندرية ، ودراسة الدكتور فاضة نجاشى . فهذا حقيل آخر من حقول دراسة له اهتماماته وقضاياها .

وإذا كان لنا من تعقيب على كل هذه الدراسات ، فهو أنها وقفت عند ظاهر نص الغفران ، ولم تغتنم إلى الدلالة الباطنة وراءه ، وإلى ما اصططنه أبو العلاء في غفرانه من أساليب التلويح والتعريض والإيحاء بحيث يبدو النص الظاهر مجرد « تورية » واسعة لنص آخر باطنى .

* * *

وإذا كنا في هذا البحث نقدم قراءة جديدة للنص ، تكشف بعض حجه ، وتزيح ألواناً من سدوله الكثيفة، فإن ذلك لم يتح لنا إلا بعد أن وضعنا نص الغفران في سياقه الصحيح كما نعتقد .

ودوافع كتابة النص أو مناسبتة تألى في مقدمة هذا السياق ، وكانت جوانب منها ما تزال خافية ، منها طبيعة علاقة كل من أبى العلاء وابن القارح بالوزير المغربي وآله، وقد حاولنا استجلاء هذه العلاقة فكانت ضوءاً كاشفاً فسر لنا كثيراً مما ران على النص من غموص .

على أن فهمنا للسياق لم يقف عند هذه الدوافع وإنما تعداها إلى عصر أبى العلاء ، وما سيطر عليه من ذوق أدبى تمثل في جنوح الأدباء إلى ألوان من التعمية والإلفاز ، واستخدامات للغة تعطى مستويات عدة من الدلالة فيها الظاهر، وفيها الباطن، وحسبك في تفسير ذلك أن أبى العلاء عاش في عصر بلغ فيه المد الشيعى أقصاه ، فكانت دولة الفاطميين في أوج ازدهارها ، وكان اعتقادهم في الظاهر والباطن يشغل العقول ، وكانت تأويلاتهم الباطنية لأمر المعتمد ، ولآى القرآن حديث الناس .

وانعكس أثر ذلك على الأدب ففتنن الأدباء في اللعب على مستويات الدلالة المتعددة ، واصطنعوا ما عرفناه عنهم بالملاحن؛ وهو أن يكون القول له ظاهر وله باطن ، وقد برع في ذلك ابن فارس وابن

دريد ، هذا عدا أساليب الإلغاز ، والتورية ، والتعمية ، والتعريض .
وحسبك أن ترى النقاد في هذا العصر لا يقتنعون بظاهر من
القول ، وإنما هم دائماً في رحلة البحث عن الباطن ، يمدح المتنبي
كافوراً الإخشيدى فينبى غير واحد للبحث عما يبطنه هذا المدح
الظاهر من هجاء ...

وحتى في الحوار العادى راح أهل الأدب يتلاعبون بمستويات
الدلالة للفظ ، يسأل صاحب بن عباد أبا حيان التوحيدى .

— أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف ؟

فيرد أبو حيان .

— إن شاء مولانا لا ينصرف .

وظاهر الأمر حوار فى مسألة من مسائل النحو ، لكن الباطن
تعريض من صاحب بثقل أى حيان ، وفطنة من أى حيان لمقصد
الصاحب .

ويأتى بعد ذلك من عناصر السياق عنصر آخر ذلك هو فن أى
العلاء الأديب ، فما ينبغى أبدأ أن نعزل نص الغفران ونفرده عن سائر
ما كتب أبو العلاء وما نظم ، فأسلوب الرجل كل لا يتجزأ ، وقد
رأينا أبا العلاء شغف بما شغف به عصره ، بل تفوق على كل أدباء
العصر فى اللعب بمستويات الدلالة ، نرى ذلك فى لزومياته ، وفى
رسائله ، وقد حدثنا هو عن بعض ذلك فى كتابه « زجر التابع » .

وأخيراً يأتى سياق النص ، وينبغى أن نضع فى الحسبان أنه وحدة
واحدة ، وأنه يفسر بعضه بعضاً كما قال القدماء . ونحن وإن كنا لم
نتحدث عن الفن الأدى فى عصر أى العلاء ، أو عن أسلوب أى العلاء
فى الفصل الذى أفردناه للسياق فسيلحظ القارى حين يمضى مع
البحث أن كل ذلك لم يغيب عنا .

ونعني — بعد ذلك — أن هذه القراءة قد تثير ألواناً من الجذب غير
أننا نعتقد أنها تقدم النص في أقرب صورة لما قصده منه أبو العلاء .
وهذه القراءة قد تقدم تفسيراً لبعض ما لا يحظه دارسو الغفران من
ملاحظات ظلت مفتقدة للتعليل ، غير أنها في ذات الوقت قد تدفع
عديداً من الدارسين لمراجعة أحكامهم ، وإعادة حساباتهم .
وحسبنا بعد ذلك صدق النوايا ، والله من وراء القصد ،،

الفصل الأول

سياق النص

معروف أن « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري رد على رسالة وردت إليه من الأديب الحلبي « ابن القارح » وهو علي بن منصور بن طالب الملقب بدوخلة ، قال عنه من شاهده ببغداد : كان شيخاً من شيوخ الأدب « راوية للأخبار ، وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، قوماً بالنحو »^(١) ، وقد درس ابن القارح على شيوخ اللغة في الشام وبغداد ، وتكسب بالتعليم في الشام ومصر^(٢) .

وواضح من رسالة ابن القارح أنه كتبها إلى « أبي العلاء » دون سابق صلة بينهما ، وأنها كانت الرسالة الأولى ، ولم نعرف أن ابن القارح أعقب هذه الرسالة بأخرى ، ومن ثم فهي الرسالة الأولى والأخيرة .

ويذكر « ابن القارح » من مناسبة هذه الرسالة أن واحداً من كتاب « نصر الدولة » صاحب « ميافارقين » و « ديار بكر » حمله رسالة إلى أبي العلاء فسرقت ، فكتب هذه الرسالة يشكو إلى أبي العلاء أموره ، ويث شقوره على حد قوله^(٣) .

المفروض — وهذه مناسبة الرسالة — أن تكون اعتذاراً عن ضياع الأمانة التي لم يستطع « ابن القارح » لها حملاً ، وبها إيفاء ، ولكن العجيب أننا نرى « ابن القارح » يتسلل إلى أمور الزنادقة والمتزندقين ، فيذكر أخبارهم ، ويفتد نحلهم ومعتقداتهم ، ويقول في ثنايا حديثه عن بعضهم :

« ولكني أعتاظ على الزنادقة والملحددين الذين يتلاعبون بالدين ،

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٣ .

(٢) انظر معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٣ ، ورسالة الغفران ص ٥٦ .

(٣) انظر رسالة الغفران ص ٢٦ .

ويرومون إدخال الشُّبّه والشكوك على المسلمين ، ويستعذبون القدر في نبوة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتظرفون ويتدلّون إعجاباً بهذا المذهب ^(١) .

وهكذا يتضح مقصد « ابن القارح » ، إنه التعريض « بأبي العلاء » ، والغمز في معتقده ، وأبو العلاء إذ ذاك مستهدف لمثل هذه الألوان من التعريض بما أثارته أشعاره ، وكتابات ، والتزامه بمسلك غريب في الحياة ، وإلا فما شأن أبي العلاء بالزنادقة يحشد لهم ابن القارح في رسالته ، ويكرر على سمعه أخبارهم ، لولم يكن يعرض به ، ويعده واحداً منهم .

ويعضى ابن القارح في رسالته ، فيظهر ورعاً وتنسكاً ، ويعلم إقلاعه عن الخمر ، وتوبته عما فرط منه في حياته اللاهية التي قضاه في مصر ، يبرج نفسه في الأغراض البهيمية ، والأغراض الوثنية كما ذكر ^(٢) ، وهو في تضاعيف ذلك يقص على أبي العلاء خبر حججه الخمس ^(٣) .

ولعل ابن القارح قد استهواه موقف الواعظ ، فأخذ يوجه حديثاً يعني به أبا العلاء وإن ادعى أنه يخاطب به نفسه من مثل قوله :

« لقد أمهلكم حتى كأنه أهلككم ، أما تستحيون من طول ما لا تستحيون » ^(٤) .

ويتطرق إلى ذكر من أعجله الموت عن التوبة ، فيحكى خبر « فاذوه » ذلك الرجل البغدادي ، الذي كان لا يتورع عن ركوب

(١) رسالة الفطران ص ٣٠

(٢) رسالة الفطران ص ٦٣

(٣) رسالة الفطران ص ٥٨

(٤) رسالة الفطران ص ٥٣

مخزية ، وحينما كان يدعو الناس إلى التوبة يقول لهم : « يا قوم لم تدخلون بيني وبين مولاي ، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » ، وكان أن عاجله الأجل قبل التوبة ، وسقط على رأسه مهراس فهرس^(١) .

ومعزى خير « فاذوه » واضح ، فهو حث لأبى العلاء أن يسبق إلى التوبة قبل أن يبادره الأجل .

وعلى هذا أيضاً نعمل ما أورده من خير فرعون ، وكيف خشى « جبريل » أن يسبق إلى التوبة ، فأخذ قطعة من جال البحر فضرب بها وجهه^(٢) .

ويتطرق إلى الجفوة بينه وبين « الوزير المغربى » ، وكأنه يوضح لأبى العلاء سر هجائه لهذا الوزير ، هذا الهجاء الذى عرف عنه ، وشهره ، حتى إن أبأ العلاء قال حينما ورد ذكر ابن القارح فى مجلسه : « أعرفه خيراً ، هو الذى هجا أبأ القاسم بن على بن الحسين المغربى »^(٣) .

وبداية يذكر ابن القارح فضل آل المغربى عليه ، وبخاصة أبى الحسن المغربى والد أبى القاسم ، حيث كان يختلف إليه فى حلب يتلقى عنه العلم ، ثم ما كان من أمر أبى الحسن معه حين استقدمه إلى القاهرة ، وألزمه أن يلزمه لزوم الظل ، وجعله منه مكان المثل فى كثرة الإنصاف والحنو .

ويصف — بعد ذلك — طموح أبى القاسم « الوزير المغربى » ،

(١) رسالة الغفران ص ٥٥ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٥٥ .

هذا الطموح الذى أخاف والد الوزير ، وكثيراً ما بثه مخاوفه من طموح ولده .

ويمضى ابن القارح فى ثلب الوزير المغربى غير متعفف ، وغير مراعى لحرمة ميت صار أمره خالقه فيقول :

كان جنونه مجنوناً ، وأصح منه مجنون ، وأجن منه لا يكون »
ويقول :

« وكان (أبو القاسم) ملولاً ، والملول ربما مل الملل ، وكان لا يَمَلُّ أن يَمَلَّ ، ويحقد حقد من لا تلين كبده » .

ويقول :

« وبفضى له — شهد الله — حياً وميتاً ، أوجبه أخذه محارب الكعبة ، الذهب والفضة ، وضربها دنائير ودراهم ، وسماها الكعبة ، وأنهت العرب الرملة ، وخرَّب بغداد ، وكم من دم سفك ، وحريم انتهك ، وحررة أرمل ، وصبي أيتم »^(١) .

حديث ينضح مرارة وحقدًا ... فمن هو الوزير المغربى هذا ؟ وماذا كان يربطه بأبن القارح وبأبن البلاء حتى يشغل الحديث عنه كل هذا الحيز من رسالة ابن القارح ؟ ...

ربما يحسن أن نستطرد استطراداً قصيراً نتعرف فيه إلى هذه الشخصية .

(١) انظر رسالة الفران ص ٥٧ وما بعدها .

الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد المغربي ينتمي إلى أسرة مشرقية يرتفع نسبها إلى الملك بهرام جور ، ونسبة هذه الأسرة للمغرب ليست نسبة إلى الوطن ، وإنما هي لأن واحداً منها كان يتولى ما يعرف بديوان المغرب في بغداد^(١) .

وكان الجلد الأعلى لهذه الأسرة على بن محمد يعيش في « البصرة » إلى أن قام آل البريدي بثورتهم سنة ٣٢٤ فسيطروا على البصرة ، وانتقل « علي » إلى بغداد ، وفيها رزق بابنه « الحسين » الذي تقلد أعمالاً متنوعة في بغداد ، ثم رحل إلى حلب فالتحق ببلاط سيف الدولة الحمداني كاتباً ، وما لبث أن أصبحت له مكانة بارزة حتى مدحه الشعراء الذين كانوا يتوافدون على البلاط الحمداني .

ويخلف « أبو الحسن علي » — وهو والد الوزير المغربي — أباه في خدمة سيف الدولة وبعده سعد الدولة ، ثم تحدث خفزة بينه وبين سعد الدولة يترك « حلب » على أثرها إلى « الكوفة » ومن هناك يكتب العزيز الفاطمي فيرحب به^(٢) .

ويطالعنا عصر الحاكم بأمر الله في القاهرة وأبو الحسن المغربي كاتب مرموق المكانة يجلس في مجلس الحاكم ، يقول المقرئ في وصف مجلس الحاكم :

« جلس حسين بن جوهر من اليمن ، وإلى جانيه فضل بن صالح ،

(١) انظر الوزير المغربي دراسة في سيرته للدكتور إحسان هبلى .

« وثلفت هنا إلى ما ظنته الدكتور عائشة عبد الرحمن من أن جد الوزير المغربي هو جوهر الصقل ، وهذاليس بصحيح ، ولعله قد اختلط لديها الحسين المغربي والحسين بن جوهر حيث كانا معاً من رجال الخاك بأمر الله الفاطمي ، يراجع في ذلك كتاب التعاظ الحفا للمقرئ ص ٢٠٣ .

(٢) الوزير اشرف ص ٧ وما بعدها .

ودونه ابن البازيار ... « إلى أن يقول : » ودونهما أبو الفتح منصور ، وأبو الحسن بن المغربي الكاتب وأخوه «^(١)» إذن فلم يكن أبو الحسن المغربي فقط وإنما كان معه أخوه كذلك .

ويبدو أن أبا الحسن المغربي لم يقف دوره في الدولة الفاطمية عند حد الكتابة ، وإنما كان له دور في صنع الأحداث السياسية ، فيقال إنه هو الذي أغرى الفاطميين بالشام ، ومهد لهم سبيله ، ثم كان له دور أخطر نعلمه عما قليل .

في هذه البيئة المتصلة بالعلم والسياسة نشأ الحسين بن علي الوزير المغربي ، وتفتحت مواهبه في سن مبكرة ، تنبى عن عقل نادر الذكاء ، ونفس قوية الطموح . وحسبك به أنه قبل أن يبلغ مشارف الشباب كان يحفظ خمسة عشر ألف بيت من مختار الشعر القديم ، وعدة من الكتب المجردة في اللغة والنحو فضلاً عن القرآن الكريم^(٢) .

ونراه وقد اكتمل شبابه يهيم نفسه لدور سياسى ، ويصور له طموحه عالماً من النباهة والمجد .

قال يوماً لابن القارح : ما نرضى بالحمول الذى نحن فيه . فراجعه ابن القارح : وأى حمول هنا ؟ تأخذون من مولانا — خلد الله ملكه — في كل سنة ستة آلاف دينار ، وأبوك شيخ من شيوخ الدولة وهو معظم مكرم .

فيقول الوزير المغربي : أريد أن تصار إلى أبواننا الكتائب والمواكب والمناقب ، ولا أرضى بأن يجزى علينا كالألدان والنسوان^(٣) .

(١) العاصم الخفافي في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ح ٢ ص ٣٠ .

(٢) وفيات الأعيان ح ٢ ص ١٧٢ .

(٣) رسالة الغفران ص ٥٧ .

أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتاب والمواكب ، هذا ما يطمح إليه أبو القاسم ، ونحن الطموح كثيراً ما يورد صاحبه موارد الهلاك . فما إن فصل إلى تمام القرن الرابع الهجرى حتى نرى أسرة المغربى في مصر تتعرض لنكبة كتلة التى تعرض لهما البرامكة من قبل في بغداد ، إذ يعمل الحاكم بأمر الله فيهم السيف ، ولا ينجو منهم إلا الوزير المغربى الذى فر متخفياً ، حيث لجأ إلى آل الجراح بالرملة .

ومع أننا لا نستغرب شيئاً في عصر الحاكم بأمر الله فإن هذا التكيل بأسرة المغربى يشى باضطلاعهم بدور له خطره ، ويبدو أن انشقاقاً حدث في البيت القاطمى ، وأن فريقاً منه على رأسه « ست الملك » أخت الحاكم سعى إلى التخلص منه بعدما اضطرب حاله ، وأعمل السيف في رجال دولته ، وروج بعض أتباعه على علم منه ، أو على غير علم لدعوى ألوهيته .

ولا نستبعد أن هذا الفريق المنشق استقطب إلى صفه آل المغربى ، مستغلاً في ذلك طموح ناشئها الفتى ، مثيراً فيه أحلام الزعامة والرئاسة ، وربما مضى هذا الفريق ومعه آل المغربى يحكم مؤامرة تتلج الحاكم أو قتله ، وإذ يكشف أمرهم يعصف بهم ، وغير بعيد أن يكون لابن القارح دور في الوشاية بآل المغربى ، فحواره مع الوزير المغربى ينبىء عن نفس هلعة فروق ، وربما كان هذا — إن صح — هو السر فيما نراه من اللهجة المزدرية التى كان يخاطب بها الوزير المغربى ابن القارح .

غير أن الرواية لم تتم فصلاً ، فقد فر الوزير المغربى وفي صدره حقد متضرم ، ورغبة في الثأر لا تهدأ ، وفي الرملة يغرى بنى الجراح بالخروج على الحاكم ، ويزين لهم أن يقيموا خلافة متاوتة للخلافة الفاطمية ، ويستقدم لهم أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوى صاحب مكة ليبايع بالخلافة ، ويلقب بالخليفة الراشد ، وتعوزه الأموال فيتزع

ما على الكعبة من أطواق الذهب والفضة ويضربها دراهم ودنانير .
كان ذلك في حدود سنة ٤٠١ ، وكان الأمر ينذر بكارثة محققة
لخلافة الفاطمية لولا أن لجأ الحاكم بأمر الله إلى سلاح المال بعد أن
هزمت جيوشه في ساحات النزال^(١) ، وتقوضت خلافة الراشد ،
وتقوض معها حلم الوزير المغربي ، فولى وجهه شطر المشرق حيث
وزر لبعض الحكام في الموصل وبغداد .

وظل بصر الوزير المغربي شاخصاً إلى القاهرة ، وبسمعه معلقاً
بأخبارها، يترقب الفرصة السانحة للعودة والانتقام ، ويخذ له ابن القارح
للمرة الثانية ، إذ حاول الوزير المغربي أن يعتمد عليه في بعض ما كان
يدبر ، وهذا ما نفهمه من حديث ابن القارح حين ذكر استدعاء
الوزير له في ميافارقين حيث قال له ابن القارح : أعرضت حاجة ؟

قال : لا أردت أن ألعنك

قال ابن القارح : فالعنى غائباً

قال : لا ، في وجهك أشفى .

قال ابن القارح : ولم ؟

قال : تخالفتك إياى فيما تعلم .

ويقول ابن القارح : إنه كان يسرحسوا في ارتغاه^(٢) .

فقيم خالف ابن القارح ؟ وما الحسو الذى أسره الوزير في ارتغاه ؟
لعلها كانت مهمة من مهام السياسة ، ولعل هناك بعض الأنصار كان
الوزير يريد من ابن القارح أن يكون عوناً لهم وعيناً .

وإذا كان ما ذهبنا إليه صحيحاً فإننا نقدر أن هذا كان بعد سنة

(١) انظر اتعاظ الحنفا ج ٢ أحداث سنة ٤٠١ ، وانظر كذلك الوزير المغربي للدكتور إحسان عباس
ص ٣٩ وما بعدها .

(٢) انظر رسالة الغفران ص ٥٩ .

٤٠٤ هـ بعد أن بلغ انشقاق البيت الفاطمي ذروته ، إذ صرف الحاكم ولاية العهد عن أولاده إلى أولاد عمومته ، حيث جعل أبا القاسم عبد الرحيم بن إلياس ولياً لعهد^(١) ، ففعل الوزير المغربي أراد أن يستثمر هذا لصالحه ، وأراد أن يحمل ابن القارح بما لا ينهض به خوره وضعفه .

ومهما يكن من أمر ففى هذه اللوحة الخاطفة من سيرة الوزير المغربي رأينا طموحه ، وذكاءه السياسى ، ورأيناه قادراً على أن يكون صديقاً أميناً ذهب وحل .

على أن ثمة جانباً نريد أن نلمح إليه بشأن هذه الشخصية ، ذلك هو ما كان لها من إسهام فى مجال اللغة والأدب والأنساب ، ولعل أبرز ما يذكر له فى هذا الجانب كتاب مختصر إصلاح المنطق لابن السكيت الذى قرظه أبو العلاء ، وكتاب أدب الخواص ، فضلاً عن أنه كان شاعراً ناثراً له ذوقه المتميز فى النقد الأدبى .

* * *

ذاك هو الوزير المغربي الذى تنكر له ابن القارح ، وأطلق لسانه بدمه ، وقال فيه :

لَقِيتُ بِالْكَامِلِ سَتْرًا عَلَى نَقَصِكَ كَالْبَائِى عَلَى الْخُصِّ
فَصِرْتَ كَالْكَتِفِ إِذَا شِيدَتْ يَبْسُضُ أَعْلَاهُ مِنَ الْجَنْصِ
يَا عُرَّةَ الدُّنْيَا بَلَا غُرَّةَ وَيَا طَوَيْسَ الشُّؤْمِ وَالْخُرْصِ
قَتَلْتَ أَهْلِيكَ ، وَأَنْهَيْتَ يَمِيْنًا بِتِ اللَّهِ بِالْمَوْصِلِ تَسْعَى^(٢)

وإذا كان ابن القارح قد تنكر للوزير المغربي حينئذ تنكر له الزمان ، وكان ذلك خلقه ، فما كان ذلك خلق أى العلاء ، إذ ظل يحتفظ لهذه

(١) انظر اتماظ الخنقا ح ٢ أحداث سنة ٤٠٤ هـ .

(٢) معجم الأدباء ح ١٥ ص ١٤ .

الأسرة بمودة حميمة ، وقد وصف أبو العلاء في رده على ابن القارح
والد الوزير المغربي بقوله :

« كان ذلك الرجل سيداً ، ولمن ضعف من أهل الأدب مؤيداً ولمن
قوى منهم واداً ، ودونه للنوب محاداً »^(١) .
وهو وصف يشي بإعجاب وامتنان .

ولا ريب أن أبا العلاء تأذى كثيراً بمحود ابن القارح ، وتأذى
أكثر لأن ابن القارح ينال من رجل أعجزه الموت فلا يقدر على دفع .
بل لعل ابن القارح ظن أن أبا العلاء هو الآخر لن يستطيع دفعاً عن
صاحبه ، في وقت كانت السيطرة فيه للحكم الفاطمي الذي كان لا
يرى في الوزير المغربي إلا خارجاً ، ولعل ذكرى أحداث الرملة التي
قادها كانت مازال ماثلة حية .

بل لعل ابن القارح أيضاً كان يتقرب بدمه الوزير المغربي إلى البلاط
الفاطمي ، الذي اعتقد أن رسالته لا بد منتهية إليه ، ولهذا لم ينس حين
ورد ذكر الخليفة في ثانيا عبارته أن يعترض بمحملته الدعائية « خلد الله
ملكه » ، وفي هذا ما فيه من دلالة على خسة ابن القارح ، وانتهازته .

ولا ريب أن أبا العلاء كان يدرك من أى موقع يتحدث ابن
القارح ، فاكتمى في القسم الثاني من رسالة الغفران أن يرفع إصبع
التحذير متنبهاً صاحبه إلى قبح ما أقدم عليه :

« وأما صديقه الذي جذب عند السُّبر ، فهو يعرف المثل :
أعرض عن ذى قبر . إذا حجز دون الشخص تراب ، فقد تقضت
الآراب . من ليم في حال حياته ، استحق المعذرة في مماته »^(٢) .

غير أننا نظن أن مثل هذه العبارات لا تشفى أبا العلاء ، ولا تذهب

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٢ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٤٦ ، والتفسير : الاختيار .

غيظه ، فهل حاول أبو العلاء أن يشتفى من صاحبه بالتلميح إذ عجز
التصريح ؟ ربما ...

على أى حال فقد عرف أبو العلاء الوزير المغربي في مرحلة مبكرة
من حياته وحياة الوزير ، ولم يخف إعجابه بمواهب هذا الشاب
وبذكائه المتوقد ، وعبر عن ذلك في الرسالة الإغريضية التي كتبها
للوزير مقررطاً كتابه « مختصر إصلاح المنطق » .

ونقدر أن علاقة أبي العلاء بالوزير المغربي بدأت في المرحلة الحلبية
من حياة الوزير ، أى قبل أن ينتقل إلى القاهرة — ويبدو أن الوزير في
هذه المرحلة الباكورة من صباه كان يتردد على معرة النعمان ، ويختلط
بأدائها وعلى رأسهم أبو العلاء ، وقد ظل الوزير يحتفظ لهذه المرحلة
بأجمل الذكريات ، وقد عبر عن ذلك في بعض شعره إذ يقول :

ما على ساكني المَمَرَةَ لو أن ديَاراً نبت بهم أَوْ طُلُولا
يَسْكُنُونَ الْعِلَاءَ مَعَاقِلَ شَمًا وَيُرُونَ الْأَذَابَ ظِلًّا ظَلِيلًا
مَنْزِلَ شَاقِي أَنِيسٍ وَمَا كَسَانِ رَسْوَاهَا نَوَاسِلًا وَطُلُولا^(١)

واستمرت صلة أبي العلاء بالوزير المغربي صافية لم تتكدر ، كان
يكن له إعجاباً ، ويحفظ لصنائه امتناناً ، وفي رسالة المنيع نرى أبا
العلاء لا يملك نفسه من الطرب والسرور حين رأى الوزير المغربي
يخصه بالذكر في رسالته فيقول :

« وبلغ وثيَّ السلام الذي لو مَرَّ بِسَلَمَةٍ وَارِيَةٍ لِأَعْدَدْتُ ، أَوْ
سَلَمَةٍ عَارِيَةٍ لِأَوَزَقْتُ ، فحمل فرادى من الطرب على روقي
اليَعْفُور ، بل فوق جناح العصفور ، فكأنما رفقي الفلك ، أونا جاني
الملك ، جدلاً بما لو جاز تبدُّل الغريزة ، وتحول الحيزة لنقلني من
آلى العامة إلى عالى السَّامَةِ »^(٢) .

(١) انظر الوزير المغربي ص ١٤٨ .

(٢) رسائل أبي العلاء ج ١ ص ١٥٦ .

وظل أبو العلاء يتابع أخبار صديقه الوزير المغربي بكثير من الحب والرجاء ، ويشير الدكتور إحسان عباس إلى تعاطف أبي العلاء مع الوزير المغربي في محنته ، ويحدث كذلك عن تلك الرسائل . التي ظلت متبادلة بينهما^(١) .

ولعلنا ندرك ما كان بين أبي العلاء والوزير المغربي من صلة ، وما ربط بينهما من وشائج حينما نقرأ هذه المراثية الحزينة التي رثى بها أبو العلاء صاحبه ، وحسبها أن تكون هي المراثية الوحيدة في اللزوميات :

ليس يقي الضرب الطويل على الدهر ، ولا ذو العبالَةِ الدُرْحَايَةَ
يا أبا القاسم الوزير ترَحُّلْتُ ، وخلفتني ثِفَالُ رَحَايَةَ
وتركت الكتَبَ الثَمِينَةَ للنَّسَبِاسِ ، ومارحت عنهم بِسَاحِيهِ
ليتني كنتُ قبل أن تشرب المِسْوَرُتَ أصيلاً شربته بضحاياه
إن نَحَكَ المَنُونِ قبلِي فإبَى متحايها ، وإنها منتحايه
أُمُّ دَفَرٍ تقولُ بعدك لِلدُّائِقِ لَا طَعْمَ لِي فَأَيْنَ فَحَايِهِ
إن يَخْطِ الدُّنْبُ اليسيرَ حفيظُكَ ، فكم من فضيلةٍ مَحَايِهِ^(٢)

أعجيب بعد ذلك أن يقول أبو العلاء حينما يذكر ابن القارح في مجلسه :

« أعرفه خيراً ... هو الذي هجا أبا القاسم بن علي بن الحسين المغربي » .

وهي عبارة فيها كثير من النفور والأزدراء .

السلمة بكسر اللام : الحجارة الصلبة ، الوارية : التي تورى أى تخرج شرراً بالقذح . السلمة بفتح اللام : الشجرة من السلم ، الروق : القرن ، اليعفور : الظبي . النحيوة : الطيعة . الال : الأحوال جمع آلة ، السامة : الخاصة .

(١) انظر الوزير المغربي ، ت ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٤٥٦
العبالَة : السنة ، الدُرْحَايَة : القصير ، السحابة : القطعة التي تؤخذ من القرطاس ، الفحا : أنزل القصر .

عرفنا موقف ابن القارح من آل المغربي ، كما عرفنا موقف أبي العلاء منهم ، ولا ريب أن ذلك يكشف لنا كثيراً من مرامي ابن القارح في رسالته ، كما يكشف كثيراً من مرامي أبي العلاء في رده برسالة الغفران .

رسالة ابن القارح كانت — ولا ريب — تعريضاً بأبي العلاء ، وطعنًا في دينه ، وسلوكه له مع ابن المغربي الذي كان واحداً من الزنادقة في نظر ابن القارح .

ومهما حاول ابن القارح أن يميّزه على مراميه من رسالته ، بتلفيف العبارة ، وبإغداق المدح والثناء ، وباصطناع أسلوب من يشكر إلى صاحبه سوء الدهر ، وما فشا فيه من الفساد والجهالة ، فلم تكن هذه المرامي لتغيب عن فطنة أبي العلاء ، وما كان لينطلق عليه مثل هذا الأسلوب المخادع الخاتل ، وحسبنا أن أبا العلاء يفتتح القسم الثاني من رسالة الغفران — وهو الذي يرد فيه رداً مباشراً على ابن القارح — بالعبارة : « فهمت قوله » .

قسم أبو العلاء رسالته قسمين ؛ القسم الأول يتخيل فيه ابن القارح ، وقد غفر له بما أظهر من توبة فدخل الجنة ، ويمضى أبو العلاء في وصف هذه الجنة وكأنها واقع يحياه صاحبه ، يلتقي فيه بالأنوار من المتع ، وبأنماط من الأدباء والشعراء يحاورهم في مسائل الأدب واللغة ، ويسمع عنهم ويسمعون منه .

وفي القسم الثاني يرد أبو العلاء على ما أثارته رسالة ابن القارح من أمور وقضايا .

وإذا كانت رسالة ابن القارح هي المفتاح الذي نلج به غفران أبي العلاء ، فإن القسم الثاني من الغفران هو المفتاح الذي نلج به جنة

الغفران ، ونفهم أبعاد مشاهدتها ، ومواقفها . وعليه يكون القسم الثاني نقطة البدء ، ويكون حرياً بفهم متعمق متأن .

وفي هذا القسم من الغفران نرى أبا العلاء يعرى صاحبه تعرية كاملة ، وإذا كان ابن القارح قد قص عليه خبر بعض الزنادقة ، فإن أبا العلاء يحشد له حشداً منهم ، ويعرج به إلى النحل والفرق فيظهر خبثها ، ويبين الفساد في معتقداتها ، وكأنه يقول لصاحبه ؛ أنت أولى بهؤلاء ، وهم أشبه بك فيما اعتنقوا من نحل ، وفيما تمخرقوا به من معتقد .

ويعرج أبو العلاء إلى دعوى صاحبه في الزهد والورع فيسخر ما وسعته السخرية ، ويرميه بآبذة بعد أخرى .

يعرض إلى ما أدل به ابن القارح من حججه الخمس فيقول :
« وكأني وعمائم الحجاج يرفعون التليّة بالعجيج ، وهو يفكر في تلييات العرب ، وأنها جاءت على ثلاثة أنواع ؛ مسجوع لا وزن له ، ومنهوك ، ومشطور »^(١) .

هو — إذن — لا تأخذه رهبة الموقف ، وليس للخشوع مكان في قلبه ، وإنما هو مشغول بأمر الأوزان التي جاءت عليها تلييات العرب . ويمضي أبو العلاء فيورد قطعاً من الشعر يرى أن ابن القارح لا بد وأن يذكرها وهو يؤدي مناسكه ، فمن ذلك قول الشاعر :

ذكرتك والحجيجُ له عجيحٌ	بمكة ، والقلوبُ لها وجيبٌ
فلقت — ونحن في بلد حرام	به الله أخلصت القلوبُ
أتوبُ إليك يا ربّاه مما	جنيت فقد تظاهرت الذنوبُ
فلأنا من هوى ليلي وحسي	زيارتها فإني لا أتوبُ ^(٢)

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٤ ، وعمائم الحجيج : هاجاتيه .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٣٨ .

وعجيب أمر هذا الحاج الذى يتشبث بليلاه فى موقف من
المفروض فيه أن ينسى كل أمور دنياه ، ووراء اسم « ليل » ضع كل ما
تريد من أهواء ورغائب ، وحسبك — بعد — أن يختار أبو العلاء
آياته هذه من شعر المجنون وفى ذلك ما فيه من غمز .

ولا يترك أبو العلاء لصاحبه فرصة للإفاقة ، وإنما يعاجله بسهم
آخر أكثر نفاذاً ، فيقول : ولعله (أى ابن القارح) قد ذكر هذه
الآيات فى الطواف :

أطوفُ فى البيت فيمن يطو ف، وأرفع عن مئزرى المسبل
وأسجد بالليل حتى الصبا ح، وأتلو من المُحكَّم المُتزل
عسى فأرجُ الكرب عن يوسف يسخر لى ربةً المخمل^(١)

ودعك عما يحيط به أبو العلاء هذه السخرية من سياجات لغوية ،
كأن يتوقف ليناقدش « هاء الندبة » أو حذف « أن » من خبر
« عسى » فليس هذا — وإن كان وجهاً آخر من السخرية — مغزى
إيراد مثل هذه الآيات ، وإنما المغزى يتمثل فى هذا المتعبد الذى يسجد
حتى الصباح ، ويقرأ محكم التنزيل ليفرج الله كربيه، ويسخرله ربه
المحمل ، وقارن — بعد ذلك — بين صورة هذا المتعبد ، وصورة
متعبد آخر متمثل فى ابن القارح يتقرب إلى الله بالحج ، فهل يقصد
من وراء حجه ما يقصده هذا الساجد حتى الصباح ؟!

★ ★ ★

وعن دعوى ابن القارح الإقلاح عن الكأس والخمر فإن أبا العلاء
يتلقفها ويمطر الشيخ بسخرياته ، فيصوره وقد أعد معه خنجرأ
كخنجر ابن الرومى^(٢) ، فإذا جلس فى مجلسه « فيكون هذا الخنجر

(١) رسالة الغفران ص ٥٣٩ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٣٩ .

قريباً منه فإذا قُضِيَ أن يمرَّ بباب المسجد الكهل المرتب (الزق الجلودى) وثب إليه وثبة لمر إلى متخلفة من وقير أمير (قطع كثير العدد) فوجأه بذلك الخنجر وجأه فانبعث بمثل الدَّم أو الخالص من العندم^(١) .

صورة تثير الضحك ، تائب من الخمر يجلس ومعه خنجر يحاً به كل ما يمر عليه من زقاق الخمر ، إنها صورة تشي بالرغبة أكثر مما تشي بالتوبة .

وكان ابن القارح قد ذكر في رسالته أن بعض الناس عرض عليه كأس خمر فامتنع عنها ، وقال : خلونى والمطبوخ على مذهب الشيخ الأوزاعى^(٢) .

ويقف أبو العلاء عند هذا القول فيعبث بالشيخ ساخراً ، ويعرض به قائلاً :

« والتوبة إذا لم تكن نصوحاً لم يُلف خلقها منصوحاً ، وكان في بلدنا رجل مغرم بالقهوة ، فلما كبر رغب في المطبوخ ، وكان يحضر مع نداماه وبين يديه خرداذى فيه مطبخة ، وعندهم قدح واحد ، فإذا جاء القدح إليه ليشرب غسله من أثر الخمر ، وشرب فيه ، فإذا فرغ خرداذى المطبوخ رجع فشرب من شراب إخوانه^(٣) .

وما يزال أبو العلاء يلور حول الخمر ، فيصوغ عبارة واعظة على غلط الأمثال ، وكأنه يرد بها على الموقف الواعظ في رسالة ابن القارح ، ويتفنن في إيراد أسماء الخمر وكنائها من مثل « الفهيج » و « أم ليلى » و « أم زنبقى » :

(١) رسالة الغفران ص ٥١٩ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٢٠ .

(٣) رسالة الغفران ص ٥٢٥ .

« لعنت القهوة ، فكلم تبيط بها إرهوة ، لا غيرة في الجمر ،
 توطيء على مثل الجمر ، من اصطبغ فيهبجاً فقد سلك إلى الداهية
 منهجاً ، من اغتبق « أم ليلي » فقد سحّب في الباطل ذنباً ، من
 غرّى « بأمر زلتى » فقد صبح بالعقل الموبق ، من حمل بالراحة
 راحا ، فقد أسرع للرشد سراحا . من رضى بصحبة العقار ، فقد
 خلّع ثوب الوقار »^(١) . وغير خاف أن الخطاب كله تعريض .

* * *

ويدور أبو العلاء بابن القارح دورة أخرى فيبين له أن ما يشكوه
 من الضعف والوهن بعد السبعين لا يدل إلا على ضيق بالعجز لا ضيق
 بالحياة ، ولعله لو أحس نبض العافية لعاد إلى دنيا لوه ، وعالم لذائذه .
 ويفتن أبو العلاء في فضح الشيخ وتعريته فيحكى له خبر أئى عمرو
 بن العلاء وقد كان يدارى شبيهه بالخضاب ، « فاشتكى في بعض
 الأيام ، فعاده بعض أصحابه ، فقال : تقوم إن شاء الله من علتك ،
 فقال : ما أمل بعد ست وثمانين ، وعاد إليه وقد تماثل ، فقال : لا
 تحدث بما قلت لك » .

ويعلق أبو العلاء على ذلك فيقول :

« وهذا من ظريف ما روى ، رغب في تمويه بالخضاب ، وكنتم
 سنه عن كل الأصحاب »^(٢) .

فهو يصف أبو العلاء هنا إلا صاحبه هذا الرأي جاوز السبعين ولم
 يزل مشدوداً إلى الدنيا بأسباب الرغبة والشهوة ؟

ويعمن أبو العلاء في العبث بالشيخ فيلوح له بأنه مازال مهوى أفئدة
النساء وبخاصة العجز والمكتهلات :

(١) رسالة الغفران ص ٥٥٦ . والرهوة : المكان المرتفع .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٠٠ .

« ولعله لو نشط هذه المأربة ، لتألفت فيه العُجُزُ والمكتَهلاتُ
وعلت خِطْبَةُ المنهلات ، لأن العاقلة ذات الإحصاف تجنّب إلى
معاشرَةِ حليف الإلصاف »^(١) .

وتسنع الفرصة للتمريض بحياة ابن القارح في مصر ، وبأنه مازال
متعلقاً منها بسبب ، وإن تظاهر بأنه لا يبقى من المرأة إلا معيناً على
الكبر :

« ولا أضلُّك الله قد استخدم في مصر » أصناف جوار ، وهنّ
للمآرب موار ، ولولا أن أبا الكبرية يفتقر إلى معين ، لكانت
الحزامة أن يقتنع بورد المعين »^(٢) .

★ ★ ★

أما عن البخل والشح وانعدام المروءة والنخوة فقد قدم ابن القارح
نفسه صيداً سهلاً ، إذ حدث عن بنت أخت له سرقت منه ثلاثة
وثمانين ديناراً ، فشكاها للسلطان ، فأخرجت بعضها وقالت : « والله
لو علمت أن الأمر يجري كذا كنت قتلته »^(٣) .

ولعل أبا العلاء تعجب كثيراً لهذا المسلك ، إذ كيف يشكو
الإنسان إلى السلطان أقرب الناس إليه ، ولعله تساءل عن هذه المسكينة
لو كانت لقيت من خالها عطفاً وبراً ، أكانت تلجأ إلى السرقة ؟ وأى
حرص على الدنيا أشد من أن يكون المال أحب إلى رجل من قرابته ،
وأولى رحمه !؟

وتلقف أبو العلاء قصة الدنانير ، وذهب بالشيخ وجاء ، يذيقه
ألواناً من السخر ، ويجرعه دعاية خشنة تقطر سما ، فمرة يلمح إلى أن

(١) رسالة الففران ص ٥٠٣ .

(٢) رسالة الففران ص ٥٠٥ .

(٣) رسالة الففران ص ٦٤ .

هذه الدنانير مكتسبة من التمسح بأعتاب الفاطميين ، والتمرغ في
تراجمهم :

« وهذه ولا ريب من دنائير مصر ، لم تحيى من عند السوق ،
ولكن من عند الملوك » .

ومرة ثانية يقارن هذه الدنانير بأوجه حبات الشعراء فيفضلها على
وجوه حبات المرقش والجعدى ، ومرة ثالثة يصف هذه الدنانير بأنها
مقدسات ، وأنها توفى على عدة أصحاب موسى ، ولو كانت سنو
« زهر » مثلها لما شككا طول الحياة ، وهى تجري مجرى الوطن فى
الإيناس^(١) .

فإذا بلغ أبو العلاء غايته من السخرية بشع ابن القارح ، وبخله ،
ونجسه للمال انتفى ليوجه إليه طعنة قاتلة إذ يخوفه أن تكون بنت أخته
ورثت عنه المهجاء فيصيبه شئ من هجائها :

« ويجوز أن يكون قد رشح إلى هذه المرأة شئ من آداب
الخثولة ، فليتي مفرقة بيانها ، أكثر من انتهاء حُلْسَةِ بَنَانِها »^(٢) .

وهكذا يعود أبو العلاء لأخص صفات ابن القارح ، وأخسها ،
فيرزها وكأنه لا يعنىها ، إنه ابن القارح القى هجا أبا القاسم بن
الحسين المغربى ، والذي تنكر لأولى نعمته ، وأصحاب الفضل عليه .

لقد رد أبو العلاء على موقف ابن القارح من آل المغربى ردا موجزا
متحرزا ، ولملح خشى مغبة الإفصاح ، ولكن ليس معنى ذلك أن
قضية آل المغربى كانت قضية هامشية فى رسالة الغفران ، وإنما هى —
فى ظننا محور من محاورها الكبرى ، ولعل لأبى العلاء طرائق أخرى

(١) انظر قصة الدنانير فى رسالة الغفران ص ٥٦٠ وما بعدها .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٨٠ .

للنيل من صاحبه أكثر خفاء ، وأشد إيجاعا .
وعلى أى حال فقد اتضح لنا منحى أبنى العلاء ، ووضعنا أقدامنا
على بداية الطريق الصحيح .

الفصل الثاني

ابن القارح وشخص الغفران

«ربما يترقف قارىء الغفران متعجباً إزاء ما يصفه ابن القارح من أمر محشره ، وربما تملؤه الدهشة من هذا الذى يريد أن يخدع خزنة الجنة عن أنفسهم بما ينظمه فيهم من مدائح يغنى بها ما ليس له ، ويتنقل من ملك إلى آخر بقرآن إبليس هذا — كما ورد على لسان بعض الملائكة ، حتى إذا استبأس من الملائكة توجه إلى حمزة بن عبد المطلب بأبيات نظمها في مديحه ، ويقول له حمزة :

ويحك ! أفى مثل هذا الوطن تحبني بالمدح ؟
أما سمعت الآية لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه .

فيجيبه باستخفاف ظاهر :

« بلى قد سمعتها ، وسمعت ما بعدها : « وجوة
يومئذ مُسْفرة ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذ
عليها غبرة ، تُزَهِّقُهَا قَتْرَةٌ ، أولئك هم الكفرة
الفجرة » (١) .

آية جنة — إذن — تلك التى يغنيها هذا المارق المستخف بكلام الله سبحانه وآيه ، والمتوسل بقرآن إبليس في موقف لا يجدى فيه إلا الصدق !؟

ونخطئ كثيراً إذا تصورنا أن جنة الغفران هى الجنة التى أعدها الله للمتقين ، إنما هى جنة علائمة ظاهرها النعيم ، وباطنها العذاب ، جنة بناها أبو العلاء ، ونسج مشاعدها ومواقفها بتؤدة ليقفنا على مبادل ابن القارح ، وما اتسم به من شهوانية وإسراف .

ولا نشك أن حياة ابن القارح فى القاهرة ، وما تمثله أبو العلاء من مبادلته فى بلاط الفواطم ، كان المثير الكامن ، والمادة المرجعية فى تصوير جنة الغفران .

(١) رسالة الغفران ص ٢٥٣ .

[وقد] رأينا آنفاً كيف [عرّض] أبو العلاء بحياة صاحبه في القاهرة ،
وبتملقه للحكام ، وباستغراقه في صنوف من المتع الحسية ، وحسبنا في
رحلة الغفران أن نرى ابن القارح يعبر « الصراط » محمولاً « رُقُوقَه »
على ظهر جارية فاطمية ، وهذا إيحاء من أبي العلاء أن نفهم أية جنة
يصور ، وأن نلمس الخيط الرابط بين الغفران رحلة خيال ، وبين حياة
ابن القارح في مصر وما كان فيها من إفراط وابتدال .

وقد جمع أبو العلاء لصاحبه في الغفران عديداً من الشعراء والأدباء
واللغويين ، وقد لا يرى قارىء في هذه الشخصيات إلا احتفالاً من أبي
العلاء بصاحبه الذي أحب الأدب والأدباء ، ودعا ربه ألا يجرمه من
هذا الأدب في آخرته . غير أننا لا نرى في هذه الشخصيات إلا مرابا
وأقنعة ، يطل منها وجه ابن القارح على نحو أو آخر ، وتحمس لنا مثالبه
بصورة أو بأخرى ، ويومئ بها أبو العلاء إلى مرامي ومقاصده .

وأول ما يلفتنا من شخص الغفران شخصية « الأعشى » وهذا
التماثل الذي عقده أبو العلاء بينها وبين شخصية ابن القارح حتى
لكأنهما شخصية واحدة ، تتداخلان ، وتتميع بينهما الحدود الفاصلة ،
فبعد أن يستوى ابن القارح في مجلس لذته ، وأمامه أنهار الخمر التي ما
خطر مذاق خمرها بخلد واحد من شعراء الخمر في الفانية ، وحوله
نداماه الذين اصطفاهم من علماء اللغة ، يطل أبو العلاء فيقول —
وكأنه يوجه إلى ما أراده من المزج بين الشخصيتين

« وهو (ابن القارح) — أيّد الله العلمَ بحياتِهِ — معهم »
« كما قال البكري (الأعشى) :

[نازعُهم قُضْبُ الرِّيحانِ مرتفقاً وقهوةٌ مُزَّةٌ راووقُها خضلُ
لا يستفيقون منها وهى راهنةٌ إلا بهاتِ، وإن علّوا، وإن نهلوا

يسعى بها ذو زجاجات له نطف
ومستجيب لصوت الصنج يسمعه
إذا ترجع فيه القينة الفضل^(١)

[هكذا] ومن البداية [يمثل] أبو العلاء مجلس ابن القارح من أصحابه
بمجلس الأعشى فكأنه هو ، وكأنه لا يصلح لوصف مجلس ابن القارح
إلا ما وصف به الأعشى مجلسه .

ومضى أبو العلاء فيؤكد هذا التماثل ، ويقرب بين ابن القارح
والأعشى درجة أخرى ، فحينما تستبد النشوة بنفوس الشرب نسمع
ابن القارح يأسى لفقدان الأعشى ، وكأنه يأسى لفقدان بعض منه :

« آه لمصرع الأعشى ميمون ، وكم أعمل من
مطية أمون ولقد ردذت أنه ما صدته قریش لما توجّه
إلى النبی — ﷺ — وإنما ذكرته الساعة لما
تقارعت الآية بقوله في الحامية :

وشمول تحسب العين إذا صفقت جئدعها نور الذهب
وينشد أبياتاً ثمانية ، ثم يأخذ في تحسر أسيان :

ولو أنه أسلم لجاز أن يكون بيننا في هذا المجلس
فينشدنا غريب الأوزان ، مما نظم في دار الأخوان ،
ويحدثنا حديثه مع « هودّة بن علي » و « عامر بن
الطفيل » و « يزيد بن مسهر » و « علقمة
بن علاثة » ، و « سلامة بن ذى فائش » وغيرهم
من مدحه أو هجاه ، وخالفه في الزمن
أورجاه »^(٢) .

(١) رسالة الغفران ص ١٧٢ .

(٢) رسالة الغفران ص ١٧٢ — ١٧٤ .

وما أورده أبو العلاء في هذه العبارة فيه إشارة إلى الصفات الجامعة بين الأعشى وابن القارح ، فالتماثل بينهما ليس في الإقبال على الخمر فقط وإنما — أيضاً — في أن كليهما مَادَخ هجاء ، ومن ثم ود ابن القارح لو يسمع من الأعشى أخباره مع مملوحيه ومهجوويه ، وكأنه يريد أن يرى نفسه في صاحبه .

[ويقفز أبو العلاء درجة ثالثة ليطلعنا على تلك الأواصر العميقة التي تربط بين الرجلين ، حتى لكانهما يفكران بعقل واحد ، ويتخاطران على بعد ما فصل بينهما من أزمان] فإذا خطر لابن القارح خاطر النزوة في جنته العلائية جسد بعض قول الأعشى ، أو قل أراد أن يكونه :

« فِرْكَبٌ نَجِيًّا مِنْ لُبِّ الْجَنَّةِ خُلِقَ مِنْ يَاقُوتٍ
وَدَرٌ ، فِي سَجْسَجٍ بَعْدَ عَنِ الْحَرِّ وَالْقَرِّ ، وَمَعَهُ إِنَاءُ
فَيْهَجُ ، فَيَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ عَلَى غَيْرِ مَنْجٍ ، وَمَعَهُ شَيْءٌ
مِنْ طَعَامِ الْخُلُودِ ذَخِيرَ لَوْلَادِ سَعِيدٍ أَوْ مَوْلُودٍ ، فَإِذَا
رَأَى نَحْيِيهَ يُمْلِعُ بَيْنَ كِتَابَانِ الْعَبْرِ ، وَضَيْمُرَانِ وَصِيلٍ .
بَصْغَرٍ ، رَفَعَ صَوْتَهُ مَتَمَثِّلًا بِقَوْلِ الْبَكْرِى :

لَيْتَ شَعْرَى مَنِ تَحَبُّ بَنَى التَّسَاوَقَةَ نَحْوَ الْعَذْيَبِ فَالْعَيْيُونَ
« مَحْقِبًا زُكْرَةً ، وَحَبَزَ رُقَاقِي وَجَبَاقًا وَقِطْعَةً مِنْ نُونٍ » (١)

أرأيت إلى قول الأعشى كيف يعيش في وجدان ابن القارح صورة حية حتى إذا قيض له في الجنة العلائية أن يشكل واقعة قفزت هذه الصورة التي تعيش داخله رغبة محبوسة ، لتعيش خارجه حركة ملموسة .

(١) رسالة الغفران ص ١٧٥ ، ١٧٦ الفرج : الصالح من الخمر ، ينفق : يسرع ، الضميران والصغير : ضربان من الشجر ، الزكرة : وعاء من جلد ، الحياق : مات طيب الرائحة .

يسمع « الأعشى » هذا الصوت الذى يترغم بشعره فيبرز على مسرح الغفران ، ويلتقى الصنوان ، ويفرح ابن القارح كأنما ظفر بيغة منشودة ، ويلتفت إلى صاحبه هشاً هشاً مرتاحاً على حد تعبير أبى العلاء^(١) .

ولعل قارئاً لم يتساءل من قبل : لم كان الأعشى أول شخصية تتمثل لابن القارح ، أو يمثلها أبو العلاء له على مسرح الغفران ؟ ثم ما سر هذه المشاشة والبشاشة والارتياح في لقاء الشيخ بصاحبه ، أكان ذلك إلا لأن الرجلين وجها شخصية واحدة أو هكذا كانا في تصور أبى العلاء ؟

لقد مهد أبو العلاء ليعطينا هذا الانطباع تمهيداً مدروساً ، وتسلسل بنا فإذا نحن مع الرجلين وكأننا مع رجل واحد ، وهو يمضى بنا في خطى محسوبة ، ويورد علينا من الصور والمواقف ما نظنه يرد على غير حساب وروية ، فإذا رجعنا البصر وجدنا أن أبى العلاء يعطى بقدر ، ويلون مواقفه ، ويحرك شخوصه فيتقدم بها أو يتأخر ، وينطلقها أو ينطق عنها كل أولئك يسير وفق خطة محكمة محبوكة .

يقفز أبو العلاء قهزة رابعة فيعقد مجلس منادمة لابن القارح فيه عدى بن زيد ، وفيه التاهقتان ، نابعة بنى جمعة ، ونابعة بنى ذبيان ، وكان من الممكن إذا كان الأمر أمر عرض للمتعم أن يستمتع المتنادمون ماشاهوا ثم ينفض مجلسهم ، ولكننا نجد ابن القارح يفتقد في هذا المجلس قرينه ، أو قل يفتقد نفسه فيفتف فجأة : « فكيف لنا بأبى بصير ؟ » فلا تتم الكلمة إلا وأبو بصير قد خمسه ... ثم ينضم إلى المجلس « لبید »^(٢) .

(١) رسالة الغفران ص ١٧٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٣ .

افتقاد عزيز ، وأمنية تتحول واقعاً في لحظة طرف ، لكأن
« الأعشى » لم يرد من خارج ، وإنما برز من داخل صاحبه ، ثم نمضى
مع الندماء فإذا التماثل صار تداخلاً ، يتكلم أحد القرنين بلسان
صاحبه [

] يقول « لبيد » : « سبحان الله يا أبا بصير ! بعد إقرارك بما تعلم
غفر لك » . فينبى ابن القارح للدفاع ، وكأنه يتحدث بلسان
الأعشى :

« كأنك يا أبا عقيل تعنى قوله :

وأشرب بالريف حتى يقـال : قد طال بالريف ما قدر جن
صريفية طيأ طعمها تصفق ما بين كُوب وذن
وأقرزث عيني من الغايات ، إما يكاحاً وإما أرن [

وقوله :

لبث الخليفة من بعليها وسيل تيا ومستادها
وقوله :

فظلمت أرحاما ، وظلَّ يحوطها حتى دنوت إذا الظلام دنا لها
فرميت غفلة عنه عن شايه فأصبت حبة قلبها وطحائها
ونحو ذلك مما روى عنه ، فلا يخلو من أحد أمرين : إما أن
يكون قاله تحسناً للكلام على مذهب الشعراء ، وإما أن يكون فعله
لفظ له (١) .

[ونظن أن الأعشى كان قادراً على مثل هذا الدفع ، لولا أن أبا العلاء
أراد أن يومية إلينا أن الرجلين رجل واحد ، وأن ما وجه للأعشى على
وجه التخييل إنما هو موجه لابن القارح على وجه التحقيق ، ومن ثم لا
يكون دفاع ابن القارح عن الأعشى إلا دفاعاً عن النفس]

(١) رسالة النفران ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

[وقد مضى أبو العلاء في غفرانه يحكم هذا التماثل بين الأعشى وابن القارح ، فيشب بنا وثبات ، يأخذ من الأعشى ويعطى لابن القارح ، ويأخذ من ابن القارح فيعطى للأعشى على نهج مرسومكم]

لقد كان الأعشى مداحاً فلماذا لا تكون هذه صورة ابن القارح في الغفران ، وإذا كانت كتب التراجم لم تحمل إلينا شيئاً يذكر من شعر ابن القارح ربما لغثائه وضعفه كما يصفه ياقوت^(١) ، فلماذا لا يدع له أبو العلاء شعراً ؟ ولماذا لا نراه طوافاً بمدائح في محشره يريد أن يخدع خزنة الجنة بباطله ١٩ وإذا كان الأعشى توجه ينفى الإسلام فصده قريش وجبه للخمر ، وقام إلى الحشر مضيع العمل ، فلماذا لا يوضع ابن القارح في موقف مشابه حين يضيع منه كتاب التوبة ١٩

* * *

[لا بأس علينا — إذن — أن نفهم أن كثيراً مما وُجد للأعشى أو ووجه به في الغفران إنما هو موجه على الحقيقة لابن القارح] ولنتأمل مثلاً هذه العبارات الغاضبة التي قرع بها النابغة الجعدي الأعشى في ثنايا تلك المشادة التي أضرمها أبو العلاء بينهما ، قال النابغة الجعدي :

أَعْرَكَ أَنْ عَدَلَكَ بَعْضُ الْجَهْلَالِ رَابِعَ الشُّعْرَاءِ
الأربعة ؟ وكذب مُفَضِّلُكَ ، وَإِنِّي لَأَطُولُ مِنْكَ
نَفْسًا ، وَأَكْثَرُ تَصَرُّفًا ، وَلَقَدْ بَلَّغْتُ بَعْدِيهِ الْبُيُوتَ مَا
لَمْ يَلْلَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ قَبْلِي ، وَأَنْتَ لِاهٍ بِعَفَارَتِكَ
تَغْتَرَى عَلَى كِرَامِ قَوْمِكَ ، وَإِنْ صَدَقْتَ فِخْزِيًّا لَكَ
وَلَمُقَارَاكَ ، وَلَقَدْ رُفِّقَتِ الْهَرَّازِيَّةُ فِي تَخْلِيلِكَ :
عَاشَرْتُ مِنْكَ النَّابِغَ ، عَشَى لُطَافِ الْأُخْرَى عَلَى
الْعِظَامِ الْمُتَنَبِّذَةِ ، وَخَرَصَ عَلَى انْتِبَاطِ الْأَجْدَاثِ
المنفردة ... (٢)

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٤ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٩ .

إن هذه العبارة تمضي لا يشعر القارىء إلا بأنها حديث عن الأعشى حتى إذا اقترب من نهايتها سمع حسيب قضية آل المغربي ، ورأى سخط أبي العلاء المكظوم على ابن القارح يتفجر صوراً غاضبة ، ألا ترى هذا النابح الذى يطوف على العظام المتنبذة ، وينتث الأجداث المنفردة ؟ أليس هو ابن القارح الذى أقعى على أبواب الفواطم يتلقف ما يلقون به إليه من فئات العيش ، متتكراً لآل المغربي الذين هم أولو نعمته ، ناهشاً بهجائه قبر الوزير المغربي ١٩

وأعد قراءة العبارة من جديد — وقد ألقينا إليك بمقاليد الإمام — ولا بد أنك ستفهم أن الهزانية فيها ليست امرأة الأعشى التى تخلت عنه ، وإنما هى مجرد إيماء لتخيلة أخرى هى تخيلة الوزير المغربي لابن القارح ، وازدراؤه له بعدما تكشف له ما تكشف منه .

[لمى إذن حجب من الرمز والإيماء ما إن تنزاح حتى نرى أبا العلاء يلهب ابن القارح بالسنة من النار ، ويقذفه بحمم من الازدراء والسخرية .

وعلى هذا أيضاً ينبغي أن ندرك العبث بابن القارح فى ذلك الوصف الذى يورده أبو العلاء على لسانه بشأن صاحبه الأعشى الذى حرمت عليه خمر الآخرة ، فلا يعقل أن يظن أن الخمر ذهبت بلبه ، أو غطت على عقله]

« وإنه لو قُورَ فى المجلس ، لا يخُفُّ عند حَلِّ الخُبْوة ، وإنما مثله معنا مثْلُ أبي نُوَاسٍ فى قوله :

أَيُّهَا الْعَادِلَانِ فِي الرِّاحِ لَوْمًا لَا أَذُوقُ الْمَدَامَ إِلَّا شَيْمًا
بِالنِّى بِالْعَتَابِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمًا
إِنْ حَفَّتْ مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ أَنْ أَرَاهَا ، وَأَنْ أَشْمُ النِّسِيمَا
فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا

فكألى وما أحسن منها فَعَبْدِي يُحَسِّنُ التحكيما
لم يطلق حَمَلَهُ السلاحَ إلى الحَرْبِ، فأوصى المطلقَ الأقيما^(١)،
أليست هذه الصورة موصولة بما حَدَّث به ابن القارح في رسالته
من التوبة عن الخمر والإقلاع عنها ، ويقول : « خلوني والطبوغ على
مذهب الأوزاعي » ١٩

[ولعل أبا العلاء خشى أن ينخدع ابن القارح بجنة الغفران فيتوهم أنه
سيحظى في الآخرة بجنة المتقين ، أو يظن أن أعماله تنطلي على أحد ،
أو أن توبته المرائية صدقها إنسان ، لذلك لم يرد أبو العلاء أن يترك
صاحبه على وهمه الخادع دون أن يوجه إليه ضربة توقظه من خلده ،
ولعله من أجل هذا اصطنع أبو العلاء هذه المشادة بين الأعشى والنابغة
الجعدي وهو على ثقة — بعدما أحكم التماثل بين ابن القارح
والأعشى — أن القارىء سيفطن إلى ما يريد.]

ها هو النابغة الجعدي يستبد به الغضب ، ويضرب الأعشى بكوز
في يده ، وتندفع عبارته دون تحسب :

« اسكت يا ضُلُّ بن ضُلٍّ ، فأقسمُ أنْ دخولك
الجنة من المكرات ، ولكنَّ الأفضية جرت كما شاء
الله ! لحقك أن تكون في الدَّرَكِ الأسفل من النار ،
ولقد صليَ بها من هو خير منك ، ولو جاز القُلُطُ
على ربِّ العِزَّة لقلْتُ : إنك قد غُلِط بك »^(٢)

وياك أعنى فاسمعي يا جارة .

[شخصية الأعشى — إذن — كانت مرآة رأينا من خلالها وجه ابن
القارح ، ولكن يبدو أنها لم تستغرق كل ما يريد أبو العلاء أن ينقشه ،

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٢ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٣٠ .

ومن ثم راح يتقلب بصاحبه بين شخصيات تراثية متعددة كل منها—
في ظننا—[تجسد لنا جانباً من جوانب شخصية ابن القارح ... ولا
نترك مجلس الندماء دون أن نقف عند بعض شخوصه] فمثلاً ما أمر
النابغة الجعدى ؟ وما أمر نابغة بنى ذبيان ؟ وما أمر حسان بن ثابت ؟
ولماذا اختار أبو العلاء هؤلاء دون سواهم ؟ وماذا يجسدون من أخلاق
ابن القارح ؟

[ولعلنا نجب لما ظهر به النابغة الجعدى أو أظهره به أبو العلاء من
الغفلة والحماسة] فهو يسأل الأعشى عن « الرباب » التى ذكرها
السعدى فى قوله :

ذكر الرباب ، وذكرها سقم وصبا وليس لمن صبا عزم
وهل هى ذات الرباب التى ذكرها الأعشى فى قوله :

فما نطق الديك حتى ملأ ثكوب « الرباب » له فاستدارا
وهذا سؤال يدل على غفلة شديدة ، ومن ثم كانت سخرية الأعشى
من هذا السائل الذى أصابه القند .

ونمضى بعد ذلك فنرى النابغة الجعدى يتصرف فى كثير من الحماسة
فيحتد على الأعشى ، ويقذفه بكوز كان فى يده^(١) .

وموقف ابن القارح فى هذه المشادة مزدوج الدلالة ، وكأنا نراه
انشطر فى كلا الشخصين فما يوجه للأعشى هو موجه له كما فهمنا ،
وما يقوم به نابغة بنى جعدة هو أيضاً من ابن القارح ، وهذه هى
مقدرة أبى العلاء الفنية التى نقف أمامها مشهودين [إن الغفلة
والحماسة والفند كل أولئك أوابد يرمى بها أبو العلاء صاحبه] وإلا لم
اصطنع هذا الموقف ، وأدار الحديث على هذا النحو ؟ ثم لماذا اختار
نابغة بنى جعدة لهذا الدور بالذات ؟

(١) رسالة الغفران ص ٢٣١ .

والإجابة عن هذه الأسئلة تستدعى منا تفهماً لكيفية توظيف أبي العلاء للتراث ، فهو حينما يختار شخصية من الشخصيات التراثية يكون اختياره بمثابة إشارة أو إحالة على هذه الشخصية في كل ما عرف عنها ، وقد يكتفى أبو العلاء بجانب من الشخصية مطبئاً إلى إحاطة القارئ ببقية الجوانب ، وبهذا تلبو عديد من الشخصيات وكأنها جبال ثلجية لا يظهر منها على سطح الماء إلا رؤوسها .

علينا — إذن — أن نستخضر كل ما نعرفه من أمر أى شخصية يوظفها أبو العلاء .

والناطقة الجعدى كان محمقاً ولا شك ، وهذا ما أظهره أبو العلاء وما تظهره أخبار الناطقة ، ولكن هناك خطأ آخر أوماً إليه أبو العلاء إيماء ، وذلك حينما أظهر انخياز المجلس إلى الأعشى ، ثم انصراف الجعدى في ثوب الملوام المنصف . لقد غلب الجعدى — إذن — في المعركة برغم ما اشتط فيه من غضب . فإذا رجعنا إلى أخبار الجعدى عرفنا أنه كان هجاء ، ولكنه كان مغلباً لم يصمد أمام شاعر ، هاجاه أوس بن مفرء فغلبه ، وهاجاه كعب بن جعيل فغلبه ، وهاجته ليلى الأخيلية فغلبته^(١) . وما نظن إلا أن أبا العلاء يلوح بهذا الجانب في شخصية الجعدى ، وهو جانب وثيق الصلة بشخصية ابن القارح وهجائه الذى يريد أبو العلاء أن يصور فسولته .

وهكذا نرى أنفسنا من جديد نحوم حول آل المغررى ، وموقف ابن القارح منهم .

[وترك ناطقة بنى جمعة إلى ناطقة بنى ذبيان ، وكنا نظن أن الحوار في مجلس الندماء سيدور حول اعتذارياته للنعمان] فيها عرف ، وقيل عنه إنه أشعر الشعراء إذا رهب [ولكننا نفاجاً أن قصيدة الناطقة في وصف المتجردة هى الموضوع الشاغل ، يقول ابن القارح :

(١) الأغني ح ٥ ص ١١ .

« يا أبا أمامة ، إنك لرجلٌ حصيف الرأي ، فكيف حسن لك
لُبُّك أن تقول للنعمان بن المنذر :

زعم الهمام بأن فاهها باردٌ عذبٌ إذا ما دُقَّتْ قَلْتُ ازدِدِ
زعم الهمام ولم أدقّه بألّه يُشْفَى بِبَرْدِ ثَنَابِهَا الْعَطَشُ الصَّدَى

ونعود مرة أخرى لازدواجية الدلالة في فن أئى العلاء ، فاختيار
قصيدة المتجردة فيه ما فيه من الغمز باهتمامات ابن القارح وشواغله ،
ولكننا لا نظن أن هذا كان كل مقصد أئى العلاء .

ولعلنا لو رجعنا ببصرنا صفحة أو صفحات لرأينا هذه الأبيات التى
يقسم فيها النابغة بأغلظ الأيمان وأوكدها أنه ما قال من شئ يسئ إلى
النعمان ، نقرأ قوله :

فلا لعمر الذى قد زُرْتُهُ حَجَجاً وما هُرَيْقٌ على الأنصابِ من جَسَدِ
والمؤمن العاذباتِ الطيرَ تَسْحُهَا ركبَانِ مَكَّةَ بين الغيلِ والسَّيْدِ
ونقرأ قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك رِيَةً وهل يَأْتَمَنُ ذُو إِمَّةٍ وهو طَائِعٌ
بِمَصْطَحِبَاتٍ من لَصَافٍ وَثِيرَةٍ يَرُدُّنَ إِلَّا لَأْسِيرَهُنَّ تَدَالِغُ^(١)

فقيم القسم وهذه قصيدة المتجردة يدور حولها الحوار ؟ هو إذن
شاعرٌ كَنُوبٌ .

ولا بد أن نربط بين هذا الموقف وبين ما ورد في رسالة ابن
القارح ، إذ رأينا يحاول أن يبرر هجاءه للوزير المغمقى بأنه كان غصباً
للَّهِ ورسوله ، ويشهد الله على ما فى قلبه :

« وَيُغْضَى لَهُ — شَهِدَ اللَّهُ — حَيًّا وَمَيِّتًا أَوْجَبَةً

(١) رسالة النفران ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

أبْذُهُ بِمَازِيهِ الْكَعْبَةِ الذَّهَبِ وَالْفِطَّةِ ، وَضَرَبَهَا
دَنَانِيرَ وَدِرَاهِمَ ، وَسَمَّاهَا الْكَثِيمَةَ ^(١) .

ولعلنا الآن نذكر هذه الأبيات التي أوردها أبو العلاء لسويد بن
صميع في صدر رحلة الغفران وهي :

إذا طلبوا مني البمينَ منحتهم يمينا كبرد الأتحمي الممزي
وإن أحلفوني بالطلاق أتيتها على خير ما كنتا ، ولم نفرقي
وإن أحلفوني بالعتاق فقد درى عبيد غلامي أنه غير معتق ^(٢) .

[وهكذا نرى رحلة الغفران يفسر بعضها بعضاً ، فالشواهد
محسوبة ، والمواقف مرسومة ، والوقفات مخطط لها ، والشخص كلها
أقنعة .

ومن النابغة الذبياني إلى حسان بن ثابت ، ولأول وهلة نرى أن
حساناً لم يستدع إلى مجلس النداء ، وإنما كان مروره عارضاً ، ومن ثم
فهو شخصية ثانوية فما الذي استدعى ظهورها ؟ أكان مجرد مناشئته في
مدائحهِ لرسول الله ﷺ التي بدأها بالخمر ؟ ما نظن ذلك ...

وما إن يتحدث حسان حتى نبصر غاية المرمى ... يقول حسان
واصفاً سماحة الرسول ﷺ — :

« وقد شفع — ﷺ — في أبي بصير بعد ما
عكَّم في مواطن كثيرة ، وزعم أنه مُسَرَّ مَفْتَرِياً
وليس بمفتر ، وما سمع بأكرم منه ﷺ ، لقد أَلَكْتُ
فَجَلَدَنِي مَعَ «مسطح» ، ثم وهب لي أخت
مارية ^(٣) .

(١) رسالة الغفران ص ٦١ .

(٢) رسالة الغفران ص ١٣٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٥ .

ويلفتنا في العبارة أن حسانا يقرن نفسه إلى الأعشى ، وقد رأينا ما
يمثله الأعشى في الغفران .

ويلفتنا فيها ثانياً ذكر حسان لحادثة الإفك التي تولى هو ومسطح
كبرها ... فما الذي أوجب ذكر هذه الحادثة في حديث عن مقدمات
القصائد الحميرية ؟ ثم ما ذكر مسطح ١٩ وقد كان حسان في مندوحة
من ذكره .

وما نرى « مسطح » إلا جوهر الموقف ، فمسطح هذا الذي تولى
كبر حادثة الإفك لم يحفظ لأبي بكر صنيعاً ، وأبو بكر هو الذي كان
ينفق عليه ويرعاه^(١) . ألا نرى أنفسنا مرة أخرى مع ابن القارح الذي
لم يحفظ لآل المغربى صنيعاً ١٩ .

[هكذا يمدس أبو العلاء ما يريده دساً قد يمر على القاريه دون أن
يفطن ، وقد يخيل القاريه أنه استطراد عارض ولكن علينا أن نعرف
أننا نقرأ لأبي العلاء]

ويمضي أبو العلاء فيثير مناقشة لغوية حول بيت حسان :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه ، ويصبره سواء
والمناقشة اللغوية ، وما حذف من البيت ، وما ذكر ليست —
في ظننا — إلا تمويهاً على مرمى البيت الذي يفهمه ابن القارح جيداً ،
لكأن أبا العلاء يريد أن يفهم صاحبه أنه أقل من أن يلتفت إليه ،
وسواء هجاؤه لآل المغربى ومدحه ، وهذا متبهي السخرية .

ولا يريد أبو العلاء أن يصرف حسان بن ثابت قبل أن يستمر في
شخصيته جانباً آخر يمت إلى ابن القارح بسبب وثيق ، ففي غمرة
الحديث عن « من » المخدوفة نفاجاً بسؤال موجه إلى حسان ، وكنا

(١) انظر سورة النبي لابن هشام تحقيق محمد هي الدين عبد الحميد ج ٣ ص ٣٤٨ .

نتوقع أن يكون سؤالاً متصلاً باللغة والمخدوف منها والمذكور ، ولكن إذا به ينقلنا نقلة بعيدة عن هذا كله ، فيقول قائل :

« كيف جُبِّتْ يا أبا عبد الرحمن ؟ » .

وقد يكون غريباً أن يسأل إنسان عن جنبه ، ولكن نزول الغرابة إذا عرفنا أن السؤال موجه أساساً إلى ابن القارح وإن كان اتخذ من حسان بن ثابت معبراً .

★ ★ ★

[ونمضى مع أبى العلاء ، وإن غيظه المكظوم ليتساقط كسفاً على رأس ابن القارح ، فيبعد أن انفض مجلس المندامة ، كان هناك « عوران قيس » فى الانتظار] وقد يعجب القارىء من أمر هذا اللقاء ، وقد يتساءل : ولم العوران من قيس بالذات ١٩ ، وربما التفت إلى أبى أبا العلاء جاء من قبل بالأعشى ، وبحسان بن ثابت الذى عمى بأخرة من حياته ، فما بال ابن القارح بأهل هذه الزمانه ؟

قد يقال : إنها جنة الضرير فلن تكون الجنة جنة عند أبى العلاء إلا إذا ارتد كل من أصيب فى عينيه بصيراً ، وهذا قول الذكورة عائشة عبد الرحمن^(١) ، وهو قول صحيح لو كانت هذه الجنة التى صورها أبو العلاء جنة أخروية ، أما وقد عرفنا أنها ليست كذلك فلا بد أن نتوقف عند هذا الحشد من أصحاب تلك الزمانه .

ولعلنا — والأمر كذلك — أن نلتفت إلى ما جاء فى رسالة ابن القارح من شكوى عينيه :

« وكنت أكتب خمسين ورقة فى اليوم وأدرس

(١) انظر الغفران لأبى العلاء دراسة نقدية الطبعة الثالثة — دار المعارف ص ١٢٤ وما بعدها .

مائتين ، فصرت الآن أكتب ورقة واحدة ، وتحكى
عيناى حكاً مؤلماً ، وأدرس خمس أوراق
وتكَلِّ (١) .

أترى يتمنى أبو العلاء لصاحبه أن يكون واحداً من هؤلاء لقاء ما
قدم من عمل ١٩ ربما كان ذلك .

على أن الحوار الذى دار مع هؤلاء « العوران » لم يكن — فى
نظرنا — حواراً ذا بال ، إن هو إلا بعض استفسارات يستفسرها ابن
القارح ثم يمضى ، فما الخبيء وراء هؤلاء ١٩

ولقد عرفنا من أمر أبى العلاء أنه يومئ بالشخصية ، فلا يكون
ذكرها إلا إشارة باستحضار كل أخبارها ، إذن فلنعد إلى مصادرنا
لنتعرف إلى عوران قيس ...

أما ابن أحرر فكان أعور ، رماه رجل يقال له « مخشى » بسهم
فذهبت عينه ، وعمر تسعين سنة ، وسقى بطنه فمات ، ويقول فى
ذلك :

أَرْجَى شَاباً فطَرَهُمَّا وَصَحَّةً وكيف رجاء المرء ما ليس لاقيا
وكيف وقد جربت تسعين حجةً وضمَّ فؤادى نوبةً هى ماهايا
ولى كل عام يدعوان أطبَّةً إلى ، وما يُجَدُّون إلا المواهيا

ومن عجيب ما قالوا عن ابن أحرر أنه أكثر بيت آفات ، ويرثون
قوله :

ثَمَشَى باكتاف البليخ نساؤنا أراملٌ يستطعن بالكفِّ والفم
لقائد برسام وحمى وحصبة وجوع وطاعون وفقر ومغرم (٢)

(١) رسالة الغفران ص ٦٤ .

(٢) انظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٥٦ وما بعدها تحقيق أحمد شاكِر . وتظهر بعضُ شذات فحول
الشعراء ج ٢ ص ٥٨٠ تحقيق عماد شاكِر .

هي الآفات — إذن — يضعها أبو العلاء على طريق صاحبة متجسدة في شخصية ابن أحرر .

ونمضي بعد ذلك إلى « الراعي الحميري » ، و « تميم بن مقبل » فنرى صفة جامعة تجمع بينهما هي أن كلا منهما هجاء مغلب .

فالراعي الحميري مات ذلاً وحزناً إثر قصيدة جرير التي دمغه بها ، وكان منها البيت الذي سبق في سيره الركبان :

فغض الطرف إليك من تميم فلا كعباً بلغت ولا كلاباً^(١)

أما « تميم بن مقبل » فقد غلب عليه النجاشي ، كما غلب عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

وبشارك « الشماخ » الراعي وابن مقبل في صفة الهجاء ، غير أنه وإن لم يكن مغلباً فقد كان فاقداً للمروءة والنخوة ، هجا قومه ، وهجا ضيفه ، وضمن على الناس بقراه .

ويجمع الشماخ بابن مقبل بعد ذلك أن كلا منهما كان رفيق الدين ، فالشماخ كان في أوائل المرتدين ، وظل — حتى بعد عودته للإسلام — جاهل السم والطحاع^(٢) ، أما تميم بن مقبل فقد بلغ من رقة الدين أنه كان يكي الجاهلية بعد إسلامه ، وقد غوتب في ذلك فقال :

ومالني لا أبكي الدُّبَارَ وأهلها وقد زارها زُورًا غلًا وخميرًا
وجاء قطعاً الأجناب من كل جانب فوقع في أعطينا ثم طير^(٣)

(١) انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٥٠٢ ومقدمة ديوان الراعي .

(٢) انظر ما كتبه عمر الدسوقي في مقدمة ديوان الشماخ بن ضرر ، ط دار المعارف ص ١٠ .

(٣) انظر طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ١٥٠ ، الأجناب : جمع جب وهي البئر الكثيرة الماء .

لم يبق من عوران قيس إلا حميد بن ثور ، وهو مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، وفهم من شعره أنه كان منكباً في شبابه على
اللذات يقول مثلاً :

فلا يعد الله الشباب وقولنا إذا ما صبونا صبوةً ستؤب
ليالي سمع الغانيات وطرفها إلى ، وإذ رمحي لمن يتؤب

ونعرف فيه كذلك ألواناً من التحايل ، فحينما منع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الشعراء من التشبيب بالنساء تحايل حميد بن ثور فتغنى
بسرحة مالك يكتى بها عن المرأة فقال :

أبى الله إلا أن سرحةً مالك على كل أفنان العضاء تروق^(١)

على أننا نظن أن أبا العلاء ما جاء بحميد بن ثور إلا لينطقه ببعض
أبيات فيها تعريض بآبن القارح ، وهذا جانب لافت في فن أبي العلاء
إذ كثيراً ما يأتي بالشخصية محل الشاهد .

يقول ابن القارح لحميد : « لقد أحسنت في الدالية التي أولها :

جِلْبَانَةٌ وَزَهَاءٌ ، تَخْصِي حِمَارَهَا بِنَى مِنْ بَنَى خَيْراً لَدَيْهَا الْجَلَامُ
إِزَاءَ مَعَاشٍ لَا يَزَالُ يُطَافُهَا شَدِيداً ، وَفِيهَا سُورَةٌ وَهِيَ قَاعِلٌ^(٢) »

والبيت الأول — وهو في نظرنا محور التلويح — يصف امرأة
صخابة ، قليلة الحياء (تَخْصِي حِمَارَهَا) ، لا يرجى لديها الخير ، وكل
هذه المعاني موجهة لابن القارح .

ونخصي الحوار في الغفران فترى ابن القارح يظهر إعجابه بأبيات
أخرى في دالية حميد :

تَأْوِبُهَا لِي لَيْلٍ نَخْسٍ وَقَرَّةٍ خَلِيلِ أَبُو الْحَشَمِ حَاشِ وَاللَّيْلِ بَارِدُ
لِقَامٍ يُصَادِيهَا فَقَالَتْ : تَرِيدُنِي عَلَى الزَّادِ؟ شَكْلُ بَيْنَتَا مُبَاعِدِ^(٣)

(١) معجم الأدباء ج ١١ ص ١٠ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٦٤ ، جيلانة : صخابة كثيرة الكلام . وزهاء : حرقاء .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٦٥ ، مصاديها : يعارضها ويذريها .

ونشعر كأن البيت الثاني موجه من أبنى العلاء لابن القارح ، وكأنه يقول له : كيف تريدنى صاحبا وشكلا متباعدا ١٩ .

وهكذا نحس أن هذا الحوار الظاهري بين « ابن القارح » و « حميد » يخفى تحته حواراً آخر بين أبنى العلاء وابن القارح ، موّه عليه أبو العلاء بأن أورد الأبيات وكأنها مدار لحديث نقدي ، ومن هنا ينبغي أن نكون على حذر بصدد هذه الأحكام النقدية ، التي نحس أن كثيراً منها مجرد لفت للقارىء إلى الخبيء المستكن تحت الظاهر .

[وبعد فهؤلاء هم عوران قيس أوحى أبو العلاء من خلاهم لصاحبه ما أوحى من ازدراء بهجائه ، ومن وصمه بالشح والبخل ، وشرّة الطبع ، وقلة الحياء ، فضلاً عما بشره به من سوء المصير والعاقبة متمثلاً في العور ، والاستقساء ، والبرسام ، والحمى ، والخصبة ، والذل المميت إلى غير ما حفلت به سير أولئك العوران من آفات ، على أنك — لا بد مدرك — أن كل ذلك أو بعضه موصول بموقف ابن القارح من الوزير المغربي وآله .]



[على أن قضية آل المغربي في الغفران لم تتم فصولاً ، ولم تزل تتضرم سعيراً تحت ألوان النعيم التي ملأ بها أبو العلاء جنته ، ولم تزل أصداء هذه القضية تتأثر هنا وهناك ، وتتزيى بزي أو بأخر على امتداد رحلة ابن القارح في الغفران .

وما يستوقنا في هذه الرحلة « حمدونة » و « توفيق » اللتين تمثلنا لابن القارح حوريتين ، وكانت « حمدونة » تسكن في الغانية باب العراق بحلب ، وكانت من أقبح النساء ، طلقها زوجها لرائحة كرهها في فمها ، وأما « توفيق » فكانت امرأة سوداء تخدم في دار العلم ببغداد ، وقد أقبل عليهما ابن القارح مبهوراً بجمالهما ، مستمتعاً

بفتنتهما ، حتى إذا كان في ذروة متعته كشفت له كل منهما عن نفسها ، وكيف كانت في الفانية^(١).

وقال الباحثون إن أبا العلاء يجسد هنا مبدأ التعويض ، وأن من حرم شيئاً في الدنيا رزقه في الآخرة^(٢) ، على أن هذا لا يجب عن تساؤل حائر : لم نقص أبو العلاء على صاحبه متعته فكشف له عن حقيقة « حملونة » و « توفيق » ، إن أبا العلاء صنع بصاحبه صنع صاحب وليمة ملأها لضيفه بأطياب الأطعمة ، حتى إذا طعم الضيف وأتخم ، قال له : أتدرى ماذا أكلت ؟ لقد أكلت جيفة مثنتة !

ولعل هذا هو ما أورد أن يوصله أبو العلاء لصاحبه من وراء قصة « حملونة » و « توفيق » ، لكأنه أراد أن يلفت ابن القارح إلى وخم مرعاه ، وإلى أنه باع نفسه بثمن بخس ؛ لذة زهيدة ، قبيحة المنبت ، سيفة المآل .

ومن اليسر في هذا السياق أن نفهم لقاء ابن القارح بالحطيفة على وجهه الصحيح ، ونترك المغزى فيه والمرمى .

ولعلنا نرى منذ البداية ما أعده أبو العلاء للحطيفة من منزل حقير ، فبيته في أقصى الجنة كأنه جفش أمية راعية ، وعنده شجرة قميقة ، وهو لم يصل إلى هذا إلا بعد هياط ومياط ، ثم هو — بعد — كأي الوجه ، ليس عليه نور سكان الجنة^(٣) ، وكل أولئك تجسيد لدنو المنزل ، وسفول المكانة .

ويدور الحوار بين ابن القارح والحطيفة فيعرف ابن القارح أن الحطيفة ما وصل إلى الشفاعة في الآخرة إلا ببيته :

(١) انظر رسالة الغفران ص ٣٠٧ ، اخفش : البيت الصغير . بعد هياط ومياط : بعد شدة .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٣) انظر الغفران ، دراسة نقدية د . عائشة عبد الرحمن ص ١٢٥

أَبْنُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمَا بِهِخَر ، فَمَا أُدْرِى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَ اللَّهِ خَلَقَهُ فَتَبَيَّحَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَقَبَّحَ حَامِلُهُ

ومرمى البيتين واضح ... لكأن أبا العلاء يريد أن يقول لابن القارح إنك لو أنصفت لهجوت نفسك بدلاً من هجائك الناس ، ولعلك لو فعلت لكنت من الصادقين .

ثم يمضى الحوار فيسأل ابن القارح : ما شأن الزبرقان بن بدر ؟ فيقول الخطيب : هو رئيس في الدنيا والآخرة ، انتفع بهجائى ولم ينتفع غيره بمدحى .

وما نرى الزبرقان في هذا الحوار إلا معادلاً للوزير المغربي ، الذى عاش رئيساً في الدنيا ، ولن يضره هجاء ابن القارح أو غيره ، بل إن هذا الهجاء حسنات تضاف إلى مذخور أعماله .

★ ★ ★

ولا نريد أن نترك قضية آل المغربي دون أن نخرج على حنة الحيات ، وقد رأينا فيها الحية القارئة ، وحية ذات الصفا ، وما نرى في الحيتين إلا أبا العلاء ، مثلت الحية القارئة جانباً من علمه ، وورعه ، أما حية ذات الصفا ، فقصتها معروفة ، ونكاد نسمع من خلالها صوت أبى العلاء موجهاً إلى صاحبه قبيل نهاية رحلة الغفران : كيف آمن لك ، وينطلى على عداك وتغويبك ، ومازال ما صنعتك آل المغربي مثلاً للأعين ، أو على حد المثل المروى على لسان الحية : كيف أعاودك وهذا أثر فأسك ؟!

هكذا وقع هذا الحضب الناكز الذى رأينا تفحمه في بداية الغفران على حية ، بل حيات ...

★ ★ ★

[ويستفرغ أبو العلاء شخصيات التراث من أصحاب المغامر والآفات ، ولا يستفرغ غضبه على ابن القارح ، فلماذا لا يدع له شخصية تستوعب ما بقى من مخازيه ، ومثالبه ، ويفرغ فيها ما يخزنه لصاحبه من احتقار وازدراء ؟ وكانت شخصية « أبى هدرش » .

وقد تغنن أبو العلاء فى رسم هذه الشخصية ، فأبو هدرش جنى من الجان المؤمنين ، آمن بعد ماض طويل فى المعصية فأدخل جنة العفارىت ، وهى جنة ليس عليها النور الشعشعانى ، وإنما هى ذات أدحال وغماليل ، أى ذات مسارب وأشجار متراكمة ملتفة مظلمة ، وأهلها يأوون إلى مغارات ، وعلى باب مغارة من هذه المغارات جلس أبو هدرش . وما نرى هذه الأدحال والغماليل إلا أدحال ابن القارح وغماليله ، أحقاد ، وضغائن ، وأدواء نفسه .

ويمضى أبو العلاء — على عادته — ليقرب بين القرين وقرينه ، ويحكم بينهما ألواناً من التماثل والتشابه ، فيصور أبى هدرش شيخاً أشيب وهى صورة تقف فى خط مواز مع صورة ابن القارح الذى جاوز السبعين . ويشير أبو العلاء إلى أن أبى هدرش كان يملك الحولة فى دنياه ، وحرمها فى آخرته ، أى أنه كان يستطيع أن يتشكل فى أشكال مختلفة فيتحول من صل إلى جرد ، إلى هر ، والحولة هذه تقع من ابن القارح فى مغمز فهو الذى استطاع أن يتقلب بنفاقه بين تيارات مختلفة ، ويبدو لكل فريق بالوجه الذى يعجبه .

ويبدأ أبو هدرش فى إنشاد أشعاره ، وهى أشعار صنعها أبو العلاء متعملاً لشخصية « أبى هدرش » ، أو قل لشخصية ابن القارح [ينشد أبو هدرش قصيدتين الأولى رائية والثانية سينية ، وكلتا القصيدتين تصور ماضياً عامراً بالمنديات والخزريات ثم توبة وطاعة ، أليس هذا شأن ابن القارح ، وما يدعيه من التوبة بعد حياة حافلة بالآثام ؟

وفي القصيدة الرائية بيت لا يمر علينا بسهولة ، ولا يخفى علينا ما
يحملة من سخرية ، فبعد أن تحدث أبو هدرش طويلاً عن مآثمه يقول :
ثم انْقَطَعَتْ وصارث توبتي مثلاً من بعد ما عشت بالعصيان مشهورا
أرأيت إلى هذه التوبة التي صارت مثلاً ؟ أليست أجدر بأن تكون
توبة ابن القارح المدعاة ؟

وإذا انتقلنا إلى القصيدة الثانية نتوقف عند قول أبي هدرش :

وقام في الصفوة من هاشم أزهرُ لا يفعلُ حقَّ الجليسِ
يسمع ما أنزل من ربه القُلُوسُ وخياً مثل قرع الطيسِ
يجلُدُ في الخمر ، ويشتدُّ في الأُمسِر ، ولا يُطَلِّقُ شرب الكيسِ
وَيُرْجِمُ الزاني ذَا العرسِ لا يقبلُ فيه سؤْلَةٌ من رئيسِ
إن أبا هدرش لم يذكر من أمر النبي ﷺ — إلا أموراً ثلاثة ،
هي رعاية حق الجليس ، والجلد في الخمر وتحريم شربه ، ورجم
الزاني ، فهل هذا كل أمر الإسلام ؟ أو أن كل واحد من هذه الأمور
الثلاثة يمس جانباً من شخصية ابن القارح ، ويناله في مطعن .

[هكذا تعكس شخصية أبي هدرش شخصية ابن القارح على نحو من
الأنحاء ، ولقد تفنن أبو العلاء في عرض ماضيها المعرق في الإثم
والضلالة ، وحرب الله تحت راية إبليس ﷺ]

وحسبك أن تقرأ من القصيدة الرائية :

وكت ألف من أتراب قُرْطِيَّةٍ نحوذاً ، وبالصين أخرى بنت يغبورا
أزور تلك وهذي ، غير مُكْتَرَبٍ في ليلة قبل أن أستوحج النورا
ولا أمر بوحشئ ولا بشر إلا وغادرته ولهان مذعورا
أزوغ الزَّليجَ إلماً بنسوتها والرؤم والرك والسقلاب والغورا

وأركب الهَيْقَى في الظلماء محسباً
وأحضر الشَّرَبَ أغروهم بأبدية
فلا أفارقهم حتى يكون لهم
أما القصيدة السينية فمعرض عليك منها :

لا تسك في أيامنا عندنا
فالأخذ الأعظم، والسب، كال
لا مخس نحن ولا هؤود
ثمزق التوراة من هوليها
نحارب الله جنوداً لإله
نسلم الحكم إليه إذا
نزين للشارخ والشيخ أن يف
بل لكيس الدين لما إن نكيس
الثين، والجمعة مثل الخميس
ولا نصارى يعفون الكيس
ولحطم الصليبان حطم الييس
ليس أسمى الرأي العيين التجيس
قاس، فترضى بالضلال العيس
سرغ كيساً في العننا بعدكيس
هكذا يشوى أبو العلاء صاحبه على جمر جنته إن جاز لنا التعبير .

★ ★ ★

[لعلنا وبعد هذه الصحبة لشخصيات الغفران قد فهمنا بعض أسرار
أبي العلاء في الإيماء ، وفي توظيف التراث] ولعلنا الآن نستطيع أن نفهم
سر هذه الوقفة الطويلة التي وقفها أبو العلاء عند بيتي الثمر بن تولى .
لَمْ بصُحْبَتِي وهم هجوعٌ خيالٌ طارقٌ من أمِّ حصنٍ
ها ما تشتهي : عسلاً مصفى إذا شأنت وحوارزى يستن
إذا راح في استطراد طويل يقلب روى البيتين على حروف
المعجم ، وقد يكتفى باحث أن يرصد من هذا ميل أبي العلاء
للاستطراد ، ولكن لم استطرده أبو العلاء هنا بالذات ؟! هذا هو
السؤال .

(١) انظر : ذكر النعمان ، ذنب الرعد ، الثور الوحشي .

وفي ظننا أن الاستطراد هنا توقف بالقارىء عند هذه الشخصية التى ورد ذكرها وكأنه عرضي ، ليعلم الصفة الجامعة بينها وبين ابن القارح ، وما إن نعود إلى أخبار التمر بن تولب حتى يتكشف لنا سر توقف أبى العلاء واستطراده ، لقد كان التمر بن تولب من الذين أُهتَرُوا في آخر عمرهم ، وكان يلهج بقوله : اسقوهم صبحاً ، أصبحوا الركب ، أغبقوا الركب^(١) .

هذا إذن !! ، ولعلنا بعد ذلك نعيد النظر في استطرادات أبى العلاء .

[وما نلفت له أيضاً ، أن أبأ العلاء قد يلوح باسم الشخصية مجرداً وهذا ما نشتمه في شخصية أبى ذؤيب ، فهو وإن أسهم بنائقة التى يحتلبها في تجسيد متع الجنة العلائية ، فإن اسمه يسهم في تجسيد مخازى ابن القارح ، ويكفى أنه من اسم الذئب مصوغ .

كذلك نرى بعض الشخصيات جسدها أبو العلاء ليجبه ابن القارح من خلالها بما يريد ، وقد ألحنا إلى شيء من ذلك في شخصية « حميد بن ثور » ، وفي ظننا أن أسد القاصرة من هذا القبيل ، ولكأن أبأ العلاء جسدها لنا هذا الأسد لسمع ابن القارح دعوة يود أن يدعوها عليه ، وهى دعوة الرسول — ﷺ — على عتبة : « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » وتبقى بعد ذلك شخصيتنا « زهير » و « لبيد » وهما يمثلان الجانب النظيف في الغفران ، وهو جانب لا بد منه ، ليم التفرع من خلاله ، وليفصح بنقائه دمامة الوجه القبيح .

(١) انظر الصاعل والشاحج ص ٢٧٦ .

الفصل الثالث

الإلغاز والإيماء في الغفران

[أبو العلاء لا يعطى نفسه لقارئه بسهولة ، وإنما على القارئ أن يخرق إليه حجباً عديدة لعل أيسرها حجاب غريب اللغة ، أما ما وراء ذلك فاللون من التمويه والتخفى ، وصرف القارئ بالظاهر عن الباطن ، والتلفيف الذى قد يضل القارئ فى غماليه ومساره .

ولعل أخفى ما واجهنا فى الغفران هو تلويح أبى العلاء ببيت يذكره من قصيدة إلى بيت أو أبيات منها أو إلى القصيدة برمتها ، ويورد أبو العلاء ما يذكره ملففا برأى نقدى ، أو يجعله موضوعاً لمحادثة لغوية ، أو ما إلى ذلك من المواقف التى يخترعها أبو العلاء ليورد البيت أو الأبيات التى هى مجرد إيماء أو إشارة لبيت أو أبيات غيرها .]

[وكان ما لفت نظرنا إلى هذه الظاهرة ما أداره أبو العلاء فى غفرانه من حوار بين ابن القارح والراعى التميمى ، إذ يسأل ابن القارح الراعى التميمى :

« أحق ما روى عنك سيبويه فى قصيدتك اللامية التى تمدح بها عبد الملك بن مروان من أنك تنصب « الجماعة » فى قولك :

أيام قومي والجماعة كالذى لزم الرّحالة أن تميل مَبِيناً
فيقول : حق ذلك » (١) .

ويكتفى ابن القارح بهذا الرد فلا يعقب ، ولقد عجبنا كثيراً لهذا الحوار ، ولهذا التشكك الذى أبداه ابن القارح فى قول « سيبويه » دون أن يذكر مبرراته ، ثم لهذا الإقرار والتسليم دون محاولة لمعرفة الأسباب التى حدثت بالتميمى لنصب الجماعة ...

وخطر لنا خاطر : أليكون أبو العلاء لا يقصد هذه المحادثة لذاتها ؟ أعل فى البيت معنى يلوح به أبو العلاء ؟ وبدا لنا البيت غسبلاً لا يحمل شيئاً ، أعل أبا العلاء أراد أن يلوح بأبيات أخرى من القصيدة

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٣ .

التي منها هذا البيت ؟ ورجعنا إلى ديوان النخعي فإذا بعد هذا البيت مباشرة :

وتركت كل منافق متقلب وجد التامل ديتيه مدحولا
ذخري الحقيية ما تزال قلوبه بين الخوارج هرة وذويلا^(٢)

وما أخرى هذا أن يكون مرمى إلى العلاء ومبتغاه ، يلوح به لنفاق صاحبه ، وتقلبه ، وتلونه ، وخبت دينه^(٣)

وذكرنا على الفور قصة أبي العلاء مع الشريف المرتضى ، إذ كان المرتضى متعصباً على المنتبي يزرى به في مجلسه ، فقال أبو العلاء :

لو لم يكن للمنتبي من الشعر إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى ، وأمر بإخراج أبي العلاء من مجلسه إذ فهم أنه يلوح ببيت من هذه القصيدة هو :

وإذا أتتكَ مَدْمُتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل^(١)

إلهو أسلوب — إذن — أتقنه المعري، وعرفه عنه معاصروه ، وكان علينا أن نراجع شواهد الغفران من جديد ، وبخاصة تلك التي لفها أبو العلاء بآراء نقدية ، أو مسائل لغوية^(٤)

وكانت وقفنا الثانية مع أبي على الفارسي في محشره ، وقد امترس به قوم يظالبونه ، ويقولون : تأولت علينا ، وظلمتنا ، ومنهم يزيد بن الحكم الكلاني وهو يقول : ويحك أنشدت البيت برفع الماء ، يعني قوله :

فليت كفافا كان شرك كُله وخيرك عنى ما زوى الماء مرتوى

(١) ديوان الرامح النخعي ص ٢٣٤ ، ذخري الحقيية : وعلى الأمانة .

(٢) معرف القدماء بأبي العلاء ص ٢٦٧ .

ولم أقل إلا الماء ، وكذلك زعمت أنى فتحت الميم فى قولى :
تبدل خليلاً نى ، كشكلك شكله فإنى خليلاً صالحاً بك مفتوى
وإنما قلت مفتوى بضم الميم ^(١) .

وقد تشككنا أيضاً فى مغزى هذا الحوار ، وقيمته ، فرجعنا إلى
قصيدة يزيد بن الحكم ، فيها لنا ما نقرأ ، إنها تلخيص كامل لقضية
الغفران ، ولتقرأ معنا ما يقوله يزيد بن الحكم :

لَكَاشِرُنِي كَرِهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ
وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَلَوكَ لِي دَوِي
لَسَائِكَ مَا ذِي ، وَغَيْبُكَ عِلْقَمٌ
وَشُرُّكَ مَبْسُوطٌ ، وَغَيْرُكَ مُنْطَوِي
فَلَيْتَ كُفَافًا كَانَ خَيْرَكَ كُلَّهُ
وَشَرُّكَ عَنَى مَا ارْتَوَى الْمَاءُ مُرْتَوِي
عُدُوكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيْتَهُ
وَأَنْتَ عَلَوِي لَيْسَ ذَاكَ بِمَسْعُورِي
نُصَافِحُ مِنْ لَاقِيَتَ لِي ذَا عِدَاوَةٍ
صَفَاحًا ، وَغَيْبِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُتَزَوِي
أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوُ أَمْرًا هَوِيَّتَهُ
وَلَسْتُ لَمَّا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِي
أَرَاكَ اجْتَرَيْتَ الْخَيْرَ مِنِّي ، وَأَجْتَرِي
أَذَاكَ ، فَكُلُّ يَجْتَرِي قَرَبَ مُجْتَرِي
وَكَمْ مَوْقِفَ لَوْلَايَ طَبَحْتُ كَمَا هَوَى
بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ الْبَقِي مُنْهَوِي
إِذَا مَا ابْتَدَى الْجَمْدُ ابْنَ عَمَلِكَ لَمْ تَعْنِ
وَقُلْتُ : أَلَا يَا لَيْتَ بَنِيَّاهُ خَوِي

(٢) رسالة الغفران ص ٢٥٤ .

فإنك إن قيل : ابن عمك غانم
 شج أو عميد أو أخو مغلة لوى
 تملأت من غيظ على فلم يزل
 بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تسوى
 وما برحت نفس حسود حسبتها
 تديك حتى قيل : هل أنت مكتوى
 وقال النطاسيون : إنك مُشْتَرَى
 سُلَلا، ألا بل أنت من حسيد ذوى
 جمعت وفحشاً غيبةً وغيمَةً
 خصالاً ثلاثاً لست عنها بمُرْعَوَى
 أَلْخَشَأَ وَجُنْبَأَ وَاحْتِئَاءَ عَنِ الثَّدَى
 كأنك أَلْقَمَ كَدِيدَ قَرٍّ مَحْجَوَى
 فيدحو بك الداحى إلى كل سِوَاةٍ
 فيأشر من يدحو بأطيش مدحوى
 بدا منك غش طالما قد كتمته
 كما كتمت داءَ ابنها أم مُلَوَى^(١)

ولسنا — بعد — بحاجة إلى تعليق ، فقد صح ما توقعنا ، وتجلت
 بذلك ظاهرة من ظواهر الأسلوب العلائى فى الغفران .

وقد وقفنا من هذه الظاهرة على عديد من الشواهد ، نوردنا فيما
 يلى :

١ — يقول ابن القارح لعدى بن زيد : إني أريد أن أسألك عن
 بيتك الذى استشهد به سيبويه :

أَرْوَاحٌ مُؤَدَّعٌ أَوْ بُكُورٌ أَنْتَ فَانْظُرْ لَأَيِّ حَالٍ تُصِيرُ

(١) الأمل ح ١ ص ٩٦ ط الهيئة للصرة العامة للكتاب ، التيق : أرفع موضع فى الجبل ، الكدية :
 الأرض الفليظة الصلبة .

وتدور المناقشة حول قول سيبويه برفع أنت بفعل مضمر يفسره
الفعل « انظر »^(١).

وفي ظننا أن ما يرمى إليه أبو العلاء من قصيدة عدى هو قوله :
ويقول العداة : أودى عدى . وعديّ بسُحِطِ رَبِّ أسير
أيها الشامت المُمَيَّر بالدهـر أنت المبرأ المؤفـور
أم لديك العهد الوثيـق من الأيـام بل أنت جاهل مغرور^(٢)

ولا يخفى ما في الأبيات من تقرير لابن القارح على موقفه من
الوزير المغربي الذي استشعر فيه أبو العلاء لونا من الشجاعة [

٢ — يقول ابن القارح لعدى : جئت بشيعين في شعرك وددت
أنك لم تأت بهما ، ويذكر له منهما قوله :

لصاف يفرى جُله عن سرائه يبد الرهان فارها متابعا^(٣)

ولعل ابن القارح كان يريد أن يحاور صاحبه في وصف الفرس
بالفارح بينما ذاك من صفة البرذون والحمار ، ولكن العجيب أن ابن
القارح يقطع الحوار بعدما قال له عدى بعبادته :

« يا مكبور (أى يا مجبور) لقد رزقت ما يكب (أى يجب) أن
يشغلك عن القريض ، وانصياح ابن القارح وقطعه الحوار يوحيان بأن
الحوار ليس هو المقصود ، وكذلك البيت موضوع الحوار ، وإنما هو
فيما نظن قول عدى من ذات القصيدة :

وما خئت ذا عهد وأبث بعهد ولم أبحرم المضطر إذ جاء قانعا^(٤)

وهو تلويح بخيانة ابن القارح وشحه .

(١) رسالة الغفران ص ١٩١ .

(٢) شعره النصرانية ح ٤ ص ٤٥٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٠٠ ، ويفري : يمزق ، والجل : ما تلبه الدابة لتعان به .

(٤) شعراء النصرانية ح ٤ ص ٤٧٢ .

٣ — يقول ابن القارح لصاحبه من الشعراء اجعلوها ساعة منادمة
فإن من قول شيخنا العبادي :

وسماع يأذنُ الشيخُ له وحديثٌ مثل ما ذُيِّ مُشارٍ^(١)
وأبو العلاء يقصد قول عدى :

ليت شعري عن دخیلٍ يَفْتَرِي حيثما أدرك ليل ونهاري
لامرئٍ لم يَلْ مني سَقَطَةً إن أصابته مَلَمَاتُ العِثَارِ
قاعداً يكرِبُ نفسى بَثْها وحرماً كان سجنى واحتصارى
نحنُ كُنا قد علمتم قبلكم عُمد البيت وأوتاد الإحصارِ^(٢)

وأبو العلاء يلوح إلى اقتراعات ابن القارح عليه ، وما رماه به من
تهم في معتقده ، محاسباً له على ما يشه في سجنه واحتصاره تنفيساً عن
ألمه ، ثم يأتي البيت الأخير تحذيراً من الاغترار بالدنيا والركون إليها ،
وتلك معان يريد أن يشهها أبو العلاء لصاحبه .

٤ — يخطر لابن القارح أن يحاور حسان بن ثابت في أشياء منها
قوله :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء^(٣)
وأبو العلاء يقصد مع هذا البيت ما يليه من قصيدة حسان :

أتهجوهُ ولست له يكفُّ فشركا لخير كما الفداء

٥ — يلتقى ابن القارح بالشماخ فيجده قد نسي شعره من هول ما
لقى في محشره ، فيقول له :

« وإن شئت أن أنشدك قصيدتيك فإن ذلك ليس بمتعذر عليّ

(١) رسالة الغفران ص ٢٠٣ .

(٢) شعراء النصرانية ج ٤ ص ٤٥٤ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٦ .

فيقول : أنشدني ضفت عليك نعمة الله ، فينشده :

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى بَطْنُ قُرْ لَمَّا تَرُ

فَذَاثُ الْقَضَا فَاَلْمَشْرِفَاثُ الْوَاهِيَا^(١)

ولعل مرمى أبى العلاء من هذه القصيدة قول الشماخ :

وَمَرْبِئَةٍ لَا يُسْتَقَالُ بِهَا السَّرْدَى

لَلْأَفَى بِهَا حَلَمَى عَنِ الْجَهْلِ حَاجِرَا^(٢)

وهو تحذير من كاظم لغيظه .

٦ — يلتفت ابن القارح فإذا بجبران العود الثميرى فيحييه ، ويرحب به ، ويقول لبعض القيان أسمعنا قول هذا المحسن :

حَلَنَ جِرَانُ الْعَزْدِ حَتَّى وَضَعْتَهُ بَعْلِيَاءَ فِي أَرْجَائِهَا الْجَنُّ تَعْرِفُ
وَأَحْرَزَنَ مَنَا كُلَّ حُجْرَةٍ مِثْرِي لَهْنٌ وَطَاخُ الْوَفْلِ الْمُزْخَرِفُ
وَقَلَنَ تَمْتَعُ لَيْلَةُ الْتَائِي هَذِهِ فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ غَدًا أَوْ مُسَيِّفُ^(٣)

ونظن أن أبى العلاء يلوح بما في هذه القصيدة من وصف للقردة :

يَلْفَهَنُ الْحَاجُّ كُلَّ مَكَاثِبَ طَوِيلُ الْعَصَا ، أَوْ مَقْعِدُ يَتَزَخَفُ
وَمَكْمُوتِي زَمْدَاءَ لَا يَخْلُدُ وَثَهَا مَكَاثِبُ تَرْمِي الْكِلَابَ وَتَحْدَفُ
رَأَتْ وَرَقًا بَيْضًا فَشَدَّتْ خَزِيمَهَا هَاهُنَا أَمْضَى مِنْ سُلَيْكٍ وَالْأُطْفُ^(٤)

ويريد أبو العلاء بهذه الأبيات أن يغمز جانباً يعرفه في صاحبه .

٧ — يقول له امرؤ القيس بعدما سمع ما ينسبه الناس إليه من تسميط : أبعد كلمتي يقال لي مثل ذلك ، ومن كلمتيه هاتين البائيتي :

خَلِيلِي مَرَا لِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبٍ لَأَقْضَى حَاجَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدِبِ^(٥)

(١) رسالة الفران ص ٢٣٩ .

(٢) ديوان الشماخ بن ضرار ١٦٧٤ .

(٣) رسالة الفران ص ٢٧٧ .

(٤) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٢١ .

(٥) رسالة الفران ص ٣١٩ .

وأبو العلاء يلوح ببيت امرئ القيس في هذه القصيدة :
 وإنك لم يفخرْ عليك كفاخرٍ ضِعِيفٌ ، ولم يغلبك مثل مغلبٍ
 والمقصد مفهوم ، وقد رأينا كيف جمع أبو العلاء لصاحبه من
 الشعراء المغلبين النابغة الجعدي ، وعميم بن مقبل العجلاني ، والراعي
 الحميري .

٨ — يقول ابن القارح محاوراً امرأ القيس : كيف ينشد قولك :
 جالت لتصرعني فقلت لها: قري إلى امرؤٍ صرعى عليك حرام
 أقول : « حرام » فتقوى ، أم تقول « حرام » فتخرجه مخرج
 « حدام » و « قطام » (١) ؟

ونظن أنا أبا العلاء يعني من أبيات هذه القصيدة قول امرئ
 القيس :

أبلغ سبيماً إن عرضت رسالةً إلى كهنتك إن عشوت أمامي
 أقصر إليك من الوعيد فإني إنما ألقى لا أشد جزأسي
 وأنا المنه بعدما قد توموا وأنا المعلن صفحة النوام
 وأنازل البطل الكرية نزاله وإذا أناضل لا تطيش سهامي (٢)

والأبيات استهانه بابن القارح ، وتوعده به ، وإشارة إلى ما ينتظره
 على يدي أبي العلاء .

٩ — يدير ابن القارح حواراً مع عنترة حول قصيدته :

هل يجادر الشعراء من متردم

وهل صحيح أن المعاني يمكن أن يستفدها الشعراء ؟ (٣)

وينبغي أبو العلاء من هذه القصيدة قول عنترة :

(١) رسالة الغفران ص ٣٢٠ .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١١٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٣ .

بعت عمرا غير شاكر نعمتي والكفرُ نجبةٌ لنفس النعم
وقوله أيضاً :

ولقد خشيتُ بأن أموت ولم تدرك للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامئ عريضى ولم أشتِهُمَا والناذرَين إذا لم ألقهما دمي
والتلويح هنا بكفران النعمة ، والجحود ، والجبن ، والتوقع ، وكل
أولئك موصول بقضية الغفران وبواعثها .

[١٠ - يقول ابن القارح للمرقش الأكبر :

« وإن قوما من أهل الإسلام كانوا يستزرون بقصيدتك الميمية التى
أولها :

هل بالديار أن تحيب صمم لو كان سحياً ناطقاً كلّم
وهى عندى من المفردات »^(١)

والتلويح هنا باليتين :

لسنا كأقوام مطاعهم كسب الحنا ، ونهكة المخرم
إن يخصبوا يغتوا بخصبهم أو يُجدبوا فهم به الأمم^(٢)

غبت المطعم ، ونهكة المحرم ، والبطر على الخصب ، واللؤم الملازم
كل أولئك مرتبط بالقضية الأساس وهى قضية آل المغرى .

١١ - يسأل ابن القارح المرقش الأصغر عن قصة « جناب »
وقوله فيه :

فألى جناب حلفة فأطعته

فنفسك ولّ اللؤم إن كنت لائماً^(٣)

(١) رسالة الغفران ص ٣٥٦ .

(٢) الفضليات ص ٢٣٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٥٧ .

ويقصد أبو العلاء قول المرقش من القصيدة :

ألم تر أن المرء مرةً يجليهم كفه

ويجشهم من لؤم الصديق المجاشعاً^(١)

أى أن المرء قد يقطع كفه ، ويجشم المجاشع خشية أن يلومه صديقه ، وعلى هذا فالبيت تعريض بالوفاء المفقود لدى ابن القارح .

١٢ — يقول للمهلل عدى بن ربيعة :

« يا عدى بن ربيعة ، أعزز على بولجك هذا المولج ، لو لم آسف عليك إلا لأجل قصيدتك :

ألتا بلدى حُسم أنيسرى إذا ألت انقضيت فلا تحورى
لكانت جديرة أن تطيل الأسف عليك »^(٢) .

ومظنة التلويح قول المهلهل :

فلو لبشَ المقابر عن كُليبٍ ليعلمَ بالذنائب أى زير

وهو سخرية من ابن القارح الذى قام يعظ بعد ماض حافل بالمعصية ، فلو قام أبو القاسم المغربى من قبره ليبصر أى داع صاحبه !!

١٣ — يشير ابن القارح حواراً حول الآية : « وإذ قال إبراهيم رنى أرنى كيف نحى الموى » ثم يتطرق إلى أساليب العرب حول القائل بوجه الخطاب لغيره وهو يعنى نفسه ممهداً بذلك لبيت الحادرة :

بَكَرَتْ سُمَيْةٌ غَدَوَةٌ فتمتع وغدت غلوةً مفارقٍ لم يربع^(٣)

وهو يشير من هذه القصيدة إلى البيتين :

(١) المفضليات ص ٢٤٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٥٣ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٢ .

أُسْمِيَّ وَيُحَاكِ هَلْ سَمِعْتَ بِعُدْرَةٍ رُفِعَ اللِّوَاءُ لِنَابِهَا فِي مَجْمَعٍ
إِنَّا نَعْفُ فَلَا تَرِيبَ حَلِيفِنَا وَنَكْفُ شَحْ نَفُوسِنَا فِي الْمَطْمَعِ^(١)

★ ★ ★

[وإذا صح ظننا] بعد ذلك [فيما ذهبنا إليه من تلويحات
المعري] وهو فيما نعتقد صحيح [لكانت هذه التلويحات — إذا
ضمننا بعضها إلى بعض بمثابة بناء باطنى لرسالة الغفران يسرى تحت
البناء الظاهرى يتغذى به ، ويغذيه ، ويكمل كل منهما الآخر]

[لا ينبغي — بعد — أن نتخدد بما يلفف به أبو العلاء محاور
تلويحاته من النكت اللغوية ، أو النقدية] ، كأن يسأل عن حذف أو
ذكر ، أو يجادل فى رفع أو نصب ، أو يقول إن هذه القصيدة عندى
من المفردات ، أو إنها جديرة بإعلاء شأن صاحبها إلى غير ذلك من
أطر موهمة ، ينبغي أن يكون القارئ من أحكامها على حذر ، فهى
أحكام وظفت توظيفاً فنياً ، ولا تعبر — رأى نهائى لأبى العلاء ، فما
يستحسنه هنا ، ويعده من المفردات ، قد يكون له فيه رأى آخر إذا
ورد فى سياق مخالف ، وقد لا تمثل هذه الأحكام النقدية أكثر من
تسليط ضوء على هذه القصائد التى أطلت منها رءوسها ليرجع إليها
القارئ فى مظانها ، أو يسترجمها إذا كان لها مستظها ليفطن إلى المراد
من أبياتها .

★ ★ ★

[على أن أبا العلاء فيما لجأ إليه من تلويحات لم يأت يبدع فى
عصره ، فقد شاع هذا الأسلوب وعرف بين الأدباء ، حتى غدا سمة
من سمات الحديث الرامز بينهم] وتحضرنا هنا قصة ذلك الشاعر الذى
عتب على سيف الدولة تفضيل المتنبى عليه ، فطلب منه سيف الدولة
أن يعارض قصيدة المتنبى التى أولها :

(١) المقطعيات ص ٤٥ .

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق منى وما بقى
وهو يقصد التلويع لهذا الشاعر المتطاول بقول المتنبي في هذه
القصيدة :

إذا شاء أن يلهو بلحية أحق أراه غبارى ثم قال له الحق (١)
وشبيه بذلك سؤال بعض الوزراء لشاعر ثقيل عن قائل القصيدة
التي أولها :
الحب ما منع الكلام الألسنة وألذ شكوى عاشق ما أعلننا
وهو يلوح منها بالبيت :

والله المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنا (٢)
بل كان يكفي في بعض المواقف أن يذكر اسم الشاعر مجردا فيفطن
السامعون إلى قوله الذي هو محل التلويع (٣).

★ ★ ★

« وثمة خط آخر يتضافر مع ما أشرنا إليه من تلويحات في تشكيل
البنية الباطنة في الغفران ذلك هو ما نراه في الجمل الدعائية المعترضة
التي بثها أبو العلاء في ثنايا رسالته ، فظاهر هذه الجمل دعاء لابن
القارح ، وباطنها دعاء عليه ، وقد مضى أبو العلاء في هذه الجمل
الدعائية على نهج الملاحن الذي عرف عن ابن فارس في كتابه
« فتيافقيه العرب » وابن دريد في ملاحنه ، وأسلوب الملاحن هذا
أسلوب أتقنه أبو العلاء ، وقد رأينا طرفا منه في رسالة « الصاهل
والشاحج » حيث أراد « الشاحج » أن يحمل الجمل رسالة إلى عزيز

(١) الصحيح النسخة عن حجية النسخة ص ٣١٤ .

(٢) نفسه ص ٣١٩ .

(٣) نفسه ص ٣٣٦ ، وانظر كذلك صفحات ٣٢٨ ، ٣٢٣ ، كذلك انظر بجملة الدهر للشمالي ج ٣
ص ٤٥ .

الدولة قائمة على هذا الأسلوب ، فلما عجز عن حملها وسخر منها دعا عليه دعوات ظاهرها الخيز وباطنها الشر تنحو النحو ذاته .

ومعروف أن أسلوب الملاحن يعتمد على الدلالات المتعددة للفظ ، أو على بناء الجمل بناء خاصاً يفهم منه الشيء وضده ، أو على التلاعب بالضمائر ، وما تعود عليه ، إلى غير ذلك مما يلف العبارة بغموض تتعدد معه التأويلات .

وقد لفتنا في جمل أبي العلاء الدعائية أبتيتها الغريبة ، وتراكيبها التي كأنها تحفز القارئ إلى معاودة قراءتها ، والكشف عن مستورها .

ونعرض هنا لعدد من هذه الجمل الدعائية التي لا نظن أن أبا العلاء يقصد منها إلا المعنى الخبيء .

يقول مثلاً : فإذا سمع الشيخ — ثبت الله وطأته — ما قاله ذانك الرجلان . طمع في سلامة كثير من الشعراء (١) .

والضمير في الجملة الدعائية غير ، والمعنى الظاهر دعاء بتثبيت وطأة ابن القارح على الأرض ، ولكن المعنى الآخر الذي نطنه مقصد أبي العلاء هو دعاء بتثبيت وطأة الدهر على ابن القارح ، وهكذا نرى أن المعنى انقلب إلى الضد حينما توجهنا بالضمير وجهة أخرى . ومن مثل هذا ما نراه من دعاء أبي العلاء : « أرغم الله أنف شائته » (٢) .

فالضمير ظاهراً يعود على ابن القارح ، وباطناً يعود على لفظ الجلالة ، فيكون الدعاء بإرغام أنف الكاره لله ، والمقصود ابن القارح .

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٦ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٥ .

وعلى هذا أيضاً نفسر الجملة الدعائية «أَحَلَّ اللهُ الْهَلَكَةَ بِمَغْضَاهُ»^(١) وأخفى من هذا نوعاً ما مانراه في قول أبى العلاء «تَبَّتْ اللهُ الْإِحْسَانُ عَلَيْهِ»^(٢) ، فالإحسان ظاهراً هو إحسان ابن القارح ، وباطناً إحسان الناس عليه ، وكأن أبى العلاء يدعو عليه أن يظل فقيراً محتاجاً إلى إحسان الناس ، وقريب من هذا قول أبى العلاء «لا أخلاه اللهُ مِنَ الْإِحْسَانِ»^(٣) .

[وَمَا يَتْلَعِبُ فِيهِ أَبُو الْعَلَاءِ بِتَعَدُّدِ دَلَالَاتِ الْكَلِمَةِ ، أَوْ بِصَلَابَةِ صَوَرَتِهَا أَنْ تَكُونَ مَفْرُوداً وَجَمْعاً قَوْلُهُ : «أُرْلِفَهُ اللهُ مَعَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ»^(٤) ، فظاهر الجملة دعاء لابن القارح أن يدخل الجنة مع الصالحين المتقين ، على اعتبار أن «الأبرار» جمع «بار» ، وما إلى هذا قصد ، وإنما قصده «الأبرار» جمع «بر» وهو الفأرو في المثل العربى «لا يعرف هراً من بر» أى قطاً من فأر ، ويكون المعنى دعاء على ابن القارح أن يرلفه الله مع الجرذان الخائفين] وشبيه بذلك قول أبى العلاء «عَمْرَةَ اللهِ بِالسَّرُورِ»^(٥) وقوله «مَلَأَ اللهُ فُرَادَهُ بِالسَّرُورِ»^(٦) . فالمتبادر إلى الذهن أن السرور هو الانشراح والغبطة ، ولكن أبى العلاء يقصد بالسرور جمع «سر» ومن معانى السر عضو الرجل ، أورد ذلك صاحب اللسان ، وأورد شاهداً عليه قول الأودى :

لَمَارَاتِ سَرَى تَغِيرُ ، وَالتَّشَى مِنْ دُونَ نَهْمَةِ سِرِّهَا حِينَ انْتَشَى

ولسنا بحاجة إلى إيضاح .

(١) رسالة الغفران ص ٣٤٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣١٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٤ .

(٤) رسالة الغفران ص ٣٧٠ .

(٥) رسالة الغفران ص ٢٨٣ .

(٦) رسالة الغفران ص ٣٢٠ .

ومن هذا القبيل قول أبي العلاء : « أَغْلَى اللَّهُ ذَرْجَتَهُ »^(١) ، فقد نفهم الدرجة على أنها المستوى أو المنزلة ، ولكن ما إلى هذا قصد أبو العلاء ، وإنما قصد إلى « درجة » جمع « دارج » وهو الذى يدرج الميت فى كفته ، أو فى قبره ، أو يدرجه صريعاً ، وعلى هذا فالعبارة دعاء لقتلة الشيخ لا للشيخ .

ويقول أبو العلاء : « أَمْعَى الْقَادِرُ لَهُ اقْتِرَاحَهُ »^(٢) ، وظاهر القول دعاء أن يجيب الله الشيخ إلى ما يريد ، ولكن الاقتراح هنا من « القرع » وعلى هذا ينقلب المعنى إلى الضد .

ويقول : « لَا انْفَكَّتِ الْفَوَائِدُ وَاصِلَةٌ مِنْهُ إِلَى الْجُلُوسِ »^(٣) ، ويقصد بالفوائد جمع فائدة وهى ما يصيب الفؤاد من داء .

ويقول : « لَا فَتَى خَصَمِهِ مُفْجِعاً »^(٤) ، ويقصد من معانى المفجع « الريان » .

ويقول : « أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِكُلِّ فَضْلٍ »^(٥) ، ويقصد من معانى الفضل « الزيادة والنفل » ، ويكون المراد : « أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِنَفْلِ الْقَوْلِ » وهذا غاية النعم .

ويقول : « بَلَّغَهُ اللَّهُ الْأَمَانَى »^(٦) ، ويقصد الأمانى جمع مئى بفتح الميم وهو الموت .

ويقول : « أَدَامَ اللَّهُ تُمْكِيَّتَهُ »^(٧) ، ويقصد بالتمكين الثبوت فى المكان أى الإقصاد .

(١) رسالة الغفران ص ٣١٠ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٦٩ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٨٠ .

(٤) رسالة الغفران ص ٢٤٨ .

(٥) رسالة الغفران ص ٢٤٨ .

(٦) رسالة الغفران ص ١٧٥ .

(٧) رسالة الغفران ص ١٧٥ .

ويقول : « بلغه الله أقاصى الأمل »^(١) ، والموت أقصى غاية الأمل كما يقال .

ويقول : « لازال خصمه مغلباً »^(٢) ، ويقصد بالمغلب الغالب لا المغلوب .

ويقول : « جعل الله سمعه مستودعاً كل الصالحات »^(٣) ، أى مودعاً من كل الصالحات .

ويقول : « صار وثئه من المتبوعين ، وشائفه بالسفّه من المسبوعين »^(٤) ، ويقصد بالمتبوع المطارد ، وبالمسبوع المطعون عليه ، وعلى هذا يكون المعنى صار ناضره من المطاردين ، وكارهه من المطعون عليهم بالسفّه أى سفها .

ويقول : « لازال الرشد قريناً لمحله »^(٥) ، وقرين بمعنى مقرون أى مقيد ، أى لازال الرشد مقيداً لوجوده .

وبوسعنا أن نمضي حتى نستفرغ كل الجمل الدعائية في الغفران ، ولكن حسبنا هذا القدر إشارة إلى الظاهرة ، ولفنا إليها ، فأنت واقع — ولا ريب — إن رجعت إلى هذه الجمل ، وأنعمت النظر فيها على المعنى المستور الذى يرمى إليه أبو العلاء ، والذى يكون خطأ من خطوط البنية الباطنة في الغفران .

[على أن أبا العلاء بهذا الإلغاز في جملة الدعائية كان يرد على إلغاز مماثل من ابن القارح] فقد كتب إليه في مستهل رسالته : « وجعلنى فداءه ، وقدمنى قبله على الصحة والحقيقة ، وبعد القصد ، والعقيدة ، وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة »^(٦) .

(١) رسالة الغفران ص ٣٤٤ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٤ .

(٤) رسالة الغفران ص ٣٤٩ .

(٥) رسالة الغفران ص ٣٧٠ .

(٦) رسالة الغفران ص ٢١ .

فظاهر القول دعاء لأبي العلاء ، وإظهار لحيه إذ يتمنى ابن القارح أن يفديه ، وأن يموت قبله ، ولكن ما إلى ذلك قصد ابن القارح فالضمير في « فداءه » عائد على لفظ الجلالة السابق عليها ، فكأن ابن القارح يتمنى أن يكون فداء لله ، أما قوله : قدمنى قبله فإنها تعنى « فضلنى عليه » و « جعلنى سابقاً له » .

ولذلك كان أول ما استفتح به أبو العلاء القسم الثانى من الغفران قوله : « فهمت قوله : « جعلنى الله فداءه » أى فهمت ما ترمى إليه ، من وراء قولك هذا .

★ ★ ★

[على أن هذا المنحى من الإلغاز لم يكن غريباً على أسلوب أبى العلاء ، ولم يكن أيضاً غريباً على معاصرى أبى العلاء من الأدباء والكتاب ، فكل منهم أدلى بدلوه فى غمرة الإلغاز ، ولا سيما إذا كان الأمر أمر تقيّة ، أو مواربة ، أو تعريض بالذم فى سياق المدح .] وقد ألمح الدكتور إحسان عباس إلى ألوان من هذا فى الرسائل المتبادلة بين أبى العلاء وبين هبة الله الشيرازى داعى دعاة الفاطميين ، فالشيرازى يقول له : « وأنا ملب دعوته معترف بخبرته » فيورد « خبره » مصحفة وهو يعنى « حيرة »^(١) . ويقول : « هذا الذى جاء به المعرى يزيد الأعمى عمى » وهو يقصد بالأعمى المعرى نفسه^(٢) . ويرد أبو العلاء بالأسلوب نفسه ، وعلى نحو ما لاحظنا من المقصد المستور فى الجمل الدعائية ، يقول لداعى الدعاة : « والله يجعل الشريعة بحياته » وهو يقصد بالشريعة « النهر » وبالحياة الدماء^(٣) .

(١) رسائل أبى العلاء للمعرى ص ٩١ .

(٢) رسائل أبى العلاء للمعرى ص ٩٥ .

(٣) رسائل أبى العلاء ص ٩٥ .

ولو تابع الدكتور إحسان عباس جمل أبي العلاء الدعائية كلها في رسائله لداعي الدعاة لوجدها كلها تسير على هذا النسق ، فيقول مثلاً له « هدى الله الأمم بهدايته » وهو يقصد « بأن يهديه » ويقول : « ضوأ الله الظلم ببصيرته » أى فى بصيرته ، ويقول : « وأذهب شكوك الأفتدة برأيه » أى « فى رأيه »^(١) . ولا نستطرد فحسبنا هذا دليلاً على صحة ما ذهبنا إليه .

* * *

إِعلينا — إذن — أن نفطن إلى أن أبا العلاء يتعامل مع اللغة تعاملًا خاصًا ، وإلى أن مستويات الدلالة فى أسلوبه متعددة ، منها الظاهر الذى قد لا يكون مقصوداً ، ومنها الباطن الخفى المقصود ، وهذا يدفعنا إلى إطالة النظر فيما يكتب أبو العلاء ، وإلى ما يدسه دساً فى ثنايا عبارته من إيماءات ، وتعميـض .

على أن أبا العلاء لم يتركنا فى غفرانه نخبط فى عمياء ، وإنما هو بين الفينة والفينة يلقى إلينا بمفتاح نلج به إلى عالم الغفران الباطن ، وقد رأينا أن توقفه واستطراده ، وإثارته لنكتة نقدية أو لغوية كانت كلها مفاتيح^(٢) ونرى الآن أيضاً ألواناً أخرى منها عبارة تلفتنا بغرابتها ، أو غرابة موقعها ، وسؤال يوجهه ابن القارح أو يوجه إليه ، المهم أن نفطن إلى مفاتيح النص ، ونظفر بها .

* * *

[ولقد لفتنا فى مشهد وقوف ابن القارح على طرفة قوله له :
« يا ابن أخى يا طرفة ... خفف الله عنك »^(٣) ، وقد أثار ندأه لطرفه
بـ « ابن أخى » تساؤلنا ، إذ هو نداء لم يختص به ابن القارح أحداً من

(١) رسائل أبي العلاء ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٣٤ .

الشعرء ألعله إشفاق ؟! ، ألعله لأن طرفة قتل شاباً ؟! ألعلى وراء هدا النداء خبيثاً ؟! وأخيراً فطنا ، فطرفة هو ابن العبد ، وإذا كان الشيخ عمه فهو عبد أيضاً ، وهنا النكتة التى يلمح إليها أبو العلاء : فإذا ضممننا إلى ذلك إشارات أخر وردت فى الغفران علمنا من أمر ابن القارح ما لم تحدثنا به التراجم من أنه كان هجيناً أسود . وليس ذلك رجماً منا بالغيب ، وإنما هو استيحاء لنص الغفران ، وفهم لإيماءاته ، ونعود بك إلى بداية الغفران وهذا الحشد من السودان الذى ذكره أبو العلاء مثل « عترة » ، و « زبيبة » و « السليك بن السليكة » و « خفاف بن ندبة » وأمه ، و « الأسود بن المنذر » ، و « الأسود بن معد يكرب » إلى آخر هذه السلسلة ، ثم ما اكتفى أبو العلاء بذلك بل عرج إلى أساود الطعام والشراب . وما نظن أن هذا كان استطراداً عابراً من أبى العلاء ، وإنما هو لون من ألوان التعريض ، يعرض فيه أبو العلاء بهجنة ابن القارح وسواده .

ويطالعنا التعريض مرة أخرى فى محشر ابن القارح ، وسؤال النبى — ﷺ — عنه ، وقد رآه : « من هذا الأتأوى ؟ » (١) ، والأتأوى هو الغريب الدخيل ، وليست الغربة المقصودة هنا — فى ظننا — إلا غربة اللون .

ولقد مرر بنا كيف أن أبا العلاء لوح لصاحبه بأبيات من قصيدة عدى بن زيد فيها قوله :

ليت شعرى عن دخیل یفترى حیثا أدرك لىلى ونهارى
فما أمر هذا الدخیل ؟!

ولعلنا نلتفت — بعد ذلك — إلى ما أورده أبو العلاء فى سياق الغفران من أرجوزة بشار ، فقد حرص أن يمضى فى الأرجوزة إلى قول

(١) سنة خفر من ٧٠٠

بشار :

الحُرُّ يُلْخَى وَالْعَصَا لِلْعَبِيدِ وَلِيسَ لِلْمُلْجِفِ مِثْلَ الرُّدِّ^(١)
ولعلنا — أيضاً — نفهم سر اختيار أبى العلاء للأبيات الخمرية من
لامية الأخطل ، وهى ليست بالقطع أفضل ما قال الأخطل فى الخمر ،
وإنما سر اختيارها هو البيت الذى حرص أبى العلاء أن يكون فى مفتاح
اختياره :

أَنَاخُوا فَجُرُّوا شَاحِيَاتٍ كَأَنهَا رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرَّلُوا^(٢)
ونفهم — أيضاً — لم حشر أبى العلاء لصاحبه فى النار هؤلاء
السودان من أمثال تأبط شرأ ، وعلقمة بن عبده ، وعنترة العبسى ،
وكأنه يشره بمصير كمصيرهم .

وعلينا فى ضوء ذلك أن نفهم نداءه لعنترة فهماً جديداً ، فقوله له
« يَا أَخَا عَبْسٍ » ينبغى أن تحمل على « يَا أَخَى مِنْ عَبْسٍ » .

ولعلنا ندرك — أيضاً — لماذا لم يتذكر ابن القارح من غناء قينات
الفسطاط إلا غناءهن لأبيات عنترة :

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعِ الْعَيْنِ تُذْرِيفُ
لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَقْرُوفُ
تَجَلَّلْتَنِي إِذَا أَهْوَى الْعَصَا قَبْلِي
كَأَنهَا رَشَأٌ فِي الْبَيْتِ مَطْرُوفُ
الْقَبْدُ غَبْدُكُمْ ، وَالْمَالُ مَالُكُمْ
فَهَلْ عَذَابُكَ عَنَى الْيَوْمَ مَصْرُوفُ؟^(٣)

ثم أيضاً هذه المسألة اللغوية التى أثارها حول محب ومحبوب ، فما
نراها إلا مجرد تمهيد للبيت :

(١) رسالة الغفران ص ٣٤٥ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٤٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٢٤ .

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب^(١)

وفى هذا السياق يكتمل لدينا المغزى من اختياره لتوفيق السوداء لتكون إحدى حوريات الجنة .

ويتضح لنا الآن مرمى العبارة « منزهة من لحن المهجاء » فى وصفه لألحان جاريات الأوز فى الغفران :

« فجنن بها مُتَقَنَّةٌ محمولةٌ على الطرائق ، ملحَّنةٌ ، مصيبةٌ فى لحن الغناء ، منزهة عن لحن المهجاء »^(٢) .

وقد نعيد من جديد قراءتنا لهذا البيت الذى ورد فى سينية أبى هدرش فى وصف الرسول ﷺ :

وقام فى الصفوة من هاشم أزهر لا ينكر حق المجلس فلماذا اختيار « أزهر » أى « أبيض » بالذات من صفات الرسول ﷺ — إلا إذا كان الأمر أمر تعريض .

* * *

وهكذا نمضى فى الغفران فيلفتنا الإيماء بعد الإيماء إلى سواد ابن القارح ، وإلى هذه المهجنة فيه .
تقول له الحية القارئة :

« ولو تنفست فى وجهك لأعلمت أنك صاحبة
عطرة كفلة صكوف »^(٣) .

فلماذا اختارت الحية صاحبة عطرة دون سواها ؟ أليس ذلك
لاقترانها فى الأذهان بعبد أسود ؟

(١) رسالة الغفران ص ٣٢٦ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٧٠ ، قفلة : منتنة الریح ، وصكوف : كربة راحة النعم .

وفي القسم الثاني من الرسالة يقول أبو العلاء في معرض التهكم بابن القارح ، ورغبة النساء فيه :

« ولعله تقدر له كصاحبة أنى الأسود أم عمرو ، ورب خير تحت الحِمْير »^(١) ، والمقصود بأنى الأسود أبو الأسود الدؤلى ، فلماذا قرنه بابن القارح في هذا المعرض ؟

إن هذا الفهم يكمل معرفتنا بابن القارح ، ويصيرنا بما أغفلته كتب التراجم من أمره ، فقد عرفنا عنه أنه كان يخدم عند « ابن خالويه » في « حلب » وعند « أنى على الفارسى » في « بغداد »^(٢) ، فلماذا لا يكون خادماً أسود .

وإزاء هذا تأخذ بعض مواقف الغفران دلالة جديدة ، ونضرب مثلاً لذلك بما حدث في مشادة النابغة الجعدي والأعشى ، إذ عللت ثورة النابغة بأنها ربما تكون من أثر الخمر ، أما الأعشى فما ينبغي له ذلك لأنه حرم الخمر في الجنة ، وهنا ينرى النابغة قائلاً :

« قد كان الناس في أيام الخادعة يظهر عنهم السفه بشرب اللبن ، لا سيما إذا كانوا أرقاءً لئاماً كما قال الراجز :

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يغدو بسيف وقرن وقال آخر :

ما دهر صبة فاعلم لحك أنلياً وإنما حاج من جهاها اللبن وقيل لبعضهم : متى يخاف شر بني فلان ؟ قال : إذا ألبنوا »^(٣) .

والكلام كله تعريض بابن القارح ، ولعلك تنهت إلى ما ورد في

(١) رسالة الغفران ص ٥٠١ .

(٢) معجم الأدباء ج ١ ص ٨٣ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٣ .

السياق من القول : « ولا سيما إذا كانوا أرقاء لئاما » وكأن أبا العلاء يقول لابن القارح : « الآن تعرض لى أباها الرقيق اللقيم بعدما شبعت » .

وعلى هدى من هذا كله نستطيع أن نفهم مقدمة الغفران ، لقد ذكر أبو العلاء أن فى مسكنه « حماطة » وهى ضرب من الشجر اليابس تتخذ منه العصى ...

وأورد بعد ذلك يبين متظاهراً بتفسير معنى « الحماطة » :

إذا أمّ الوليد لم يُطغنى حنوت لها يدي عصا حماط
وقلت لها عليك بنى أقيش فإنك غير مُعجبة الشطاط
ثم عاد أبو العلاء فقال : إن من معانى الحماطة حرقه القلب ، وحة القلب ، وأنه ما يقصد إلا حبة القلب^(١) ، فهل يقصد فعلاً ما قال ، أو أنه يعنى ويلغز ، ويصرف القارئ إلى معنى غير مراد ؟!

وليتضح لنا القصد الصحيح لأبى العلاء علينا أن نربط بين عصا الحماط هذه ، وبين العصا فى بيت بشار الذى لوح به والذى أشرنا إليه آنفاً :

الحرُّ يُلخى والعصا للقبْد وليس للمُلحِف مثل الرد
اتضح المراد إذن ، لكأن أبا العلاء يفتح الرسالة ملوحاً لهذا العبد المتهجم بعصا حماط .

ونضى بعد ذلك فنراه يقول :

« وأن فى طمرى لحضباً وكل بأذاتى »^(٢) .

ويقول :

(١) رسالة الغفران ص ١٣١ .

(٢) رسالة الغفران ص ١٣٢ .

« وأن في منزلي لأسود ... »^(١) .

وما نرى هذا الأسود وذاك الحضب إلا ابن القارح ذاته ، وعلى ذلك علينا أن ندرك أن المنزل والطميرين ليساهما الجسد كما فهم الشراح ، وإنما هما الموطن والدار ، فكل من أوى العلاء وابن القارح من موطن واحد ، وما معرة النعمان التي هي موطن أوى العلاء إلا ضاحية لحلب التي هي موطن ابن القارح وتابعا لها .

هكذا تتضح المقاصد ونفهم صرخة أوى العلاء في بدء رسالته :
« يا قوم إن في ديارى عبداً أسود شبيهاً بالحية ، موكلاً بأذى ، أعانى منه ما أعانى » .
ونفهم — بعد ذلك — لم اختار أبو العلاء من أسماء الله سبحانه الجبر « الذى يعنى القوة :

« قد علم الجبر الذى نسب إليه جبرئيل ... » .

وكأنه يستعين بهذه القوة على درء هذا الخصم المخادع المراوغ المتخفى ، وفي هذا السياق نفهم أيضاً لم كان مفتتح الرسالة : « اللهم يسر وأعن » .

★ ★ ★

ونتابع شخصية ابن القارح في هذا السياق الباطنى ، ونرى أبا العلاء يثير قضية الانتحال في الشعر ، فيصور لنا ابن القارح يروى على أصحابه في الغفران قصائد يحفظها من شعرهم فينكرونها ، يروى على النابغة الذبياني القصيدة :

ألمّا على الممطوّرة المتأبّدة أقامت بها في المَرَبَع المتجرّدة

(١) رسالة الغفران ص ١٣٢ .

فيقول : ما أذكر أنى سلكت هذا القرى قط^(١) .

وينشد لنا بغي بنى جعدة القصيدة :

ولقد أغدو بشرِبٍ أُنْفٍ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ رَبُّش
فيقول نابغة بنى جعدة : ما جعلت الشين قط رويلاً^(٢) .

وينشد على الأعشى القصيدة :

أَمِنْ قَتْلَةٍ بِالْأَثَقِ سَاءَ دَاوَرٌ غَيْرُ مَخْلُوكَةٍ

فيقول له : إنك منذ اليوم لمولع بالمنحولات^(٣) .

ثم نراه — بعد — مع الخليل بن أحمد وهو يظن أن الأبيات العينية
من شعره ، وهى المبدوءة بالبيت :

إِنْ الْخَلِيلُ تَصَدَّعَ فُطِرَ بِدَائِكَ أَوْ قَعِ

غير أن الخليل ينكرها^(٤) .

ثم فى آخر رحلة الغفران نراه يلقى آدم عليه السلام فيقول قد روى
لنا عنك شعر منه قولك :

نَحْنُ بَنُو الْأَرْضِ وَسَكَائِهَا مِنْهَا خُلِقْنَا وَإِلَيْهَا نَعُودُ
وَالسَّعْدُ لَا يَتَّقِي لِأَصْحَابِهِ وَالتَّحْسُ تَحْمُوهُ لِأَبْلِ السَّعْدِ

ويسأله أيضاً عما نسب إليه فى حادثة قتل قابيل لهابيل :

كَفَّيْتَ الْبِلَادَ وَمِنْ عَلَيْهَا فُوجُهُ الْأَرْضِ مُغَيَّرَ قَيْحُ
وَأَوْدَى رِبْعُ أَهْلِهَا فَبَاثُوا وَغَوْدِرُ فِي الثَّرَى الْوَجْهُ الْمَلِيحُ

فينكر آدم كل ذلك ، والعجيب أننا نرى آدم يفسر لابن القارح

(١) رسالة الغفران ص ٢٠٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٠٨ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(٤) رسالة الغفران ص ٢٧٩ .

الأسباب التي لو كان فكر فيها لما سأله عن مثل هذا المنحول ، وابن القارح يقف موقف التلميذ^(٢) .

قضية الانتحال — إذن — لم تثر لذاتها ، ولا مجرد أن أبا العلاء يبدل بدلوها فيها ، وإنما عرضها أبو العلاء هذا العرض ، وجعل ابن القارح ينشد الشعراء فيجبهونه بالإنكار ، وجعل « آدم » عليه السلام يتولى تبصرته بالأصيل من المنحول ، ليقول له من خلال ذلك ، إنك حاطب ليل ، ليس لك بصر بما تحمل من الشعر ، ولا تستطيع أن تميز أصيله من دخيله .

هذا مستوى من مستويات الإيماء ، ولكننا نلمح في عبارات آدم عليه السلام إيماءات أخرى ، إذ يقول آدم لابن القارح : « أبيعم إلا حقوقاً وأذية »^(١) ، ويقول له : « أعز علي بكم معشر أيتني ، إنكم في الضلالة متهوكون »^(٢) .

وهذا رجع — فيما نرى — لقضية آل المغربى ، وغدر ابن القارح بهم ، وكأن أبا العلاء أراد أن يصعد القضية إلى أفق إنساني إذ الغدر معدن الجبلية الآدمية ، ولعل ذلك كان السر وراء عقد مثل هذا اللقاء بين ابن القارح وآدم عليه السلام .

★ ★ ★

وكما أثار أبو العلاء قضية « الانتحال » ليومئ بها إلى دلالة غير دلالتها الظاهرة ، نراه يثير قضية الرجز والشعر وأيهما أرفع منزلة ، فيزلف ابن القارح إلى ما صنعه له من جنة الرجز :

ولقائل أن يقول : إنما قصد أبو العلاء إلى إبداء رأيه في الرجز وأنه أدنى منزلة من الشعر ، ومثل هذا تردده في غير رسالة الغفران ،

(٢) رسالة الغفران ص ٣٦٠ وما بعدها .

(١) رسالة الغفران ص ٣٦١ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٦٤ .

وهذا قد يكون مقبولاً إذا أخذنا الأمر على ظاهره ، ولكن المثل هذا قصد أبو العلاء ؟ وهل تحتاج قضية الرجز والشعر مثل هذه الوقفة على ما تردد حولها من أقوال النقاد ، وكلها تذهب إلى تفضيل الشعر .
لعل ما يضيء لنا هذا الموقف هو ما بقى لنا من أرجوزة لابن القارح أوردها ياقوت في معجمه ، وكان يمدح بها الحاكم بأمر الله الفاطمي ،
تقول :

إن الزمان قد نَضَرَ بالحاكم الملك الأعز
في كفه عصب ذكر فقد عدا على القصر
من غره على الغرز يَمْضِي كما يَمْضِي الْقَدَرُ^(١)

كان الرجل — إذن — من الرجاز ، ولا ريب أنه نظم عديداً من الأرجاز ورصعها بغريب اللغة كما تنبئ أشطاره التي رواها ياقوت .
في ضوء ذلك لا بد أن يكون لنا توجيه آخر لقول رؤبة في الغفران مخاطباً ابن القارح :

أجئت خصامنا في هذا المنزل ، فامض لطيتك ، فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله^(٢) .

وستفهم أيضاً أن أبا العلاء نفث ازدرائه لأرجاز ابن القارح في العبارة التي أوردها على لسانه :

أقسمت ما يصلح كلامكم للنساء ، ولا يفضل عن الهناء^(٣) .

★ ★ ★

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٧ ، القصر : أعتق البلى والإبل . والفِر : حد السيف .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٧٧ .

وإذا كان هذا شأن أئى العلاء فيما أثاره من قضايا الأدب والنقد فلاشك أن هذا شأنه أيضاً فيما أثاره من مسائل اللغة فقد وظفت هى الأخرى للإيماء ، وتهكم أبو العلاء بصاحبه من خلالها ما شاء له التهكم ، فالرحلة على امتدادها فى الغفران كانت درساً لغوياً لابن القارح ، لكن ما يهنا هنا هو أن نرى كيف وظف أبو العلاء هذه المحاورات اللغوية للتعريض بصاحبه ، ونضرب على ذلك مثلاً بما دار حول « إوزة » إذ يقول أبو عثمان المازنى لعبد الملك بن قُربب الأصمعى : « يا أبا سعيد ، ما وزن إوزة ؟ » ، فيقول الأصمعى : « أئى تعرض بهذا يا قُصْعَل وطال ما جئت مجلسى بالبصرة ، وأنت لا يرفع بك رأس » ... ويستخدم النقاش ، ولا يقنع المازنى برأى الأصمعى ، فيقول الأصمعى :

رَيْشَتْ جُرْهُمُ نَيْلًا قَرَمَى جُرْهُمًا مِنْهُنَّ فُوقَ وَغَرَارِ
« تبهتم مستفيداً ، ثم طعنت فيما قالوه معيداً ، ما مثلك ومثلهم
إلا كما قال الأول :

أَعْلَمَهُ الرَّمَايَةَ كُلُّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدَهُ رَمَى(١)

والمسألة — كما ترى — كلها تعريض بنجود ابن القارح لأصحاب الفضل عليه ، ولا ننسى أن ابن القارح كان — كما قال هو — يختلف إلى أئى الحسن المغربى فى حلب ، ويتلقى عنه .

★ ★ ★

ونقف وقفة أخيرة عند هذا السؤال الذى سأل به إبليس لابن القارح :

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٣ . ٢٨٤ .

« إن الحمر حرمت عليكم في الدنيا ، وأحلت لكم في الآخرة
فهل يفعل أهل الجنة بالولدان المخلدون فعل أهل القرىات ؟ »^(١)

ولعل هذا السؤال — مع أن أبا العلاء أورده على لسان إبليس —
أغضب كثيراً من أهل الغيرة الدينية ممن لم يفهموا مغزاه ، وأبو العلاء
فيما نرى لم يقصد إساءة للدين ، أو استخفافاً به . وهو كما قلنا غير
مرة لا يصور جنة أخروية ، إنما هي جنة ابتدئها لابن القارح وله منها
مآرب أخرى .

ولعلنا نفهم مغزى هذا السؤال الإبليسيّ إذا قرناه بصورة أخرى في
مفتتح رحلة الغفران ، إذ يقول أبو العلاء :

« فقد غُرس لمولاي الشيخ الجليل — إن شاء
الله — بذلك الشاء شجرة في الجنةٍ للذي اجتمع ، كلُّ
شجرة تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظلِّ غاط ،
ليس في الأغصان كذات ألواط ، ... والولدان
المخلدون في ظلال تلك الشجر قيامٌ وقعود ،
وبالمغفرة يلبث السُّعود »^(٢) .

هكذا كان الولدان أول ما أظهره أبو العلاء في جنته التي صنعها
لابن القارح ... وكان الولدان محور سؤال إبليس له .

وقد علمنا من أسلوب أبي العلاء في التعريض السؤال يوجهه لابن
القارح على لسان شخص الغفران ، والسؤال يسأله ابن القارح يدي
من خلاله اهتماماً بموضوع ما ، هو عين ما يراد التلويح به ، وما نظن
سؤال إبليس إلا تعريضاً من أبي العلاء بهذه الرذيلة في الشيخ .

وفي هذا السياق ربما نفهم سر اهتمام الشيخ بأن يسأل تأبط شراً عن
نكاح الغيلان ، وعن أبياته التي يقول فيما :

(١) الغفران ص ٣٠٩ .

(٢) رسالة الغفران ص

أنا الذى نَكَحَ الْغِيلَانَ فى بَلَدٍ ما طُلَّ فيه سِمَاكُنِي ولا جادا
فى حيث لا يَغْمِثُ الْغَادَى عَمَائَتَهُ ولا الظِّلْمُ به يَبْغِي تَهْجَادًا^(١)

ولعل أبا العلاء يورى بكلمة الغيلان عن الغلمان ولا غرابة فى ذلك
فمن أساليب الإلغاز التى عرفناها عن عصره استخدام الكلمة عرفة أو
مصحفة .

ولعل ما يرجع هذا الفهم لمقصد أبى العلاء ويقويه ما نجده فى
القسم الثانى من الغفران حينما أخذ أبو العلاء يتكلم باهن الفارح الذى
يطلب غلاماً لخدمته .

يقول : « وحدثنى ابن القُتُسرى المقرئ أنه سمعه يسأل عن غلام
للخدمة ، وربما كان استخدام الأحرار يمنع من القرار »^(٢) .

وتتوالى بعد ذلك العبارات مفعمة بالرمز ، مليحة بالكناية والتعريض
« وأن يخدم نفسه الوحيد ، خير من أن يلج بيته العبيد »^(٣) .

وحسبنا هنا أن نلفت إلى « يخدم نفسه » و « يلج بيته » ، وما
يقصده أبو العلاء من ورائهما .

ونسوق إليك ما ذهب إليه أبو العلاء من تصوير لواحد من
الغلمان :

ورب نازل من الأدب فى خان ، ليس بالخائف
ولا المستحان يخدمه صبى من الرِّق حر ، وفى
خدمته السرقة والضرر ، إذا أرسله بالبتك — بنات
الدرهم — ليأتيه بالطبخة حيث يكثر الطبخ ،
ويتيح سعره المشتغل مُتِيح — سرق فى السبيل
القطع ، وانتهى فى الخيانة وتنطع ، ثم وقف بالبائع

(١) رسالة الغفران ص ٣٥٩ .

(٢) رسالة الغفران ص ٥٠٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٥٠٥ .

فَقَبَّتْهُ غَبْنُ الرَّائِعِ ، فَأَخَذَ صَغِيرَةً مِنْ طَيْخٍ ، لَا تَلْقَى
 النَّاطِرَ بِمِثْلِ الْوَرَسِ اللَّطِيخِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهَا لَاعِباً ،
 كَأَنَّمَا هَدَى كَاعِباً ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَلَقَّفُ بِهَا فِي الطَّرِيقِ ،
 حَتَّى كَسَرَهَا بَيْنَ فَرِيقٍ ، فَاخْتَلَطَ جِهَا بِالْخِصْبَاءِ ،
 وَزَهَّدَ فِي قَرَبِهَا كُلِّ الْأَرْبَاءِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَحْمِلَهَا فِي
 حَالِ السَّلَامَةِ ، وَيَعْمَى لِيَسْبَحَ مَعَ الْفَتَيَانِ ، فَإِذَا
 نَزَلَ فِي الْمَاءِ اخْتَطَفَهَا بَعْضُ الْعَرَمَةِ مِنَ الصَّبِيَّانِ ،
 فَأَكَلَهَا وَهُوَ يَرَاهُ ، لَا يَحْفَلُ بِأَدِيمِهَا إِذْ فَرَاهُ ، وَقَدْ
 يُرْسِلُهُ بِالْفَضَارَةِ (الصَّحْفَةِ الْمَتَخَذَةِ مِنَ الْفَخَّارِ)
 يَلْتَمِسُ لَبَنًا ، فَيَقَابِلُ مِنْ سُوءِ الرَّأْيِ غَبْنًا ، فَإِذَا
 حَصَلَ فِيهَا الْهَدِيدُ (اللَّبْنُ الْخَائِرُ) ، عَثَرَ فَإِذَا هُوَ
 عَلَى الصَّحْرَاءِ مُتَلَبِّدٌ ، وَصَارَتِ الْفَخَّارَةُ خَزْفًا لَا
 يَرَادُ ، يَلْفِيهِ التَّسَكُّةُ وَالْمَرَادُ (١) .

إنه — كما يحكى ظاهر العبارة — غلام سيئ الخلق ، أرسله صاحبه
 ليشتري له بطيخة فاحتجج لنفسه بعض مال سيده ، ثم لم يكن
 حريصاً — حتى — في المتبقي ، إذ غبنه البائع ، وباعه بطيخة
 صغيرة ، مضى بها الغلام متلكئاً ، غير عائق بحاجة سيده ، إنما هو
 يتلقف بها حتى يكسرها ، أو قد تراوده فكرة السباحة ، فإذا نزل
 ليسبح تسلط عليه بعض عرمة الفتیان فغصب البطيخة وأكلها ، وقد
 يعثه سيده ليشتري له اللبن ، فإما أن يعود بعد أن يتختر ما معه من
 لبن ، وإما أن يعثر فتسقط منه صفحة الفخار فيتلبد لبنها على الأرض .
 ونسأل ما أمر البطيخ ، وعرمة الفتیان ، واللبن المتحتر ، وهذا
 الغلام الذى يسىء التصرف فى مال سيده .

(١) رسالة الغفران ص ٥٠٦ .

وربما يلقى ننا أدب العصر بعض إضاءة هذا النص المغمز ، يقول
الثعالبي : إن أدباء العصر كانوا يكونون عن الغلام الذى يخون سيده ،
ويسلم نفسه لغيره حتى يتسع أمره بأنه غلام يسئ التصرف فى مال
سيده ، ويورد لنا من شواهد هذا قول أنى نصر الزنجائى فى غلام اسمه
يوسف :

مضى يوسف عتاً بتسعين درهماً وعاد وثلث المال فى كف يوسف
فكيف يُرجى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله فى التصرف^{١٠} ،
لعل أبا العلاء قصد إلى شئ من هذا ، ولعل لنا الآن توجيهاً آخر
للبطيخة والصحفة المكسرة ، واللبن المتحتر . ولعلنا فهمنا مرمى قول
أبى العلاء :

« فإذا نزل فى الماء اختطفها بعض العرمة من الصبيان فأكلها وهو
يراه » .

على أن يراه هنا من رأى بمعنى أوقع الشده ، ويكون الضمير عائد
على بعض العرمة . ، وعلى هذا أيضاً تكون العبارة بعدها دقيقة الموضع
« لا يحفل بأديمها إذ قرأه » .

ومضى بنا أبو العلاء ، وكأنه يدفعنا دفعاً إلى أن نفطن إلى الخبيء
من عبارته ، فيحكى لنا قصة هذا الغلام الذى باعه صاحبه رغم تعلق
الغلام به من أجل العوم :

« وكان فى بلدنا غلامٌ لبعض الجند يزعمُ — ويصدق فيما يزعمُ —
أنه كان مملوكاً لأبى أسامة جُنادة بن محمد الهَرَوى بمصر ، وكان
يأسف لفراقه ، ويعجب من جميل أخلاقه ، ويقول : إنه باعه من أجل
العوم فما أوقع غلاماً فى السوم^{١١} .

^{١٠} الكتابة والتعريف نصائبي ص ٢٣

^{١١} رسالة الغفران ص ٥٧

فما قصة السباحة والعموم التي يلاحقنا بها أبو العلاء ؟
 والسباحة وركوب البحر ، وصيده عند أهل العصر كناية عن
 معايشة النساء ، ويورد الثعالبي من شواهد ذلك قول الشاعر :
 لا أركبُ البحرَ ولكنني أطلب رزق الله في الساحل^(١)
 فكان « جُناده » هذا باع غلامه رغم تعلق الغلام به من أجل
 الزواج .

وعلى هذا ينبغي أن نقف طويلاً أمام عبارة أبي العلاء بعد ذلك :
 « وإنما ذكرت ذلك لأنه (أى ابن القارح) — عَرَفَ الله الوقت
 بحياته — أى طيبه — ممن عرف « جُناده » وجربه ، فانظر إلى قوله
 عرفه وجربه ، وأى إيماء يوحى به .

وفي إطار ذلك ينبغي أن نعيد قراءة رحلة الصيد البرية التي قام بها
 ابن القارح في غفران أبي العلاء مرافقاً لعدى بن زيد العبادي إذ
 يركبان سابحين من خيل الجنة وتنتاب ابن القارح شهوة الصيد ،
 ونترك أبا العلاء يقص علينا ذلك :

« فإذا نظر إلى صوار (قطع البقر) ترعُّع في
 ذقائى الفردوس — والدقائى : الرياض — صوب
 مولاي الشيخ المِطْرَد — وهو الرمح القصير —
 لأخسَ دَيَّالٍ . قد رتع هناك طويلاً أيامَ ليل ،
 فإذا لم يبق بين السَّنان وبينه إلا قيد ظفر قال :
 أمسك — رحمتك الله ، فأني لست من وحشي الجنة
 التي أنشأها الله سبحانه ، ولم تكن في الدار الزائلة ،
 ولكني كنتُ في مَحَلَّةِ الغرور أُرود في بعض
 القفار ، فمر بي ركب مؤمنين ، قد كَرَى (نفذ)

(١) المَكْبَةُ ، المَرْيَضُ ص ٢٣

رادهم ، فصرعوى واستعانوا بى على السمر
فعوضنى الله — جلت كلمته — بأن أسكننى فى دار
الخلود ١١

وبعرض ابن القارح بعلج آخر فيقول له قريبا من هذا القور .
فيقول الشيخ وقد ضاق مما يرى

« فينبغى أن تتميؤ . فما كان منكّن دخل الفانية فما يجب أن
يختلط بوحوش الجنة » فيرد عليه الوحشى « لقد نصحتنا نصح
الشفيق ، وسوف نمتل ما أمرت ١٢ »

وبداية بشير إلى أن صيد البر كان يكنى به عن الولع بالغلمان ،
وكان يقال للرجل المغرم بالغلمان : « فلان يؤثر صيد البر على صيد
البحر ١٣ » .

ونعود لصيد ابن القارح فنراه يترك إناث البقر ويتجه للذكران ،
ولعلنا ندرك دقة كناية أبى العلاء إذ جعل سلاح الشيخ مطرداً ، ولم
يكتف بذلك بل راح يفسر الكلمة كأنه يلمح إلى ما يريد « المطرد
وهو الرمح القصير » .

ثم لعلنا ندرك أيضاً م اختار أبى العلاء عدى بن زيد ليُجعل
صاحب أبى العلاء فى هذه الرحلة ، فمن المعروف أن عدى بن زيد
كان يقطن الحيرة ، والحيرة كانت تعيش حضارة الفرس ، وعن
الفرس — فيما يقال — تفشى هذا الداء

ونسأل : ماذا بقى فى شخصية ابن القارح ؟ يمزقه أبى العلاء ؟!

* * *

١١ - ساهى بغيرك ص ٩١

١٢ - ساهى بغيرك ص ٩١

١٣ - بكاءة . بغيرك ص ٩١

الفصل الرابع الغفران وقضايا المعتقد

على الرغم مما نراه في القسم الثاني من رسالة الغفران من هجوم إلى العلاء على غير فرقة من فرق الشيعة ، فإنه يبقى من اللافت للنظر ذلك التلوين الشيعي الذي لون به أبو العلاء جنته التي صنعها لابن القارح ، فنرى — عليا رضى الله عنه — هو الذى يخلص الأعشى من أيدي الزبانية ، ويتبنى عرض موقفه بين يدى رسول الله — ﷺ — ، حتى ينجو به من النار ، ويدخله الجنة^(١) .

ونمضى — بعد ذلك — لنقف على ما يحكيه ابن القارح من قصة دخوله الجنة ، وكيف أن حمزة بن عبد المطلب أنقذ معه كتابا إلى علي — رضى الله عنه — ، وكيف عاونه « علي » رضى الله عنه على إثبات توبته بعد أن فقد كتابها ، ثم توقف بعد ذلك فى أن يدخله الجنة قبل الموعد المحدد ، وقال له : « إنك لتروم خلدنا ممتعا ، ولك أسوة بولد أليك آدم »^(٢) .

ويعضى ابن القارح مستنجداً بالعترة المنتجة أن يتوسلوا لدى مولاته « فاطمة » ، ويرى أن حرمة ووسيلته إليهم أنه كان يكتب فى آخر كل كتاب يفرغ منه « وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى عترته الأخيار الطيبين »^(٣) .

وتتداعى الأحداث حتى نرى ابن القارح داخلا إلى الجنة ، متعلقا بأذيال الركب الفاطمى ، مجتازا الصراط — كما أسلفنا — على ظهر جارية من جوارى السيدة فاطمة تحمله « زققونه » أى طارحا يديه

(١) رسالة الغفران ص ١٧٨ وما بعدها .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٥٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٢٥٧ .

على كنفها وهي تمسك يديه ، ويطنه إلى ظهرها^(١) .

ونقف في جنة الغفران — بعد ذلك — على ظلال شيعية أخرى ، وإن كانت أقل بروزا ، وأكثر اعتدالا ، منها ما يحكيه الشاعر « تميم بن مقبل » الذي كان في صف معاوية من أمره مع النجاشي الحارثي صاحب « على » — رضى الله عنه إذ يقول :

« وانبرى لى النجاشي فما أفلت من اللهب حتى سقني
سفعات^(٢) » ثم نسمع « أبا هدرش » في جنة العفاريت يصم أصحاب
الجمال بالجهل ، ويفتخر بنصره لعلى — رضى الله عنه — في
« صفين » وفي « النهروان » :

والجمل الأنكد شاهده بس نتيح الناقية العنتريس
بين « بنى ضبة » مستقداً والجهل في العالم داء نجيس
وزرت « صفين » على شطبة جرداء ما سائسها بالأريس
مجدلاً بالسيف أبطالها وقاذفاً بالصخرة المرريس
وسرت قدام على غداة النهر، حتى قل غرب الحميس^(٣)
هذا عدا ما تثيره رحلة الغفران من قضايا أخرى تتعلق بالمعتقد .

* * *

واختلفت نظرة الباحثين إلى هذا التلوين الشيعي في الغفران ،
فالدكتور عائشة عبد الرحمن ترجعه إلى « عمق تأثيره (أى أبى
العلاء) بفوضى الحياة الدينية في عصره »^(٤) .

(١) رسالة الغفران ص ٢٥٧ وما بعدها .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٤٧ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٠٣ .

(٤) الغفران لأبى العلاء ، دراسة مقدمة ص ٢٩ .

ولا نعرف ، على وجه التحديد ما يعنيه عمق التأثير بفوضى الحياة الدينية ، أيعنى أن أبا العلاء اختلطت عليه المذاهب حتى تشوش معتقده ، فجمع بين معتقد أهل اليمن ومعتقد أهل اليسار ؟ وإلا فما مفهوم عمق التأثير هذا ؟....

أما أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام فيقول في معرض حديثه عن رسالة الغفران : « وتجدر الإشارة هنا إلى ما جاء من ذكر لعل بن أبي طالب ، وصحبه للنبي عندما استغاث به من أرادوا شفاعته فبعث إليهم بعل بن أبي طالب ... والعصر غلب عليه التشيع ، بل إن أبا العلاء نفسه وقع في دائرة الفاطمية » (١) .

والعبارة دقيقة الصياغة فهي وإن وضعت أبا العلاء في دائرة الفاطمية فقد تركت حيزاً كبيراً للتشكك في ما أخذه أبو العلاء من الفاطميين ، فضلاً عما وشت به من الفصل بين المعتقد والفن .

على أننا — وبعد هذه الرحلة مع الغفران — نطرح القضية طرْحاً آخر فنقول : أليس من الجائز أن تكون هذه الظلال الشيعية في الغفران لوناً من ألوان الأداء الفني قصد بها الوصول بالسخرية من ابن القارح إلى ذروتها ؟ ...

غير أننا لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال ، ونمضي في التعرف على دور هذا التلوين الشيعي في الأداء الفني دون أن نتحرى موقف أبي العلاء من التشيع أولاً ، ثم موقف ابن القارح ثانياً .

(١) الأدب في العصر الفاطمي ص ٢٧٤ .

أما أبو العلاء فلا نعرف واحدا ممن ترجحوا له وصفه بالتشيع إلا « العباس المكي » في كتابه « نزهة الجليس ، ومنية الأديب والأنيس » حيث أورد بيتين من لزوميات أبي العلاء وهما :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسلك جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى أرتة كل عامرة وقفر

ثم علق عليهما قائلا : « هذان البيتان على تشيع أبي العلاء يدلان ^(١) على أننا حتى لو أخذنا البيتين على ظاهرهما لم نخرج بما خرج به العباس المكي ، وقد لا نرى فيهما إلا عجبا من أولئك الذين يصدقون حديث النجوم ، وإلا أن أبا العلاء — على طريقته المعهودة في السخرية — قد وضع المؤمنين بالجفر ، والمنجمين في دائرة واحدة .

على أن البيتين — بعد — مقتطعان من جملة أبيات ، وحتى نتبين معنهما على وجه الدقة لابد من وصلهما بما اقتطعا منه ، والأبيات بتامها هي :

رأيت الحنف طوّف كل أفق وجاب الأرض من مصر وكفر
وكيف يُعمر الإنسان وفرا ولم يخرُج من الدنيا بوفر
ولم أر مثل أيامي سراعا خيول فوارس وركاب سفر
لقد عجبوا لأهل البيت لما أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى أرتة كل عامرة وقفر ^(٢)

إن أبا العلاء يتحدث عن الموت الذي يطوّف كل أفق ، وعن الدنيا الفانية التي لا يخرج منها الإنسان بشيء ، ويزهده ذلك في كل شيء ، فهي أيام تمضي مسرعة كأنها خيل فوارس أو ركاب مسافرين .

(١) انظر تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٣٥٣ .

(٢) اللزوميات ج ١ ص ٣٧٥ .

هذا ما نحدثنا عنه أبو العلاء في الأبيات الثلاثة الأولى . ألا ترى أن انتقاله بعد ذلك إلى الحديث عن أهل البيت و امرأة المنجم انتقال لا يستدعيه السياق ، إلا إذا كان « أهل البيت » و « الجفر » شيئاً آخر غير ما فهمه العباس المكي .

إننا وقد صحبتنا أبا العلاء ندرك غرامه بالتلاعب اللفظي ، وبإطلاق الألفاظ لها ظاهر غير مقصود وباطن مقصود ، وإن من يقرأ « زجر النابح » لأبي العلاء يجد أن أبا العلاء يحدثه عن فنون من هذا الإلغاز كالقلب ، والعكس ، وما إلى ذلك .

والذي نراه أن أبا العلاء يقصد بأهل البيت أهل الدنيا ، إذ الدنيا بيت لأهلها ، ويقصد بمسك الجفر المعنى اللفظي المباشر وهو « جلد الشاة » إذ « المسك » هو « الجلد » و « الجفر » هي الشاة .

وكان أبا العلاء يقول : إنه لا ينبغي أن نعجب لأهل هذه الأرض إذا علموا زوال دنياهم ، وفناءها في جلد شاة ذبحت أو نفقت فمرأة المنجم الصغرى تريه الكون الأكبر ، أي أن فناء الشاة إيماء بفناء الدنيا كلها . هذا ما يقصده — في ظننا — أبو العلاء لا ما تبادر إلى ذهن العباس المكي .

على أن العباس المكي يمتضى فيقول : وما يدل على تشييعه أيضاً قوله :

أمر الخالق فاقبل ما أمر	واشكر الله إن العذب أمر
أضمر الخيفة ، واضمر قلما	أحرز الطرف المدى حتى ضم
أيها الملحد لا تعصى النهى	فلقد صح قياس واستمر
إن تعد في الجسم يوماً روحه	فهو كالربع خلا ثم عمر
وهي الدنيا أذاها أبدا	رُمز واردة إثر رُمز
يا أبا السبطين لا تحفل بها	أعتيق ساد فيها أم عمر

عجبا للدهر صبح ودجى ونجوم وهلال وقمر^(١)

ولسنا ندرى أى تشيع في هذه الآيات ، الآن أبا العلاء تعرض لأبى السبطين وعتيق وعمر ؟ إن البيت الذى أتى فيه ذكر أبى السبطين جاء على سبيل التمثيل لا على سبيل التأساء كما وهم العباس المكى ، إن أبا العلاء يريد أن يقول إذا كان أذى الدنيا لا ينقطع ، وكان هذا شأنها ، فهى لا تستحق صراعا حولها ، وأولى بمن كان في مكان أبى السبطين ألا يحفل بمن ساد ، وحسبه أنه ستركها ، ويخلص من أذاها .

إذن فقد وهم المكى في فهمه لأبى العلاء ، وخرج علينا بدعوى في تشيع أبى العلاء لم يسبقه إليها أحد ، ولكن لعلنا نلتبس عذرا للمكى إذا علمنا أنه حسبنى موسى فلعله أراد أن يعطف أبا العلاء إلى فريقه ، ويدخله في زمرة .

وإذا كنا في مجال نحوى معتقد أبى العلاء فرمما كنا بحاجة إلى مراجعة لزومياته ، فإنه لم يتلزم فيها بما لا يلزم التزامه من حروف القافية فحسب ، وإنما التزم فيها أيضاً الصدق بمعنى ألا يقول غير ما يعتقد أو على حد قوله في وصفها : «أبنية أوراق ، توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط»^(٢) .

وفي اللزوميات نرى أبا العلاء يشن هجوماً شديداً على الباطنية ، ويتهمهم بالإباحة ، ويرى أن ما هم فيه خير منه الجاهلية ، وأن تعظيمهم لبعض الأحجار خير من تعظيمهم ائمتهم :

ما للمذاهب قد أمست مغيرة لها انتساب إلى القداح أو هجر
قالوا: البرية فوضى لاحسابها وإنما هي مثل النبت والشجر
فالجاهلية خير من إباحتهم سجية الحارث الحراب أو حُجر

(١) أورد المكى الآيات محرقة في بعض الكلمات ، وقد أوردناها في روايتها الصحيحة كما وردت في اللزوميات ، انظر اللزوميات ج ١ ص ٤١٠ وقلاد برواية المكى : تعريف القدماء ص ٣٥٣ .
(٢) اللزوميات ج ١ ص ٣ .

فما أفادوا سوى إحلال نسوتهم معرّضات لأهل الباطن الفجر
وإن أحسن من تعظيمهم رجلاً صغراً من الحكيم العظيم للحجر^(١)

ويعود مرة أخرى لمهاجمة ما زعمه الإسماعيلية من الظاهر والباطن ،
ومن أن ظاهر القرآن رمز لباطن يعلمه الأئمة :

لقد كذب الذين طَعَنُوا فَقَالُوا أَتَىٰ مِنْ رَبِّنَا أَمْرٌ يَّبْرِزُ
أَلَمْ تَرَىٰ عَرَفْتُمْ وَعِيدَ رَبِّ أَقَلَّ تَكْلَمِي وَأَطَالَ ضَمْنِي^(٢)

وفي موضع آخر نراه ينزع عن عليّ رضي الله عنه ما زعم له
الشيعة من تفوق علي سائر البشر :

لا يفخرن الهاشمي على امرئ من آل بربر
فالحق يخلق ما عــــــلى عنده إلا كقنبر^(٣)

و « قنبر » هو خادم علي رضي الله عنه .

ويسخر أبو العلاء من أولئك الذين يدعون قيام إمام غائب ، ويرى
أن العقل هو ما ينبغي أن يأتم به الإنسان في كل أموره :

يرتجى الناس أن يقوم إمامٌ ناطقٌ في الكتيبة الحرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقــــل مشيراً في صبحه والمساء^(٤)

بل إن أبا العلاء يومئ من طرف خفي إلى أن مقتل الحسين أو غيره
من آل البيت شارك فيه الأشياء والأعداء على حد سواء ، ونفهم
ذلك من حديثه عن النصارى واليهود وتوافقهم على قتل المسيح ،
والمرعى كثيراً ما يسقط ما يريد قوله في المسلمين على اليهود ، أو على
النصارى ، أو عليهما معاً ، يقول :

(١) اللزوميات ج ١ ص ٣٦٦ .

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٨ .

(٣) اللزوميات ج ١ ص ٤٠٩ .

(٤) اللزوميات ج ١ ص ٥١ .

توافقت اليهود مع النصارى على قتل المسيح بلا اختلاف
وما اصطلاحوا على ترك الدنيا بل اصطلاحوا على شرب السُّلَّاف
تلافيناهم بالقول فيه فجاءهم التلافى بالتلاف^(١)
فإذا كان هذا رأى أئى العلاء فى الشيعة ، وعدم تبرئته لهم من قتل
أئمتهم ، فهل نظن أنه يجنب لما اعتقدوه ؟

وإذا تركنا لزوميات أئى العلاء إلى رسائله ربما توقفنا كثيراً عند هذه
الرسائل المتبادلة بينه وبين هبة الله الشيرازى داعى دعاة الفاطميين ،
والتي تكشف عن هوة عميقة فى الرؤية ، وفى المعتقد بينه وبين هبة
الله ، ومن طرف خفى حاول أبو العلاء أن يصمم هبة الله بالإلحاد ، كما
حاول هبة الله شيئاً من ذلك ، وانتهى الأمر بأن يئس هبة الله من أئى
العلاء ، ووصف المحاوراة التي دارت بأنها مثل « حديث الطرشان » -
لأن طرفيها لا يلتقيان^(٢) .

هذا أمر أئى العلاء مع التشيع فماذا عن أمر ابن القارح ؟

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١١٧ .

(٢) راجع هذه الرسائل لتحقيق الدكتور إحسان عباس . وراجع كذلك الفصل الذى كتبه الدكتور
إحسان عباس فى مقدمة هذه الرسائل فى رسائل أئى العلاء المعرى تحقيق الدكتور إحسان عباس بشر
دار الشروق ج ١ .

عرفنا أن آل المغربي هم الذين مهلوا لابن القارح في مصر ، وهبوا له أن يكون مؤدياً لأولاد بعض قواد الفاطميين مثل أولاد القائد حسين بن جوهر . وربما كان السؤال هنا ؛ هل كان يسمح أولئك القواد الذين حملوا على عاتقهم عبء الدعوة الفاطمية لرجل أن يؤدب أولادهم إلا إذا كان على معتقدهم موقفاً به أو متظاهراً ؟ ...

لا نظن إلا أن ابن القارح ، وقد أراد الخطوة لدى الفاطميين ، قد أظهر أنه على معتقدهم ، وربما بالغ في إظهار هذا المعتقد ، والتخلق به .

قد يكون هذا حكماً متعجلاً يحتاج إلى دليل ، وقد لا تسعفنا أخبار ابن القارح بمثل هذا الدليل ، ولكن مراجعة متأملة لما تبقى من أرجوزته التي مدح بها الحاكم بأمر الله والتي سبقت الإشارة إليها بنيت عن كثير ، ولتعد إلى قراءة ما نظم ابن القارح :

إِن الزَّمَانَ قَدْ نَضَرَ بِالْحَاكِمِ الْمَلِكِ الْأَعَزِّ
فِي كَفِّهِ غَضَبٌ ذَكَرَ فَقَدْ عَدَا عَلَى الْقَصْرِ
مِنْ غَرِّهِ عَلَى الْفَرَرِ يَمْضِي كَمَا يَمْضِي الْقَدَرُ
فِي سُرْعَةِ الطَّرَفِ نَظَرَ أَوْ السَّحَابِ الْمُنْهَمِرِ

ولعل ما استوقفنا كثيراً تركيز ابن القارح على سيف الحاكم بأمر الله الذي يَمْضِي على رقاب الناس كما يَمْضِي الْقَدَرُ ، وعجبنا من ابن القارح يجعل قتل الحاكم للناس بطولية ومفخرة ، إذ كان أولى أن يكون هذا السيف موجهاً للأعداء الحاكم لا لأبناء شعبه فعلى هذا مضى للمادحون قبل ابن القارح .

وقد يمر قارئ على هذه الأبيات فلا يرى فيها إلا مبالغة من مبالغات الشعراء ، وشطحة من شطحاتهم ولكن الأمر يتغير كثيراً إذا عرفنا ما

أحاط بعصر الحاكم من ملابسات ، إذ تمس الآيات قضية بالغة الخطورة ، فالحاكم في مرحلة من مراحل حكمة خاول تحقيق ما تستهدفه الدعوة الإسماعيلية من تحقيق قيامة عظمى تلغى جميع الديانات والشرائع ، وزعم — فيما يقال عنه — أن الإله الواحد نزل من عليائه فتجلى في ناسوته ، ومن هنا يرى بعض الباحثين أن الحاكم عمده إلى الإكثار من سفك الدماء للإيجاء بأنه هو وحده قادر على أخذ الحياة ممن يشاء ساعة يشاء^(١) .

أرأيت — إذن — إلى هذا الوتر المستفز الذى أصابه ابن القارح ، أو الذى سعى لإصابته .

على أن ياقوت — فى ظننا — أورد من أبيات ابن القارح أكثرها اعتدالا ، وهذا دأب كثير من المؤلفين فيما بعد عصر الفواطم ، ولا ريب أنه لو ذكر سائر القصيدة لرأينا فيها من معتقد الشيعة الإسماعيلية الشيء الكثير .

على أن ما يعزز رأينا فى تشيع ابن القارح وتعلقه بأذيال الإسماعيلية ما يلمح إليه أبو العلاء وهو تلميح مقصود من أن ابن القارح كان يذيل كل كتاب يفرغ منه بالصلاة على الرسول وعترته الأنخيار الطيبين^(٢) .

وعلى هذا ينبغي أن نفهم مغزى هجوم أبى العلاء فى القسم الثانى من الغفران على ميمون القداح ، وما كانت تدین به بعض فرق الشيعة من دعوى التناسخ فمأذاك إلا لمر لابن القارح فى معتقده .

وتلفتنا عبارة فى غفران أبى العلاء أوردتها على لسان الحية القارئة فى حوارها مع ابن القارح تقول :

(١) انظر الجامع فى أخبار القرامطة د . سهيل زكار ح ١ ص ٩٩ ط بيروت ١٩٨٧ .

(٢) رسالة الغفران ص ٣٧٢ .

« ولو أقمت عندنا إلى أن تغير ودنا وإنصافنا ، لندمت إن كنت في الدار العاجلة قتلت حيّة أو عثانا » (١) .

وكان ما لفتنا أن أبا العلاء استخدم « عثانا » وكان في إمكانه أن يستخدم « ثعبانا » والكلمتان بمعنى واحد ، ولأننا تعودنا من أبي العلاء أنه يدس ما يريد التلويح به في ثنايا حواراته قدرنا أن وراء العبارة مغمزاً ، وفطننا أخيراً إلى التعمية في كلمة حيّة ، فقد أرادها أبو العلاء من « الحياة » وعليه تكون « حيّة » مرادفاً في المعنى لـ « عائشة » . وتكون العبارة على هذا :

« لندمت إن كنت في الدار العاجلة قتلت عائشة أو عثانا » .
وكان أبا العلاء يلوح لابن القارح على لسان الحية بما كان يأتيه من سب عائشة وعثان ومعهما بالطبع سائر الصحابة على ما يفعله غلاة الشيعة .

لا ريب عندنا إذن في أن ابن القارح كان على صلة بالمتنقد الإسماعيلي ، وأنه تظاهر به في المدة التي قضاها في بلاط الفواطم ، أما أنه كان يؤمن به فهذا ما نشك فيه ، فرجل مثل ابن القارح ، وبمثل أخلاقه من الوصولية والانتهازية لا يمكن أن يخلص لمبدأ أو معتقد ، وربما كان من المفيد هنا أن نلمح إلى نشأته في كنف آل المغربي ، وآل المغربي كانوا شيعة اثنا عشرية ، ونقدر أن ابن القارح مضى على مذهبهم ثم انتقل عنه متظاهرا بالمذهب الإسماعيلي حينما اتصل بالبلاط الفاطمي ...

وصفوة القول أن الرجل في اعتقادنا شيعي متقلب الأهواء ، ينتمي إلى أي المذاهب يبلغه ما ينشده من حطام الدنيا .

وسنرى أن أبا العلاء كان بارعاً في السخرية من ابن القارح إذ وظف له جملة من معتقدات الشيعة فيها ما يخص الإسماعيلية ، وفيها ما يخص غيرها من الفرق ، وكان ذلك لفتاً ذكياً من أبي العلاء لتقلب ابن القارح العقدي ؛ وربما في ضوء هذا نستطيع أن نفرس سر هجوم أبي العلاء على عديد من فرق الشيعة في القسم الثاني من الغفران .

أخفنا من قبل إلى أن أبا العلاء حينما رسم غفرانه كان في ذهنه تلك الحياة التي عاشها ابن القارح في بلاط الفاطميين ، وأشار في رسالته إلى أبي العلاء إلى شيء من مبادلتها حينما تحدث عن نفسه التي أخرجها في الأعراض البوهيمية والأغراض الوثنية .

وإذا وضعنا هذا نصب أعيننا عرفنا سر تشكيل صورة محشر ابن القارح على هذا النحو ، يدخل متعلقاً بركب السيدة فاطمة ، محمولا على ظهر جارية من جواربها ... وكأن أبا العلاء يلمح بهذا المشهد إلى سر دخول ابن القارح للبلاط الفاطمي في مصر متعلقاً بأذيال العقيدة الإسماعيلية ، وتكون هذه الجارية التي حملت ابن القارح على الصراط تجسيدا لحياته المتبدلة في القاهرة .

وإذا كانت هذه الجنة شيعية للمظهر فلا ينبغي أن يدخلها إلا شيعي ، أو على الأقل رجل أفلح عن عدائه للشيعية ، واقتص منه ، وعلى هذا رأينا الأعشى يدخل الجنة متشبهاً بأذيال علي ، ورأينا تميم بن مقبل العجلاني لا ينجو من النار إلا بعد أن يسفحه النجاشي سفعات ، ورأينا أبا هدرش مقاتلاً في صف علي في صفين ، وفي النهروان .

على أننا قد نذهب مذهباً آخر فنقول إن أبا العلاء في كل ذلك يسخر من ابن القارح ومعتقده في أن مجرد معرفة الإمام تسقط عنه التكاليف كما يذهب فريق من الغلاة ، وفي هذا السياق ندرك مغزى ضياع كتاب التوبة من ابن القارح ، ثم نجاة مع ذلك ، بإدراكه للركب الفاطمي وتعرفه إليهم ، وتعرفهم إليه .

وإذا كنا ذهبنا إلى أن الأعشى ما هو إلا شخصية وضعها أبو العلاء ممثلة لشخصية ابن القارح ، أو مماثلة لها ، فإننا ندرك لم كان الأعشى شخصية من شخصيات جنة الغفران ، وهو لم يعتنق الإسلام ، ولم

يعمل به ، كل ما هنالك أنه نظم قصيدة كان نوى إنشادها بين يدي
الرسول ، وأنه توسل بعلى في محشرة ، والقصيدة و « على » يقفان
على خط مواز مع توبة ابن القارح المفقوده ، وتوسله بالركب
الفاطمى ...

وعلى هذا أيضاً يمكن النظر إلى توبة « أبى هدرش » وانخراطه بعد
إسلامه في صفوف على بعد ماض طويل من العصيان .

ولا يتركنا أبو العلاء نخط كثيراً في هذا التيه ، ولكنه يصدع برأيه
الذى ينطق به النابغة الجعدي : « فأقسم أن دخولك الجنة من
المنكرات ولكن الأقضية جرت كما شاء الله ، لحقك أن تكون في
الدرك الأسفل من النار ، ولقد صلي بها من هو خير منك ، ولو
جاز الغلط على رب العزة لقلت إنه غلط بك » (١) .

وتتسق العبارة مع كلا التأويلين ، فقد يكون أبو العلاء يرمى إلى
أن وجود ابن القارح في البلاط الفاطمي إحدى المنكرات ، وقد يكون
مرماه إلى أن طمع أمثال ابن القارح في الجنة إحدى المنكرات .

على أن مجرد ظهور السيدة فاطمة — رضى الله عنها — في محشر
ابن القارح ، ولقائها به فيه إيماء من أبى العلاء إلى أن عمل ابن القارح
يؤهله للنار لا للجنة ، فأصل الحكاية في معتقد الشيعة أن للسيدة
فاطمة يوم القيامة وقفة على باب جهنم ، يعطيها الله سبحانه حق
الشفاعة في من ترى الشفاعة فيهم ، وذلك — على حد زعم
الشيعة — حتى يتبين الملائكة والأنبياء والرسل وأهل الموقف موقع
السيدة فاطمة من الله ، ومكانها عنده (٢) .

★ ★ ★

(١) رسالة الفهران ص ٢٣٠ .

(٢) انظر الكشكول ليوسف البحراي ، ط البحرين ١٩٨٦ ، ج ٣ ص ١٤٤ .

والأمر كله في تصوير أى العلاء متصل بنظرية الخلود عند الإسماعيلية ، فالإسماعيلية يقوم معتقدتهم على المثل والمثول ، وهم يرون أن الله خلق العقل الكلى أو « السابق » ومنه انبثقت « النفس الكلية » أى التالى ، وبالعقل الكلى والنفس الكلية خلق العالم ، وانتظم الكون ، وهما اللذان يوصفان بصفات الله سبحانه ، أما الله فلا أيس له ولا ليس ، ولا ينبغي أن يوصف بصفة ، ويقابل العقل الكلى في العالم الأرضى النبى ، كما أن الوصى يقابل النفس الكلية ، والإمام القائم هو وريث النبى والوصى ، وهو العقل الكلى والنفس الكلية وهو — من ثم — يوصف بصفات الله سبحانه ، وهذا زعمهم^(١) .

وقد أظهر لنا أبو العلاء هذا المعتقد في صورة حية ممثلة ، ففي محشر الغفران كان النبى — ﷺ — وعلى هما القائمين بأمر القضاء ، النبى المقابل للعقل الكلى ، و « على » المقابل للنفس الكلية ...

وربما خيل لكثير ممن قرأوا رسالة الغفران أن ذلك معتقد أى العلاء يثبه في ثانيا صورة الغفران ، ولم يلتفتوا إلى سخرية أى العلاء اللاذعة من هذا المعتقد التى يضمها وصفه لابن القارح وقد أراد أن يصلح بين المتخاصمين :

« فريد — بلغه الله إرادته — أن يصلح بين الندماء ، فيقول : يجب أن يُحدَرَ من مَلِكٍ يعبر فيرى هذا المجلس ، فيرفع حديثه إلى الجبار الأعظم ، فلا يجر ذلك إلا إلى ما تكرهان ، واستغنى ربنا أن ترفع الأخبار إليه . ولكن جرى ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة »^(٢) .

١٠. انظر تاريخ الدعوة الإسماعيلية للدكتور مصطفى غالب ص ٢٣ وما بعدها ط دار الأندلس . وميض كدث واحدة العقل للكرمانى تحقيق مصطفى غالب ص ١٢٧ وما بعدها . وكذلك آخر اثر لند حامدى ص ٨ وما بعدها .

٢. رسالة الغفران ص ٢٣٣ .

هكذا يسخر أبو العلاء من معتقد ابن القارح ومن على شاكلته من الإسماعيلية ، وكأنه يقول لهم لقد جعلتم أمر السماء كأمر الأرض ، وأخرجتم الله إلى حفظة ترفع له الأخبار وهو سبحانه مستغن عن كل هذا ...

وثمة أخرى يلزم بها أبو العلاء في معتقد المثل والمثول ، وما جرّ إليه من دعوى التأسخ عند بعض القوم ، ونرى ذلك في رف الإوز اللأى ينتفضن فيصرن جوارى كواعب يرفلن في وشى الجنة ، وبأيديهن المظاهر وأنواع ما يلتمس به الملاحى ...

وفي نهاية المشهد تأتى سخرية أبى العلاء إذ يعرض ابن القارح على النابغة الجعدي أن يختار له واحدة من هؤلاء الحور العين المتحولات عن خلق الإوز .

وتصل السخرية إلى ذروتها حينما يقول « لبيد » وكأنه ينطق بلسان أبى العلاء :

« إن أخذ أبو ليل قينة ، وأخذ غيره مثلها ، أليس ينتشر خبرها في الجنة ، فلا يؤمن أن يسمى فاعلو ذلك أزواج الإوز »^(١) . ولابد أن نقرن سخرية أبى العلاء بأزواج الأوز بسخرية أخرى مشابه وردت في القسم الثانى من الغفران إذ روى متندرا ما يقوله بعض النصيرية :

اعجبى أمتا لصرف الليالى جعلت أختنا سكينه قارة
فازجرى هذه السنائير عنها واركبها ؟ وما تضم الغراة
وما يقوله الآخر :

تبارك الله كاشف الحن فقد أرانا عجائب الزمن
حمار شيبان شيخ بلدتنا صيره جازنا أبو السكن

(١) رسالة الغفران ص ٢٣٤ .

بدل من مشيه بجملته مشيته في الحزام والرأس^(١)

إذن فحديث أبي العلاء عن قيان الإوز لم يأت من فراغ ، فإذا كانت سكينه تصبح فارة ، وإذا كان أبو السكين يصبح حمار شيخ البلدة ، فلا عجب أن تنتقل القيان من زى ربات الأجنحة ، إلى زى ربات الأكفال المترجحة كما يقول أبو العلاء ، ويكون حبل السخرية متصلاً من بداية رسالة الغفران إلى نهايته .

* * *

ويبقى مما يتصل بقضية الإمامة في الغفران توزيع أبي العلاء لشخصه بين اللجنة والسعير ، وقد يقنع قارئ بما يراه من وضع أبي العلاء شعراء الجاهلية الذين كانوا على دين كتابي أو متوا بصلة ولو واهية للإسلام في اللجنة ، بينما وضع عبدة الأوثان مثل عنترة وعلقمة والمرقس في النار ... وفي ظننا أن الأمر عند أبي العلاء كان أبعد من هذا ... ونشعر أنه يلوح بهؤلاء الوثنيين إلى شيء ما في شخصية ابن القارح .

صحيح أن من هؤلاء الوثنيين من وظفه أبو العلاء توظيفاً مزدوجاً فغمز صاحبه في لونه وخلقه ، كما ألحنا فيما سبق ولكن يبقى أيضاً للوثنية دلالتها ، ووظيفتها .

وربما بدا الأمر ملفزاً ، ولكن لماذا لا نذهب إلى أن أبا العلاء يريد أن يوضح لابن القارح أنه وثني مثل هؤلاء ، وأن مصيره كمصيرهم . أليس رأى أبي العلاء أن من يعظم الحجر خير ممن يعظم البشر ؟ أليس من قوله الذي مر بنا آنفاً في مهاجمته للشيعة :

وإن أحسن من تعظيمهم رجلاً صفراً من الحكماء العظيم للحجر

(١) رسالة الغفران ص ٤٥٩ .

فإذا كان ابن القارح متممياً إلى هذه الفرقة التي تضع الولاية وهي تعظيم الإمام وطاعته ركناً أول من أركان الإسلام ، فإنه بهذا وثني يعتقد في بشر ما ليس له ، ويرتفع به إلى مصاف الآلهة . والإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة يرون في الإمام أنه من طينة غير طينة البشر ، وأنه مقابل للأشرف من كل شيء فهو كالنار من العناصر ، وكالشمس من الكواكب

يقول أحمد بن إبراهيم النيسابوري أحد الدعاة في عهدي العزيز والحاكم : « إن الأركان الأربعة أعلاها ، وأشرفها النار وهي الغاية والذروة التي يبلغ إليها سائر الأركان والطبائع ، كذلك الإمام في وقته وزمانه أعلى أركان الدين ، وبه ضياء النفوس ، ومن هذه الجهة أمر إبراهيم عليه السلام بتعظيم النار إن صح ذلك عنه ، ومنهم من أخذها وأطفأها ، وكل هذا إشارات إلى تعظيم الإمامة ، وإلى نكران من يدعى منزلتها » (١) .

ولسنا نشك في أن أبا العلاء قرأ كل هذا ، وأحاط به علماً ، ومن هنا نفهم جانباً من هذا الحوار الذي دار بين إبليس وابن القارح ، إذ يسأل إبليس عن بشار ذاكرأ يده البيضاء ، لأنه أحله فوق آدم منزلة بقوله :

إبليسُ أَفْضَلُ من أَيْكُمْ آدَمُ فَحِينُوا يَا مَعْشَرَ الْأَشْرَارِ
النَّارَ عِنْصَرَهُ ، وَآدَمَ طِينَةً وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُو النَّارِ
إليس لنا بعد ذلك أن نسأل : من إبليس هذا ؟ وماذا يمثل به أبو العلاء ؟

* * *

(١) كتاب إثبات الإمامة ، ط دار الأندلس تحقيق د . مصطفى غلاب ط ١٩٨٤ . ص ٣٥ .

على أن ثمة جانباً في غفران أي العلاء قد يثير التساؤل ، ذلك في تشكيكه لصور الغفران ومشاهده ، وقد يرى فيه بعض الدارسين تصوراً للمعاد والبعث عند أي العلاء ... إذ نرى ابن القارح لا يخطر له خاطر إلا رآه مجسداً أمامه ، يعرض له الشوق إلى نظر سحاب كالسحاب الذي وصفه القائل :

إني أرتقت ، ولم تأرق معي صاح لمستكف بُعيد الثوم لَمَّاح
« فيبشئ الله — تعالت آلاؤه — سحابة كأحسن ما يكون من السحب من نظر إليها شهد أنه لم ير شيئاً قط أحسن منها ، محلاة بالبرق في وسطها وأطرافها ، تظمر بماء ورد الجنة من طلّ وطش ، وتشر حصى الكافور كأنه صغار البرد »^(١) .

ويخطر له ذكر الفقاع الذي كان في الدنيا فتشاً أنهار من الفقاع ، بل يجتمع لديه كل فقاعى الجنة من أهل العراق والشام وغيرهما من البلاد^(٢) .

بل إننا نرى حدود الصورة متميزة ، فهي تتشكل وفقاً لهوى ابن القارح وأبلغ مثال على ذلك هذه الجارية التي خرجت له من ثمرة شجر الخور ؛ يقول أبو العلاء :

« ويخطر في نفسه وهو ساجدٌ أن تلك الجارية — على حسنها — ضاوية ، فيرفع رأسه من السجود ، وقد صار من ورائها ردْفٌ يضاهي كتابان عاج ، وأنقاء الدهناء ، وأرملة يبرين وبنى سعد فيبال من قدرة الله الحخير ، ويقول : يا رازق المشرق سناها ، ومُبْلَغُ السائلة منها ، والذي فعل ما أعجز وهال ، ودعا إلى الحلم الجهال ، أسألك أن تقصر بوص هذه الخورية على ميل في ميل ، فقد

(١) رسالة الغفران ص ٢٧٦ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٨٠ .

جاز بها قدرُك حد التأمل ، فيقال له : أنت مخير في تكوين هذه الجارية كما تشاء ^(١) .

ونرى أن التفاهم بين ابن القارح وبين شخوص الغفران يتم في جانب منه على نحو التخاطر ...

يقول له عبيد : « لعلك تريد أن تسألني بم غفر لي ؟ » ^(٢) ، ويلهم الله أسد القاصرة أن يتكلم وقد عرف ما في نفس ابن القارح ^(٣) ، وتقول له جارية شجر الحور : « أيها العبد المرحوم ، أظنك تحتذى في فعال الكندي » ^(٤) .

وأبعد من ذلك ما نراه من شخوص كلما فئت تعود من جديد : « ويعبر بين تلك الأكراس — أي الجماعات — طاووس من طاووس الجنة يروق من رآه حسناً فيشتهيه أبو عبيدة مَصوصاً ، فيتكون كذلك في صحيفة من الذهب ، فإذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها إلى بعض ، ثم تصير طاووساً كما بدأ » ^(٥) .

وشبيه بذلك « الإوزة » التي تتشكل لكل واحد من الآكلين حسبما يشتهي ثم تعود كما كانت ، وكأنها جوهر لا يفنى ، وإنما يتكرر ، ويتمثل في أعراض .

ولإزاء ما نراه من هذا كله قد يثور سؤال ، أكانت هذه الصور حقيقية أو متخيلة ، أو بمعنى آخر أكان ابن القارح يبصر هذه الصور خارجة عنه ، أم أنها كانت تتمثل له في داخله . وهذا قد يجر إلى سؤال أبعد ؛ أكان أبو العلاء يؤمن بالبعث الروحي على معتقد

(١) رسالة الغفران ص ٢٨٩ .

(٢) رسالة الغفران ص ١٨٥ .

(٣) رسالة الغفران ص ٣٠٥ .

(٤) رسالة الغفران ص ٣٧٢ .

(٥) رسالة الغفران ص ٢٨١ .

الإسماعيلية^(١) .

قد يغرى تميع الأشكال أن يبادر فريق إلى القول بأن أبا العلاء يرى أن المعاد معاد روحي ... غير أنا نرى أن تصوير أبنى العلاء لغفرانه لم يخل من ثوابت حسية منها الأنهار والأشجار ، ومنها المكان والمسافة فنرى مثلاً ابن القارح يبعث بعض الخدم على ناقة من نوق الجنة ليحضر الجرادتين حيث كانتا في أقاصى الجنة . ثم هناك أيضاً الانفعال والغضب ، الذي يصل إلى حد التصادم ، فنرى النابغة الجعدي بضرب الأعشى بكوز في يده وكل أولئك مظاهر حسية .

ثم هناك ما يدعم أيضاً هذا الجانب الحسى من بعث الحيوان ، فنرى ثيران الوحش ، ونرى أسد القاصرة ، ونرى ذئب الأسلمي ، ونرى حية ذات الصفا والحية القارئة . فإذا كان المعاد معاداً روحياً فما وجود الحيوان فيه ، إن الإسماعيلية يرون أن الحيوان خلق للخدمة الإنسان في الدنيا ، ويتبى إلى الغدم لأنه لا يملك النفس الشريفة الناطقة التي يملكها الإنسان ، والتي هي الجوهر الخالد الذى لا يصيبه الفناء ، وبه وحده يكون المعاد^(٢) .

ألعل أبا العلاء أراد أن يجمع بين ما يعتقده الإسماعيلية من المعاد

(١) انظر هذا مبسوطاً في كتاب رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٤٩ ، وراحة العقل للكرمالى ص ٥٥ وما بعدها .

ولعل غير ما يمثل ذلك قول داعى الدعاة هبة الله الشيرازى :

فهو من جوهر النفوس البسيطات ومن حيث بدوها مشرؤ
فكن كان بجيت الأصل منها فكذا شوه يكون القفون
ولكن كان ناعياً قبل مهلاً فللهذى المشاهدات أصون
فتراب يكون بالأكل والشرب فذلك العذاب والتكيب
إذا الشد بالآكل دفعنا مضرايه الشروب الأكسون
وترواب الإله أسر خضى ما له فى المشاهدات عميل

ديوان المريد فى الدين داعى الدعاة القصيدة الخامسة .

(٢) انظر قصة جزيرة صافون فى رسائل إخوان الصفا ، إذ هى علاج هذه الفكرة . رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٠٣ وما بعدها .

الروحي، وبين ما يعتقده الاثنى عشرية من المعاد الروحي والجسماني^(١)، وهذا وجه خفي من السخرية بابن القارح وتقلبه بين المذاهب!^٢

ومهما كان من أمر فليس لنا أن نستند إلى ما رسمه أبو العلاء في غفرانه من أشكال ممیعة أو ثابتة في استنباط معتقد أي العلاء نفسه، فكل ما يوهم بالمعتقد في جنة أي العلاء موظف توظيفاً فني إمام للسخرية من تقلب ابن القارح، وإما لبيان مثالبه وشهوانيته.

والذي لا شك فيه أن أبا العلاء لعب على محور التمتعيات والثواب في جنته بمهارة فنية رائعة، فمن تميع الشكل وقفنا على شهوانية ابن القارح كما رأينا من أمره مع هذه الجارية التي خرجت له من ثمرة شجرة الحور.

ومن خلال الثواب رأينا حرص ابن القارح على الملذات أين كانت فرأينا يرسل في طلب الجرادتين من أقاصي الجنة.

ومن خلال بحث الحيوان رأينا أبا العلاء يفضح صاحبه، ويجسد مخازيه، ويعبث به ما وسعه العبث.

الأمر كله — إذن — أمر توظيف فني للمعتقد.

★ ★ ★

يبقى بعد ذلك ما تقول به الشيعة من أن الأعواض واجبة على الله تعالى، أي أنه إذا أصاب عبداً في ماله أو بدنه، وجب أن يعرضه عنه في الدنيا أو في الآخرة^(٢).

(١) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للسيد ابراهيم الموسوي التونجاني ط البحرین ص ٢٠٩.

(٢) انظر مختصر النحلة الاثنى عشرية للشيخ المحافظ شاه عبد العزيز غلام الدهلوی مذهب السيد محمود شكری الأکرمی، ط استنبول ١٩٧٩، ص ٨٩.

والأول وهلة يبدو للقارئ أن أبا العلاء تخيل جنته على أساس من هذا المعتقد ، فالأعشى صار عشاء حورا معروفا ، وانحناء ظهره قواما موصوفاً^(٢) .

وحميد بن ثور الذى كان من عوران الدنيا يقول :
« إلى لا يكون في مغارب الجنة ، فألمح الصديق من أصدقائي وهو بمشارقتها ، ويبنى وبينه مسيرة ألوف أعوام للشمس التى عرفت سرعة سيرها في العاجلة »^(٣) .

ونرى حمدونه الحلبية ، وتوفيق السوداء اللتين كانتا مثالا للدمامة والقبح حوريتين من حوريات الجنة .

وقد يرى بعض الباحثين أن هذا معتقد أبى العلاء ، وأنه لا يتصور الجنة إلا على هذا النحو الذى يتم فيه تعويضه عن زمانته .

وليس الأمر عندنا كذلك ، وإنما نرى أن معتقد التعويض هذا كان وسيلة من وسائل أبى العلاء في العبث بصاحبه ...

وقد رأينا فيما سبق كيف سخر أبو العلاء من صاحبه من خلال عوران قيس ، وكيف بين له وخم مرعاه ، ودناءة مسعاه من خلال حمدونه وتوفيق .

ورأينا أيضاً أن معتقد التعويض بالإيجاب أوحى إلى أبى العلاء بالتعويض بالسلب فإذا بالأعشى صاحب الخمر تحرم عليه الخمر في الجنة العلائية ، ومن خلال ذلك تفنن أبو العلاء في تجريح صاحبه من السخرية .

★ ★ ★

(١) رسالة الغفران ص ١٧٨ .

(٢) رسالة الغفران ص ٢٦٣ .

وبعد فلا ينبغي أن نجهد أنفسنا في استنباط معتقد أبى العلاء من رسالة الغفران ، فالأمر في نظرنا أمر توظيف فنى لبعض معتقدات الشيعة التى تقلب بينها ابن القارح ، ثم — وهذا هو الأهم — لا ينبغي أن يغيب عنا أن أبى العلاء لم يكن يصور جنة المعتقد ، وإنما هى جنة علانية أو قل جحيم علانى سحره أبى العلاء لابن القارح .

خاتمة

لعل من أهم ما حققته هذه الدراسة أنها وضعت نص الغفران في سياقه الصحيح من الأحداث والفن ، وفي إطار هذا السياق كشفت عن جوانب كانت خافية من علاقة كل من أبي العلاء وابن القارح بالوزير المغربي ، وأوضحت أن قضية آل المغربي كانت محورا من محاور الغفران الكبرى .

وإذا كان الباحثون قد أشاروا إلى أن رسالة ابن القارح تعد مفتاحا لفهم غوامض الغفران ، فقد لفتت هذه الدراسة إلى أن القسم الثاني من الغفران ينبغي أن يكون نقطة البدء في قراءة رسالة الغفران ، لأنه يوضح منطلق أبي العلاء ويكشف عن توجهاته . وعلى ذلك فهمنا أن جنة الغفران لم تكن الجنة التي أعدها الله للمتقين ، وإنما كانت جنة علائية ظاهرها النعيم وباطنها العذاب ، وكان كل ما فيها من شخوص ، ومشاهد مجرد وسائل وظيفها أبو العلاء للنيل من صاحبه ، والعبث به ، وفضح مثالبه ومخازيه .

وفي ضوء ذلك تبين لنا أن شخوص الغفران كانت مرآيا وأقنعة يبدو من خلالها ابن القارح في نفسه وشهوانيته أو في خسته وضعته ، كما يبدو من خلالها أبو العلاء يقرع صاحبة ، ويصب عليه سخريته صبا ، ويرمي به بأبلة بعد أبلة .

ورأينا أن أبا العلاء تنوعت طرائقه في توظيف شخصياته ، فهو يورد الشخصية لتدل على جانب محدد في شخصية ابن القارح ، أو لتتطرق بشاهد فيه تفرغ أو تعنيف ، أو يلوح باسمها ، أو ببعض سيرتها ، وعلى كل حال فذكر الشخصية يعني إحالة القارئ لكل ما عرف عنها ، وما روى من أخبارها ، ولذلك كان على قارئ أبي العلاء أن يكون على جانب كبير من الإلمام بالتراث .

وقد رأينا أن أبا العلاء لم يقنع بما أورده من شخوص تراثية سواء

من الناس أو من الحيوان ، وإنما ابتدع لصاحبه شخصية خيالية ، وأنطقها بالشعر ، وجعلها ماثلة له ، إمعانا في السخرية ، وتفننا في العبث فكان ما رأيناه من شخصية « أئى هدرش » في جنة العفاريت .

* * *

وقد أوضحت هذه الدراسة فنون الإلغاز والإيماء التى استخدمها أبو العلاء بما يكون دلالة أخرى باطنة لنص الغفران ، ولعل أبرز ما كشفت عنه بهذا الصدد ما استخدمه أبو العلاء من « التلوخ » أو « التلميح » ، فيذكر بيتا من قصيدة لا يعنيه ، وإنما يلوح بأبيات أخرى منها ، وربما كان التلوخ بالقصيدة كاملة ، وكانت الأشعار الملمح إليها والملموح بها بمثابة دلالة أخرى باطنة شديدة التقريع والإيحاء .

وكانت وقفات أئى العلاء عند الأبيات المراد بها التلوخ لفتنا للقارئ ، وإحالة له على النص الكامل ، وتنوعت وقفات أئى العلاء فهو حينما يلفف البيت برأى نقدى ، أو يجعله موضوعا لمحاورة لغوية أو أدبية ، ومن هنا لفتنا إلى توخى الحذر فى الأخذ بآراء أئى العلاء النقدية فى الغفران ، أو اعتبارها آراء نهائية ، ففى كثير من الأحيان تكون هذه الآراء مجرد لفت أو تنبيه للقارئ ، ولا تمثل رأيا نقديا أو لغويا لأئى العلاء .

ويتضافر مع هذا العنصر عنصر آخر هو الجمل الدعائية التى ظاهرها الدعاء لابن القارح ، وباطنها الدعاء عليه ، وأبو العلاء فى ذلك يوظف مستويات الدلالة المتعددة للفظ على نهج الملاحن التى عرفت عن ابن فارس وابن دريد ، وعرفت كذلك عن أئى العلاء نفسه . وقد أورد أبو العلاء هذه الجمل الدعائية فى أبنية غريبة ، وتراكيب تحفز القارئ إلى تأمل هذه الجمل للوقوف على دلالتها الباطنة .

وقد لفتنا هذا إلى تلاعب أئى العلاء بمستويات الدلالة فى النص كله ، وإلى أخذه بألوان من التعريض والكناية شاعت فى عصره ، وكان فى الوقوف على كل ذلك كشف لكثير من غوامض النص ، ومعرفة لما يتخفى من مراميه ، ومقاصده ، مثال لذلك سواد ابن القارح وهجنته ، وهما ما لم نكن نعرفه من أمره ، وقد رأينا كيف عرض أبو العلاء بهما وأسرف فى التعريض .

★ ★ ★

أما بالنسبة لقضايا المعتقد فقد رأينا أن الظلال الشيعية التى أضفناها أبو العلاء على الغفران لا ينبغى أن يستتبط منها معتقده فى البعث والمعاد ، إذ لم تكن إلا وسائل موظفة للسخرية من ابن القارح ومعتقده معا ، وقد ناقشنا ذلك من خلال توظيف أئى العلاء لبعض نحل الشيعة من قولهم بالحدود ، وبالتناسخ ، وبوجوب الأعواض على الله .

وبعد ، فنرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ما ننشده من إضافة جديدة للمكتبة العربية .

والله نسأل أن يكون عملنا خالصا لوجهه

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- ١ — إخوان الصفا
— رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء ، نشر دار صادر —
بيروت .
- ٢ — الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين .
— الأغاني ، ط بيروت .
- ٣ — البحرائي ، يوسف .
— الكشيكول ، ط البحرين ١٩٨٦ .
- ٤ — البديعي ، يوسف .
— الصبح المنبى عن حيشة المتنبي ، تحقيق السقا ، وشتا ،
وزيادة ، ط دار المعارف ، القاهرة .
- ٥ — الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك .
— الكناية والتعريض ، ط دار صعب بيروت .
— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، شرح وتحقيق
الدكتور مفيد قميحة ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٦ — الجمحني ، محمد بن سلام .
— طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ،
ط القاهرة .
- ٧ — الحامدي ، ابراهيم بن الحسين .
— كنز الولد ، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ، ط دار
الأندلس — بيروت .
- ٨ — ابن حجر ، امرؤ القيس .

— ديوان امرى القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،
ط دار المعارف القاهرة .

٩ — الحموى ، أبو عبد الله ياقوت .

— معجم الأدباء « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب »
ط القاهرة بعناية أحمد رفاعى .

١٠ — ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد
— وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الدكتور
إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت .

١١ — الدهلوى ، عبد العزيز غلام
— مختصر التحفة الاثنى عشرية ، تهذيب السيد محمود
شكرى الألوسى ، ط استانبول ١٩٨٩ م .

١٢ — الذبياني ، الشماخ بن ضرار
— ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، تحقيق صلاح الدين
المهادى ، ط دار المعارف ، القاهرة .

١٣ — الشنتمرى ، يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم .
— أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، ط دار الآفاق
الجديدة — بيروت .

١٤ — الشيرازى ، هبة الله بن موسى ، المؤيد فى الدين داعى الدعاة .
— ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، تحقيق الدكتور محمد
كامل حسين ، ط . القاهرة .

١٥ — الضبى ، المفضل بن محمد بن يعلى
— المفضليات ، تحقيق شاكر ، وهارون ، ط دار المعارف .

١٦ — القالى ، أبو على اسماعيل بن القاسم .
— الأمالى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

- ١٧- ابن قتية ، أبو محمد عبد الله بن مسلم .
 — الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر ، نشر دار المعارف — القاهرة .
- ١٨- الكرماني ، أحمد حميد الدين .
 — راحة العقل ، تحقيق وتقديم الدكتور مصطفى غالب ، ط دار الأندلس — بيروت .
- ١٩- لويس شيخو ، الأب .
 — شعراء النصرانية في الجاهلية ، ط القاهرة .
- ٢٠- مصطفى السقا ، وآخرون .
 — تعريف القدماء بأبي العلاء .
 جمع وتحقيق مصطفى السقا ، عبد الرحيم محمود ، عبد السلام هارون ، إبراهيم الإيناري ، حامد عبد المجيد ، اشراف الدكتور طه حسين ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .
- ٢١- المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان .
 — رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الطبعة الثامنة ، نشر دار المعارف — القاهرة .
 — رسائل أبي العلاء المعري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، ط دار الشروق .
 — زجر النابح « مقتطفات » تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
 — شرح التنوير على سقط الزند ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
 — شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ، اختيار البطليوسي ، وتحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ، مركز تحقيق التراث — القاهرة .

- الصاهل والشاجح ، تحقيق الدكتور عائشة عبد الرحمن ،
دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ م .
- اللزوميات ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م .
- ٢٢— المقرئى ، تقى الدين أحمد بن على
— اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،
تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ، ط القاهرة
١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م .
- ٢٣— الثميرى ، عبيد بن حصين الراعى
— ديوان الراعى الثميرى ، جمع وتحقيق رابنهرت فايرت —
ط بيروت ١٤٠١ هـ — ١٩٨٠ م .
- ٢٤— النيسابورى ، أحمد بن ابراهيم
— كتاب إثبات الإمامة ، تحقيق الدكتور مصطفى غالب ،
ط دار الأندلس بيروت .
- ٢٥— ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك
— سيرة النبى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ط دار
التراث .

ثانياً : المراجع

- ٢٦ — إبراهيم الموسوى الزنجاني
— عقائد الإمامية الاثنى عشرية ، ط البحرين .
- ٢٧ — إحسان عباس
— الوزير المغربي ، دراسة في سيرته ، ط دار الشروق
١٩٨٨ م .
- ٢٨ — أحمد محمود صبحي
— نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ، تحليل فلسفي ،
ط دار المعارف .
- ٢٩ — أمجد الطرابلسي
— النقد واللغة في رسالة الغفران ، ط دمشق ١٣٧٠ هـ —
١٩٥١ م .
- ٣٠ — بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن .
— جديد في رسالة الغفران ، بيروت ١٣٩٢ هـ —
١٩٧٢ م .
- الغفران لأبي العلاء ، دراسة نقدية ، ط دار المعارف ،
الطبعة الثالثة .
- ٣١ — حلمي خليل
— اللغة في رسالة الغفران ، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة
كلية الآداب — جامعة الإسكندرية .
- ٣٢ — سهيل زكار
— الجامع في أخبار القرامطة ، ط بيروت ١٩٨٧ م .
- ٣٣ — طه حسين
— تجديد ذكرى أبي العلاء ، ط دار المعارف — القاهرة .

- مع ألى العلاء فى سجنه ، ط دار المعارف — القاهرة .
- ٣٤ — عبد القادر زىدان
— قضايا العصر فى أدب ألى العلاء المعرى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٣٥ — محمد زغلول سلام
— الأدب فى العصر الفاطمى ، « الكتابة والكتاب » ، ط منشأة المعارف ، الإسكندرية .
- ٣٦ — مصطفى غالب
— تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ط دار الأندلس ، بيروت .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥ — ١٠
الفصل الأول	١١ — ٣٢
« سياق النص »	
١ — رسالة ابن القارح	١٣ — ١٦
٢ — الوزير المغربي	١٧ — ٢٤
٣ — رد أبي العلاء على ابن القارح في القسم الثاني	٢٥ — ٣٢
من الغفران .	
الفصل الثاني	٣٣ — ٥٩
« ابن القارح وشيخوه في الغفران »	
— اللجنة العلائقية — الأعشى — النابغة الجعدي —	
النابغة الذبياني — حسان بن ثابت — عوران —	
قيس — حملونه — توفيق — الحطيفة — الحية	
القارئة — حية ذات الصفا — أبو هدرش — الحر بن	
تولب — أبو ذؤيب — أسد القاصرة .	
الفصل الثالث	٦١ — ٩٦
« الإنغاز والإيماء في الغفران »	
التلويح أو التلميح ، الجمل الدعائية ، عالم الغفران	
الباطن .	
الفصل الرابع	٩٧ — ١٢١
« الغفران وقضايا المعتقد »	
١ — الظلال الشيعية في رسالة الغفران	٩٩ — ١٠١
٢ — الرأي في تشيع أبي العلاء	١٠٢ — ١٠٦

١٠٧ — ١٠٩

١١٠ — ١٢١

١٢٣ — ١٢٧

١٢٩ — ١٣٤

١٣٥

٣ — تشيع ابن القارح

٤ — المعتقد والأداء الفني

— خاتمة

— المصادر والمراجع

— المحتويات

نصوص مختارة

١- رسالة ابن القارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استفتاحاً باسمه ، واستنجاحاً ببركته . والحمد لله المبتدئ بالعم
المنفرد بالقيوم ، الذي جَلَّ عن شبه المخلوقين ، وصفات المحلّين ؛ وليّ
الحسنات ، المبرّر من السيئات ؛ العادل في أفعاله ، الصادق في أقواله ؛
خالق الخلق وبُديعه ، وتُبعيه ما شاء وتُغنيه . وصلواته على محمدٍ وأبرار
عترته^(١) وأهلّيه ، صلاة تُرضيه ، وتُقرِّبه وتُذنيه ، وتُزِيلُه^(٢) وتُخطِّبه :

كتباني - أطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ، ومُدّ مَلَكَه ، وأدام كِفَايَتَه
وسعادته ، وجملي فداه ، وتلّمني قبله على الصّحة والحقيقة ، وبعد الفصل
والعقيدة ، وليس على مجاز اللفظ ومجرى الكتابة ، ولا على تَنْقُص وتِلَابَة ،
وتَحْبِيبٍ وسامحة ، ولا كما قال بعضهم وقد عاد صديقاً له : « كيف تُجَلِّدُ
جعلني الله فداك ، وهو يقصدُ تحبباً ، ويريدُ تملّكاً ، ويظنُّ أنه قد أسدى
جَمِلاً يشكره صاحبه إن نهض واستقل^(٣) » ، ويكافئه عليه إن أفاق وأبلى -
عن سلامة تمامها بحضورِ حَضْرَتِهِ : وعافية نظامها بالتشرفِ بِشَرِيفِ هِزْبِهِ ،
وميمون نقيته وطلعتيه . ويعلمُ الله الكريم - تَقَلُّسَتْ أسباؤه - أتى لَوْحْنَتْ
إليه - أدام الله تَأْيِيدَه - حنينَ الوالِيةِ إلى يَكْرَهَا ، أو ذاتِ القَرْخِ إلى وَكْرَهَا ،

١ - السّرة : ولد الرّجل ونزبه ، وكلّ صيد تقرت منه الذئب فهو سّرة . ومن الكلل :
سّرة الرّجل آخره ، من ولد وولد والده وبني عمه . انظر (أساس البلاغة) .

٢ - تزلفه : تقرّبه ، وله زلفة وثائق : قرى صرّة ، وأجمع زلف ، وزاللت : كثر
وفرنات .

٣ - استقل : نهض . يقال : استقل العائز ، إذا ابتلع زئبقه ، فطان سطل بنه ،
إذا كان ساهلاً لأمره .

أو الحماة إلى إلقائها ، أو الغزاة إلى خيبتها^(١) : لكان ذلك مما تغيّر الليل
والأيام ، والمصور والأعوام ؛ لكنه حينئذ الظمان إلى الماء . والخائف إلى
الأمن ، والسلام^(٢) إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة . والقلبي إلى السكن ،
بل حينئذ نفسه النفسية إلى الحملى والمجلد ، فإلى رأيت نزاعها إليهما نزاع
الاستقصات^(٣) إلى عناصرها ، والأركان^(٤) إلى جواهرها . فإن وهب الله لي
ملا^(٥) من العمر يؤنس برؤيته ، ويغلبني بحبلى مؤدته . حيرت^(٦)
كسارى الليل ألبى عصاه ، وأخمد مسره . وقر عينا ونعم بالأ . وكان
كمن لم بمسسه^(٧) سوى ، ولم يتخونه^(٨) عدو ، ولا نهكه رواح ولا غلو .
وحسب الله أن يمن بذلك . بيومه^(٩) أو يشانه . وبه الثقة .

وأنا أسأل الله على التذاتى والنوى والبعد ، إمتاعه بالفصل الذى استغل
على هاتيه وغاريه ، واستولى على مشايقه ومغاريه ، فمن مر على بحر الهياج ،
ونظر فى لألاه بديره الزهاج ، خلط بأن يكبو^(١٠) قلبه بأناييه . ويبدو

١ - الخلف ، بطلت أخاه المصيبة . وسكون الشين : وله الظن أول ما يراه .

٢ - السلم ، حد : الملوغ . وقد سلت أخيه سلة لدفعه . ويقال : بنت بهمة منم وهو
البيع . قال الأعشى :

• وبنت كما بنت النسم سبدا •

٣ - الاستقصات : والاستقصات ، العناصر ، أصول المركبات - بيطانية معربة . انظر
(التبريدات لسيد الشريف الجرجاني - ص ١٥ ط صبيح سنة ١٣٢١) .

٤ - الأركان : هى الأجسام البسيطة التى تتكون منها المواد ، وكانت عند الأقدمين أربعة :
النار ، والهوى ، والماء ، والتراب .

٥ - الملا : لكسة والاستداد ، والاستلا . ملا ملا . ويلادة : صار ملطاً .

٦ - فى ع : [مرت] تحريف .

٧ - فى ع : [لم يه] .

٨ - كذا فى [ج] ، ي - [و] ع : [يشغله]

وفى نسخة : تظف : تنقصه : وتخونه الدهر بمنى حاله .

٩ - فى ي : [يبد] .

١٠ - فى ي : [يكبو] . تحريف .

طَعْنُهُ عَمَّ رَسَائِلِهِ . إِلَّا أَنْ يَلْقَى إِلَيْهِ بِقَهْلِهِ ^{١٦} أَوْ يَسْتَنْجِيهِ إِقْبِلًا ^{١٧} مِنْ
الْأَقْبَادِ . فَيَكُونُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ ، وَمَحْسُوبًا عَلَيْهِ ^{١٨} . وَتَلَوْنَا فِي شَعْبٍ وَاحِدٍ
أَصْحَابَهُ وَجَزِيئَهُ ، وَشَرَارَةَ نَارِهِ ^{١٩} ، وَقَرَامَةَ دِينَانِهِ . وَسَمَكَ ^{٢٠} نَحْرَهُ ، وَنَمَدَ ^{٢١}
عَثْرَهُ . وَهِيَئَاتِ أَضَاقَ فُتْرٌ عَنْ مُسِيرٍ . لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ ،
خُلِقُوا أَسْحَابًا لَا مَتَسَاعِينَ وَلَيْسَ السَّخَى مَرَّ يَنْسَاحِي لَا سِيًّا وَأَخْلَاقُ
النَّفْسِ تَلَزَمَتْهَا لُزُومُ الْأَلْوَانِ لِلْأَبْدَانِ لَا يَغْتَبِرُ الْأَبْيَضُ عَلَى السَّوَادِ ، وَلَا
الْأَسْوَدُ عَلَى الْبَيَاضِ ، وَلَا الشُّجَاعُ عَلَى الْجُبْنِ ، لَا حَبِيبَانِ عَلَى الشُّجَاعَةِ ،
قَالَ « أَبُو بَكْرٍ » ^{٢٢} [المرزوق]

يَغْتَبِرُ حَبِيبَانِ الْقَوْمِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . وَيَحْسَى شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يَنْسَابُهُ
وَيَرْفُقُ مَعْرُوفُ الْجَوَادِ غَدُوَّهُ وَنَحْرُهُ مَعْرُوفُ الْبَخِيلِ أَقَارِيئُهُ
وَمَنْ لَا يَكْتَفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يَوَدُّهُ فَسَوْفَ يَكْتَفُ الْجَهْلَ عَمَّنْ يُؤَلِّيهِ
وَيَنْزِلُ أَيْنَ لِلضَّبَابِ صَوْبُ السَّحَابِ . وَلِلْفَرَابِ هَوِيٌّ ^{٢٣} الْعَقَابِ !! وَكَيْفَ
وَقَدْ أَصْبَحَ ذِكْرُهُ فِي مَوَاسِمِ الذِّكْرِ أَذَانًا . وَعَلَى مُعَالِمِ الشُّكْرِ لِسَانًا ؟ فَمَنْ

١ - الإقْبِلُ : اللُّطْفُ .

٢ - نَجَ : [إِلَيْهِ] ، وَلَهُ سَبْعُ قُلُوبٍ

٣ - ح : [نَبَاهٍ] ، تَصْهِيفٌ .

٤ - كَفَا فِي الْأَسْلِ ، وَلَهُ : [سَمَلٌ] ، وَهُوَ بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ

٥ - أَهْلُهُ : الْقَائِلُ . وَفِي (الْأَسْلَى) عَنْ الْأَسْمَى : هُوَ مَنْ لَمْ يَنْفَرِ يَنْفَرِ عَقْبًا تَحْتَ وَجْهِ
إِذَا كَشَفَ أَهْلُهُ الْأَرْضَ . وَبَنَ الْهَارَ : وَجِلٌ مُشَدِّدٌ ، كَثُرَ عَلَيْهِ السُّؤَالُ حَتَّى أَنْفَدُوا مَا عِنْدَهُ .

٦ - نَجَ : [الْمَرْزُوقُ] وَتَلَاهَا هـ ، ح . تَصْهِيفٌ ، انْظُرِ الْأَعْلَامَ

٧ - نَجَ : [هـ] تَصْرِيفٌ

الأعلام

١ - « أَبُو بَكْرٍ الْمَرْزُوقُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَسَدٌ فِي حَضْرَتِهِ ، بَشِيرٌ بِالْكُفَّةِ وَأَدَبٌ .
أَبُو أَمِيَّةٍ أَحْمَدِيَّةٍ . وَجِلٌ شِعْرُهُ أَكْثَرُ وَأَشَدُّ . (الْمَرْزُوقُ) مَعْبُودٌ سَمِيحٌ . ص ١٧ ط القنطرة

(١٣٥٤)

فَبَأَ لِلْعَيْنِ حَبِيدَ النَّجْوَى م وَنَ يَدْعِي أَنَّهَا تَغْفِلُ^(١)
 أَوْ يَكُونُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : «مُتَلَبِّثِينَ بَيْنَ ذَلِكَ
 لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ»^(٢) وَيُوثِقُ أَنْ تَكُونَ هَلَهُ صِفَتَهُ .

حَكِّي «الْقَطْرُ بُلَى» ، وَ «ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ»* فِي كِتَابِ اجْتِمَاعِ عَلَى
 تَصْنِيفِهِ - وَأَهْلُ بَغْدَادَ وَأَهْلُ مِصْرَ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَمْ يُصَنَّفْ فِي مَعْنَاهُ يَثْلُهُ ،
 لِيَصِيرَ حَقِيقَةً وَكِبَرُ عِلْمِهِ - يَحْكِيَانِ فِيهِ أَنَّ «الْمُتَنَبِّيَّ» أَخْرَجَ بِبَغْدَادَ* مِنْ
 الْحَبْسِ إِلَى مَجْلِسِ «أَبِي الْحَسَنِ» ، عَلَى بَنِ عِيْسَى الْوَزِيرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ ،*
 فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَحْمَدُ الْمُتَنَبِّيُّ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَحْمَدُ التَّيَّيُّ^(٣) . وَكُشِفَ عَنْ
 بَطْنِهِ فَأَرَاهُ سُلْمَةً فِيهِ وَقَالَ : هَذَا طَائِعٌ يُبَوِّئُ وَهَلَامَةً رَسَالَتِي . فَأَمَرَ بِقُلْعِهِ

١ - البيت من لامية المتنبّي في ملح سيف الدولة ، وسطهما : (الديوان : ٦٦/٣ ط الحلي) .

يُطْعَمُ فِي الْخَلِيفَةِ الْعَلِيَّ وَيُشْمَلُ مِنْ دَعْوَاهَا يَشْمَلُ

٢ - من آية ١٤٣ سورة النساء .

٣ - ن : ع : [المتنبّي] - ويهمل (ج) حاشية ، بحداد أسمر بخط النسخ نصها : «و في جزو
 من تذكرة ابن العديم بخط ما نصه : وهذا عجيب ، فإن المتنبّي ولد سنة ٣٠٣ هـ على ما رواه "ابن
 السابك" وغيره من الرواة ، فكيف تصح هذه الحكاية قبل مولده ؟ وقد جاء في بعض الروايات أنه
 ولد سنة إحدى وثلاثمائة ، فهل كل حال ، لا يصح ما نقل ابن أبي الأزره وأبو محمد ، أو يكون
 هذا المتنبّي غير أبي الطيب المتنبّي وأمه أعلم . ثم ذهبت هذه الحاشية بما نصه : «صح بعد ذلك أنه غير
 أبي الطيب ، وهو أحمد بن عبد الرزيم الأصمالي ، وقد لقلت الحاشية يهمل (ي) .
 ولم ألقهم وبه التعليل والإلتزام هنا ، وقد كان علي بن عيسى وزيراً للقاهر ببغداد حول سنة ٥٣٢ ،
 ومن للمتنبّي إذ ذاك حول العشرين .

الأعلام

- - القطر بل : أبو الحسن ، أحمد بن عبد الله - انظره في أعلام الفنران .
- • - ابن أبي الأزره : أبو بكر ، محمد بن أحمد الخزاعي - انظره في أعلام الفنران .
- • • - بغداد : عاصمة العراق .
- • • • - أبو الحسن ، علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، القليل في الكتاب الوزري ، وزو .
- مرات المشعر ثم القاهر ، وكان محدثاً عالماً دينياً غيراً حتى شهرو في الوزراء بصر بن عبد الرزيم في
 الخلفاء . مات سنة ٣٣٤ هـ وعمره ثمانون سنة . انظر (تاريخ بغداد ، وشنوات الذهب ٣٣٦/٢) .

بالترخمين وأُم حَبْرَكِي والفتكرين^(١) ، بل رُميت بقلية^(٢) الآباد
والدهية الناد^(٣) ، فلما دخلتها - وبعد لم تستقر في الدار ، وقد نكرتها
لفقلان معرقه وجار - أشعلتها باكياً :

إذا زوت أرضاً بعد طول اجتنابها فقلتُ حياً والبلاد كما هيا
كان وأبو القطران ، للراز بن سعيد القمسي^(٤) ، بهوى ابنة عمه
بنجد - واسمها « وحشة » فاحتلها رجل شامى إلى بلكيه . فغمد بطنها ،
وسامه فراقها ، فقال من قصيدة :

إن اتركت وحشةً التجد لم يكن لعينيك مما تبكيان طبيبُ
رأى نظرةً منها فلم يملك البكا معاوِز يربو تحتهن كتيب^(٥)
وكانت رياح الشام تُكره مرةً فقد جعلت تلك الرياح تعطبُ
فحصبت من الرباح^(٦) على الرياح ، كما حصل لأبي القطران^(٧) .
من « وحشة » .

١ - الدوخين ، يوقن شربيل : القامية ، وأم حبركة ، وأم حبركان : الدهية .
والحبركة رجل ينزل فيه السالك . والفتكرين ، يكره الماء وضها ، راح الناد : الدواهي والفتاك .
وفي القام : وإنما لم يستعملوا الأفراد في مثل شعر وأقور ، حيث كانوا يصفون الدواهي بالكرة
والاحتال والقلمة . وانظر أيضاً (فقه اللغة للعالي ، ص ٥٥٨ ط الرسالة) .

٢ - الآباد جمع أباد ، بمعنى العمر ، ويقال : جنتا بأبنة ما نمرها . أي غرنا ، الجع
لأباد ، وبت الأباد الكلام غرنا .

٣ - الناد كسبب : هي التي تناد المرء إلى نفسه وتبلغ له . ويقال أيضاً لوق .

٤ - للمعاوِز : جمع معاوِز ومعوق ، وهو الثوب المكلف ، وكل ثوب قصير به آخر .

٥ - الرياح ، بالفتح : الريح ، ما يروح .

ثم ... ثم ... ثم (١) . ثم أجرى ذكره - آدم الله تأييده -
من غير سبب جرح وغير مقتضى اقتضاه ، فقال :

الشيخ بالنحو أعلم من «سيويه» ، وبالفتح والعروض من «الخليل»
فقلت والمجلس [بأذن] (٢) : بلغني أنه - آدم الله تأييده - يصغر كبيره ،
ويُنزّر صغيره ، فيصير تصغيره تكبيراً و تحقيره تكبيراً . وهكذا شاهدتُ
من شاهدتُ من العلماء رحمهم الله أجمعين ، وجعله وارث أطول أعمارهم
وأنفصرها وأزغليها . وما ثم له حاجة دعت إلى هذا : قد تفتح النور وتوضح
النور . وأضاء الصبح للمرى عينين !

• • •

كان «أبو الفرج الزهرجى» (٣) كاتبُ حضرة نصير الدولة (٤) :
- آدم الله حراسه - كتب رسالةً إلى أعطانها ، ورسالةً إليه - آدم الله
تأييده - استودعنيها ، وسألني إيصالها إلى جليلي حضرتي ، وأكون نائيتها
لا باعيتها ، ومُعجلها لا مُؤجلها . فسرقَ عليّ رَحَلًا (٥) لي : الرسالة فيه ،

١ - كلما في كل النسخ ، ولم نحاول التماس ما يسهل هذا السقط ، فقد وصلت الرسالة هكذا إلى
أبي العلاء فقال : « فأما الفصل الذي ذكر فيه الخليل » ، فقد سقط منه اسم الذي خلا في « أي في
مديح » . (انظر صفحة ٤٠٣ من رسالة الغفران) .

٢ - ن ج : [بأذن] وكذلك نقلت في د ، ح . وبأذن : يسمع ، أو يسمي .
٣ - سقط من [د] .

الأعلام

- - سيويه : أبو بشر ، عمرو بن عثمان - انظر في أعلام النفران .
- - الخليل : بن أحمد ، أبو عبد الرحمن - انظر في أعلام النفران .
- • • أبو الفرج الزهرجى : انظر في أعلام النفران .
- • • نصير الدولة : أحمد بن مروان ، صاحب ميازقين وديار بكر . ولها
عام ٤٠١ واستمرت دولته إحدى وخمسين سنة . وكان عالماً همة حازماً حريصاً على الدين والدنيا .
قصده شعره صبره وينسوه . قبل سنة ٤٥٣ . (رقيات الأعيان ، وشلوات اللعب ٢٩٠/٣) .

فَكَبِئْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَشْكُو أُمُورِي وَأَبُتُّ شُقُورِي^(١) ، وَأَطْلِمُهُ طِلْعُ عُجْرِي
وَيُجْرِي^(٢) ، وَمَا لَقِيتُ فِي مَفَرِّي مِنْ أَقْبِيَامٍ يَلْعَنُونَ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، وَالْأَدَبُ
أَدَبُ النَّفْسِ لَا أَدَبُ الدُّرُسِ ، وَهُمْ أَصْفَارُ مِنْهَا جَمِيعًا ، وَلَهُمْ تَصْحِيفَاتُ
كَتَبْتُ إِذَا رَدَفْتُهَا عَلَيْهِمْ ، نَسَبُوا التَّصْحِيفَةَ إِلَيَّ ، وَصَارُوا إِلَيَّ^(٣) عَلًّا .

لَقِيتُ «أَبَا الْقُرْجِ الزُّهْرَجِي» بِ«أَمْدٍ» وَمَعَهُ خِزَانَةٌ كَثِيرَةٌ : فَعَرَّضَهَا عَلَيَّ
فَقُلْتُ : كُتُبُكَ هَذِهِ يَهُودِيَّةٌ ، قَدْ بَرِئْتُ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ ، نَأْظُهُرُ
مِنْ ذَلِكَ إِعْظَامًا وَإِنْكَارًا : قُلْتُ لَهُ : أَنْتَ حَلَّ الْمُجْرَبِ . وَمِثْلُ لَا يَهْرَفُ^(٤) ،
بِمَا لَا يَعْرِفُ ، وَإِبْلَغْ تَبَيَّنْ . فَقَرَأَ هُوَ وَوَلَدُهُ وَقَالَ : صَغُرَ الْخُبْرُ^(٥) الْخَبَرُ .
وَكُتِبَ إِلَيَّ رِسَالَةٌ يُقَرِّطُنِي فِيهَا بِطَعْرِ لَهْ كَرِيمٍ ، وَطُلُقٍ غَيْرِ ذَمِيمٍ^(٦) .

• • •

١ - الشُّقُورُ ، بِالضَّمِّ - وَهَذَا يَفْتَحُ : الْحَاجَةُ ، وَالْمِمْ ، وَالْأُمُورُ الْتَاسِقَةُ بِالضَّمِّ الْمِثْلَةُ لَهُ .
الرَّاسِدُ فَحَرٌ ، يَفْتَحُ لِسْكَوَيْنَ .

٢ - الْمَجْرُ وَالْمَجْرُ : الْمَجْرُ وَالْمَجْرُ ، قَطْعُ : أَنْفَصَيْتُ إِلَيْكَ بِمَجْرِي وَبِجْرِي ، أَيْ أَمْرِي
كُلَّهُ . وَمِنْ أَيْنِ الْأُمُورِ : إِذَا كَانَ فِي السَّرَةِ نَفْعَةٌ فَبِهَا مَجْرَةٌ ، وَإِذَا كَانَتْ فِي الظُّهْرِ نَفْسٌ مَجْرَةٌ ، ثُمَّ
يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْمَعْمُومِ وَالْأَسْرَافِ .

٣ - الْأَبُ : الْحَشْدُ وَالْتِجَاعُ ، وَالْإِلَابُ : الْقَوْمُ تَجَمُّعُهُمْ هَذِهِ وَاحِدٌ . يُقَالُ : صَارُوا عَلَيْهِ
إِلَابًا إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى عَدُوِّهِ . وَتَأْلِيًا عَلَيْهِ : تَجَمُّعُوا .

٤ - يَهْرَفُ : يَهْجُو . وَهَرَفَهُ الرَّجُلُ : اسْتَفْهَمَهُ . وَهُوَ يَهْرَفُ بِفُلَانٍ : يَسْتَبِقُ فِي الْفَتَاةِ فِيهِ
الْمُنَافِيانَ .

٥ - الْمَجْرُ ، بِضَمِّ لِسْكَوَيْنَ : الْإِخْتِيَارُ ، وَيُقَالُ : مَالِي بِهِ خَيْرٌ أَوْ عِلْمٌ .

٦ - فِي الْأَصْفَالِ مِنْ هَذِهِ الْفَقْرَةِ إِلَى الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ : يَهْجُو كُلُّهُمْ . وَكَتَبْتُ مِنْ قَبْلِ أَمِيلَ إِلَى الْفَتْحِ بِأَنَّ هَذَا
بِسُقْلَا . لَكِنِّي الْآنَ أَرَاءُ مِنْ مَأْلُوفِ اسْلُوبِ أَيْنِ الْقَارِخِ وَصَعْرِهِ .

الأعلام

• أَمْدٌ : مِنْ أَعْلَامِ الْأَمَاكِينِ فِي الْفَتَرَانِ .

قال المتنبي :

أذم إلى هذا الزمان أمياله^(١) .

صغرهم تصغيرَ تحقيرٍ غير تكبير ، وتقليل غير تكثير ، فتفتت مصلوحاً ، وأظهر ضميراً مستوراً . وهو سائح في مجاز الشعر ، وقائله غير ممنوع من النظم والنثر ، ولكنه وضعه غير موضعه ، ونحاطب به غير مستحبه^(٢) . وما يستحق زماناً ساعده بقاءه «سيف الدولة» * أن يُطلق على أهله الذم . وكيف وهو القاتل :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طريقه من داره بحسابه^(٣)
ولد كان من حقه أن يجعلهم في نضارته^(٤) ، إذ كانوا منسوبين إليه محسوبين عليه . ولا يجب أن يشكوا^(٥) عاقلاً ناطقاً إلى غير عاقل ولا ناطق ، إذ الزمان حركات الفلك ، إلا أن يكون ممن يحتقد أن الأفلاك تنقل وتعلم
وتفهم ، وتدرى عواقب أفعالها ، يقصد وإرادات . ويحمل هذا الاعتقاد
على أن يقرب لها القربان ويختن الدخن^(٦) ، فيكون مناقضاً لقوله :
١ - تمام البيت :

• فاعلمهم نعم وأحزبهم وقد .

قد خلق أبو العلاء في (رسالة الغفران) على حديث ابن القارح هنا ، بأن المتنبي إنما قال هذا البيت في عهد بني محمد بن سيار - بأثباته - قبل أن يمدح سيف الدولة ، فنبأنا عن أن المتنبي كان مولداً بالتصغير ، والنشأ طلق لم ذلك . انظر ص ١٦ وما بعدها .

٢ - في : [مستحبه] تحريف .

٣ - الطرف : بكسر لمكون : الفرس الكريم ، والبيت من قصيدة له يمدح سيف الدولة ويوجهه إلى إقطاع من صفاته . انظر ص ٣ ط الحظ ١٩٣٦ .

٤ - التصير هنا سيف الدولة .

٥ - التصير هنا المتنبي في ذمه أهل الزمان إليه .

٦ - الدخن : البخور ، ويقال : دخن الرجل ودخن ، إذا تهر ، والدمعة : الهبرة .
الاعلام

• - المتنبي : أسد بن الحسين ، انظر في اعلام الغفران .

• - سيف الدولة : على بن عبد الله الحمداني ، انظر في اعلام الغفران .

جُنُكِرَ^(١) وَصَفَهُ بِهِ حَمِيصٌ . نَحْنَاهُ إِلَى مَحْبَبٍ

وَيَقُولُ «لَيْفِ الدُّوَلَةُ»

وَيُغْضِبُونَ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْفِيسُ وَالْمِنْ^(٢)

وَكَلَبَ^(٣) وَاللَّهُ . لَقَدْ كَانَ يَنْحَرُّشُ بِالْمَكَارِمِ وَيَتَحَكُّكُ بِهَا . وَيَحْسُدُ

عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا مِنْهُ وَبِهِ^(٤) . وَهَذَا غَيْرُ قَادِحٍ فِي طَلَاةِ شَعْرِهِ وَرَوْنَقِ

دِيْبَاجِهِ . وَلَكِنِّي أَخْطَأُ عَلَى «نَبَادِقِ» وَالْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يَتَلَاعِبُونَ بِالذِّبْنِ .

وَيُرَوِّمُونَ إِدْخَالَ الشُّبَّهِ وَالشُّكُوكِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ . وَيَسْتَعْلِبُونَ الْقَدَحَ فِي سِيَرَةِ

النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ . وَيَنْظُرُونَ^(٥) . وَيَسْتَنْزِلُونَ . وَهَجَبًا سَدَّكَ

الْمَلْهَبِ :

• تَبِيَهُ مَنْ وَطُرِفَ وَنَلِيقٍ^(٦) .

وَيُقْتَلُ الْمَلْهَدِيُّ^(٧) «بِشَارًا»^(٨) عَلَى الزُّنْدَقَةِ . وَلَمَّا شُهِرَ بِهَا وَخَافَ :

دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ :

يَا ابْنَ نَهْيَا ، رَأْسِي عَلَى ثَقِيلٍ وَاحْتِمَالُ الرَّاسِينِ هَبْءٌ ثَقِيلٌ

قَادِحٌ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّي . فَمِلْ إِلَى بَرٍّ أَوْ سَلِّمْ مَشْغُولٌ

١ - ابْنُشَكَ : نَوْعٌ مِنَ الْخُفَّاءِ . قَانِيَةً سَرِيعَةً وَأَبْيَحَ أَنْ الصَّبْرَ . يَهْ تُسْتَعْنَى . وَكَأَنَّكَ أَكْبَرُ

الْوَزِيرِ الْفَتَى جُنُكِرَ أَنْ يَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَسْتَقِرَّ

٢ - الرِّفْدُ : الْعَلَاءُ - وَالْمِنْ : جَمْعٌ مِنْ مَنَى حَتَّى تَعْدَادَ اِسْمُهُ . عَلَى سَبِيلِ الْمَنْزِلِ . وَابْيَتٌ مِنْ قَصِيدَةٍ

الْمُتَنَبِّئِيَّةِ . يَشْكُو سَيْفَ الدُّوَلَةِ . وَيُسَمِّيَهَا فِي (الْبَهَائِيَّةِ) ٢٤٣/١ .

يَمْ الْفَتَلُ ؟ لَا أَمَلٌ . وَلَا وَطَنٌ . وَلَا قَدِيمٌ . وَلَا كَأْسٌ . وَلَا سَكَنٌ

٣ - فِي ي ، ع : [كَلَبَ] وَابْنُ زُوَيْجٍ (ج) شَبَّهَ فَالْعَمَّةَ . لَطَبَ فِي مَكَانِهَا

٤ - الْفَهَائِلُ هُنَا لَسِيْفَةُ الدُّوَلَةِ . ه - فِي ح : [وَبِطَلُونِ] .

٥ - لِأَبِي نَوَاسٍ - لِنَظَرِهِ فِي شَرَاهِ مَعْرِفَةٍ

مَعْنَى .

• - الْمَلْهَدِيُّ : الْحَافِيَةُ الْبَاسِيَّةُ - مَعْنَى وَهُوَ يُنْفَعُ -

• • - بِشَارٌ : يَنْزِعُ - لِنَظَرِهِ فِي أَهْلِهِ مَعْرِفَةٍ

• وَأَحْضَرَ^(١) «صَالِحَ بْنِ عَبْدِ^(٢) الْقُدُّوسِ» • وَأَحْضَرَ النُّطْعَ وَالسَّيْفَ ،
 فقال : عَلَامَ تَقْتُلُنِي ؟ قال : على قولك :
 رَبُّ يَسْرُ كَمَتَهُ فَكَلَّيْ أَخْرُسُ ، أَوْ نَنَى لِسَانِي عَقَلٌ^(٣)
 ولو أنى أظهرتُ للناسِ ديني لم يكن لي في غير حَبِي أكلُ
 يا عُدَيَّ اللهُ وَعُدَيَّ نَفْسِيه :

السُّرُّ دون الفاحشاتِ ولا يَلْقَاكَ دونَ الخيرِ من يَسْرٍ
 فقال : قد كنتُ زنديقاً وقد تُبِّتُ عن الزندقة .
 قال : كيف وأنت القاتل :

والشيخُ لا يتركُهُ عاداتُهُ^(٤) حتى يُؤَارَى في ثَرَى رَمِيهِ
 إذا ارْتَوَى عادٌ إلى غِيهِ كَلَرَى الضَّنَى عاد إلى نَكِيهِ
 وأخذَ غَفْلَتَهُ السَّيْفُ ، فإذا رأسُهُ يَتَنَفَّدُ على النُّطْعِ .

١ - الحديث هنا عن « المهدي » .

٢ - ن: ح : [صالح بن القدوس] .

٣ - القتل : القيد ، من قتل البعير حقلاً : قيد ، ثم وظيفه على ذمائه فنداهماً بما يحمل هو
 الشال . واضطه كذلك .

٤ - يروي : [أخلاق] . وقد جاءت بهاش (ج) وظيفها : خ ، أي نسخة .
 وفي رواية القاتل في أماليه . (انظر سماء اللال ١/ ١٠٥ ط ١٩٣٦) .

وظهر في أبيه في بلد خلعت «بخارى» * وراء النهر ، رجل قصار**
أحور ، حبل له وجها من ذهب يخطب برب العزة ، وقيل لهم قسراً فوق
جبل ارتفاعه قرابض ، فأنفذ «المهدي» إليه فأحيط به ويقلعه ، فحرق
كل شيء فيها ، وجمع كل من في البلد وسقام شرباً مسموماً ، فماتوا
بأجمعهم ، وشرب فلحق بهم . وعجل الله بروجي إلى النار .

و«الصناديق»*** ، في اليمن ، كانت [١١] جيشه به «المليخرة»****
وسفينة وخوطب برب العزة . وكويب بها : فكانت له دار إفاضة يجتمع
إليها نساء البلدة كلها ويختلن عليهن ليلا . قال من يؤتى بخبره : دخلت
إليها لأنظر ، فسميت امرأة تقيل : يا بني ! فقال : يا أمه ، نريد أن
نمضي أتر ولي الله فينا !

وكان يقول : «إذا فعلتم هذا لم يتغير مال من مال ولا ولد من ولد ،
فتكونوا» (١٢) ، كنفس واحدة . فغراه «الحسيني»***** «من صنعا»
فهزمه ، وتحصن منه في حصن هناك ، فأنفذ إليه «الحسيني» طيباً بمقتع
مسموم فقتله

و «الوليد بن يزيد»***** ، أقام في الملوك سنة وشهرين وأياماً ،
وهو القاتل :

١ - إضافة أحاج إليها السيل . ٢ - في ع : [فتكونين] .

الأعلام

- بخارى : بالنسب ، من أعظم مدن ما وراء النهر ، كانت قاعدة ملك السامانية - ياقوت ١/٣٢٣
- - اقتصار الأهور : - الملقب الخراساني ، القرو في أعلام المنقران
- - السناديق : المنصور ، القرو في أعلام المنقران .
- - المليخية : سفينة : من مدن اليمن ، في بلاد عمان .
- - الحسيني : قتله يحيى في القرو الثالث المجري .
- - صنعا : المدينة المشهورة باليمن .
- - الوليد بن يزيد : الأموي ، القرو أعلام المنقران

إذا مت يا أمَّ الخَنْبَكِلِ فانكحي^(١)
 ولا تملئي بعد الفراغ ثلاثاً
 فإن الذي حدثني من لقائنا
 أحاديث عظم ترك العقل ولها !
 وروى المصحف بالشَّابِ وخرقه وقال :

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل : يا رب خرقني الوليد
 وأنفذ إلي مكَّة بناءً مجيباً ليبنني له على الكعبة شربة ، فمات
 قبل تمام ذلك . فكان الحجاج يقولون : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ! لَبَّيْكَ
 يا قاتل الوليد بن يزيد . لبيك !

وأفسر بنابجة^(٢) من دُحِبَ وفيها جوهرة جليلة القدر ، [...]^(٣) صورة
 رجلي . فسجد له وقَّله وقال : اسجد له يا عُلج ! قلت^(٤) : ومن هذا ؟
 قال : هذا « مائي »^(٥) . شأنه كان عظيماً ، اصمَّحَلَّ أمره لطول المدة .
 فقلت : لا يجوزُ السجود إلا لله . فقال : قم عنا .
 وكان يشربُ على سطحٍ وبين يديه باطية كبيرة يُلَوِّرُ^(٦) وفيها أقداحُ ؛

١ - الخبكيل : تصغير الحنكل : القمصر ، وتميم . والآخر حنكة . وهو أيضاً .
 المدينة السود . من النساء . وطسم : من قبائل العرب البائدة .

٢ - في النسخ الثلاث [البنابجة] بالياء . وفي رواية أخرى : بنابجان . [البنابجة] أو نبتة إلى معده
 بعد . ولا احتوى إليها من لقنوا عن طبعي يروى .

٣ - كذا في النسخ الثلاث . وقد يحتاج السياق إلى لفظة [عل] أو نحوه .
 ٤ - ليس في النسخ التي بأيدينا ، ما يشير إلى الشخص هنا ؛ فإذا لم يكن صلاح قد أسقطوا
 شيئاً ، فالظن عندنا أن ابن القاري نقل الحادثة هكذا دون التفتت إلى الراوي . وانظر معه حديث الجندب ؛
 في الصفحة التالية .

٥ - في رواية : [ما في هذا] ، شأنه كان عظيماً . [و . ماق . م] : معصية الخيرية من الغير .
 ٦ - كذا في النسخ الثلاث ، وتُملُّ النقطة غير أو موليح (مورد) صبر . فتكون لبيان : [بأنه]
 كبيرة ، وفيها أقداح يدور .

فقال لندمائه : أين القَمَرُ الليلة ؟ فقال بعضهم : في الباطية ! فقال : « صدقت ! أتيت على ما في نفسي . والله لأشربنَّ الهَفْجَةَ » يعني شُرْبُ سبعة أسابيع متتالية .

وكان بموضع حولة « دمشق » يقال له « البحر » فقال :
تَلَعَبَ بالنيوقِ هاشمى بلا وحي أَناه ولا كتاب
فقتلَ بها ، ورأيت رأسه في الباطية التي أراد أن يَهْفُجَ بها .

و « أبو عيسى بن الرشيد » * « القاتل » :

دعاني شهر الصوم لا كان من شهر ولا صُتْ شهرًا بَعْدَهُ آخِرَ الدهر
ولو كان يُعَدُّ بِنِي الإمام بِقَدَرَةٍ على الشهر . لاستعملتُ دهرى على الشهر
عَرَضَ له في وقته صَرَعُ فمات ولم يُدرك شهرًا غيره والحمد لله .

و « الجنابي » *** قَتَلَ بِمَكَّةَ أُلُوفًا . وأخذَ سِتَّةَ وعشرين ألفَ [جمل] ^(١)
خِيفًا . وضربَ آلَئِهِمْ وَأَتَقَالَهُمْ بالنار . واستملكَ من النساء والعلمان
والصبيان مَنْ ضاقَ بِهِم الفُضَاءُ كَثْرَةً ووفورًا . وأخذَ حَجَرَ المَلْعَزَمِ وظنَّ
أَنَّهُا مغناطيسُ القلوب : وأخذَ الميزابَ . قال : وسمعتُ ^(٢) قالًا يقول لِفُلَّامٍ
ذُخْرَمَانَ ^(٣) طَوَالَ يَرْفُلُ في بُرْدِيهِ وهو فوقَ الكعبة : « يا رَحْمَهُ . أَقْلَمَهُ

١ - « كلاً في د . وهو أول من رواية الأصل : [جمل] بأداء امهلة » رُغمَ غلط أو سوادٍ بغير مشقة .

٢ - المصنف هنا غير ابن القنبر . فإن اجتناب قطع الخرج سنة ٣١٢ ثم سنة ٣١٧ ، قيل أن يوله « ابن القنبر » وأغلب الظن أنه هنا يروى عن آخر . أو لعله نقل الخبر دون التفات إلى ذكر رويته كما فعل في قصة الوليد بن يزيد . انظر رقم ١ ينشئ الصفحة السابقة .

٣ - الحسين والحسين : الأسود الفيض ، وقد ينسب إليه « السبب ليقاد » وحسبنا وحدثني . وعن ابن سبته : الحسين المصنف مع سواد . وفي (المصنف) : « الحسين : الأدم السنين ، وقد كتب فيقال : الحسين . وانظر (كتاب شبيب الألفاظ لابن السكيت ص ٣١٠ ، ١٣٦)

مُعد

- - دمشق : حصة سورية . من أعلام الخلفاء .
- - أبو عيسى بن الرشيد : العباسي : انظر في أعلام الخلفاء .
- • - الجنابي : أبو ماهر سليمان بن الحسن أبو سعيد القريظي - انظر في أعلام الخلفاء .

وأُسرع^١ يعني ميزاب الكعبة . فعلمت أن أصحاب الحلي صَحّفوه فقالوا :
 يلقبه غلام اسمه رَحمة ؛ كما صَحّفوا على «علي» رضي الله عنه قوله :
تَهْلِكُ البَصْرَةُ بالريح . فهلكت بالزنج ، لأنه قتل «علوي البصرة»^٢
 في موضع بها يقال له «العقيق» أربعة وعشرين ألفاً ، غدوهم بالقصب ؛
 وخرق جامتها ، وقال في خطبته يخاطب الزنج : «إنكم قد أعتنتم بفجع
 مظهر فاشفعوه بقبيح مخبر : اجعلوا كل عامي قفراً وكل بيت قبراً» . قال لي
 بدمشق «أبو الحسين الزيندي الوزيني»^٣ : «على نسب جدّي
 دخل ، وإياه ادعى .

وقال «أبو عبد الله بن محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي» :
 كنت بمكة سيف «الجنابي» قد أخذ الحاج ، ورأيت رجلاً منهم قد قتل
 جماعة وهو يقول : يا كلاب ، أليس قال لكم «محمد» المكي : «ومن
 دخله كان آمناً»^٤ ؟ أي آمن هنا ؟ فقلت له : يا فتي العرب ، تؤمن
 سيفك أفسر لك هذا ؟ قال : نعم . قلت : فيها خمسة أجوبة ، الأول ،
 ومن دخله كان آمناً من عذاب يوم القيامة ؛ والثاني ، من فرّض الذي فرضت

١ - كذا في (ي) - واللفظ في (ج) غير واضح ، وأقرب ما يكون إل : [الوزيني] ، وذع :
 (الوزير بن علي نسب) وهو تحريف يفسد العبارة .
 ٢ - يشير إلى قوله تعالى : «مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً» من آية آل عمران ٩٧ .

الأعلام

- - البصرة : مدينة العراق ، وأصبح في القرن حديث خربها في سنة الزنج .
- • - علوي البصرة : أو العلوي البصري ، صاحب الزنج - انظره في أعلام القرن .
- • • - أبو الحسن الزيندي : (الوزيني ؟) - ولم تهتد بعد إلى معرفة شخصيته ، والحيات فيهم
 أنه عدو من تفرق الزنج ، بدليل قوله إن علوي البصرة ، دخل على نسب جدّه ، وإياه ادعى .
- • • • - أبو عبد الله ، محمد بن علي بن رزام الطائي ، ثم تهتد إليه في مرجعنا ، وسيتبع من أعنه
 الجنابي الحاج ، يدعى على أنه عاش في أربع الأول من القرن الرابع الهجري .

عليه ، والثالث : خرج ، مخرج الخبر وهو يريد الأمر كقولهِ : « والمطلقات
يترَبِّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ »^(١) : والرابع . لا يُقَامُ عليه الحدُّ فيه إذا جَنَى في الجِلْدِ ،
والخامس . مَنْ اللهُ عليهم بقولهِ : « أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ
حَوْلِهِمْ »^(٢) فقال : صدقت . هذه اللحية إلى توبة؟ فقلتُ : نعم . فخلاني وذهب .
و « الحُسَيْنُ » بِنُ منصور الحلاج « مِنْ » نيسابور^{***} وقيل : من
« مرو »^{***} . يَدْعِي كُلُّ عِلْمٍ . وكان مُتَهَوِّدًا جَسورًا يرومُ إقْلَابَ الدَّوْلِ
ويدْعِي فِيهِ أَصْحَابُهُ الإِلَهِيَّةَ . ويقولُ بِالْحُلُولِ . وَيُظْهِرُ مَذَاهِبَ الشَّيْعَةِ
لِلطُّولِ ، ومذاهبَ الصَّرِيفَةِ لِلْعَمَةِ . وفي تضاعيفِ ذلك يَدْعِي أَنَّ الإِلَهِيَّةَ قد
حَلَّتْ فِيهِ . وناظرَهُ « عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ »^{***} فوجدَهُ صِغْرًا مِنَ الْعُلُومِ .
وقال : « تَعَلَّمْتَ لِيَطْهُرَكَ وَفَرَضْتُكَ . أَجِدِي عَلَيْكَ مِنْ رَسَائِلَ أَنْتَ لَا تَدْرِي
مَا تَقُولُ فِيهَا ، كَمْ تَكْتُبُ إِلَى النَّاسِ : تَبَارَكَ ذُو النُّورِ الشَّعْشَعَانِي الَّذِي
يَلْمَعُ بَعْدَ شَمْسِهِ ! مَا أَحْوَجَكَ إِلَى أَدَبٍ ! »
حدثني « أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَاسِيُّ »^{*****} قال : « رَأَيْتُ الْحَلَّاجَ واقفًا على
خَلْقَةِ أَبِي بَكْرٍ الشَّيْلِيِّ^{*****} : أَنْتَ يَا اللهَ ستفسدُ خَشِيَّتَهُ^(٣) . فنَفَضَ
كُمَّهُ في وَجْهِهِ وَأَنشَدَ :

١ - من آية ٢٢٨ سورة البقرة .

٢ - من آية ٦٧ سورة النكيت و صدر الآية : « أَوْ لَمْ يَرَوْا .

٣ - ن ج : [منشد خشيته] روى ع : [منشد خشيته] والبارة غامضة ، لا تعين قائلها .
وربمما أن تكون من قول أبي بكر الشيل الحلاج ، ينسب عليه أنه - بقوله بالحلول - سيفد القصور
بخشيته لله ، فغضب الحلاج كره في ربه الشيل وأُشْدَ الأبيات الثلاثة .

الأعلام

- - الحسين بن منصور الحلاج : من أعلام الفخران .
- - نيسابور ، ومرو : من مدن خراسان ، انظرها في ياقوت : ٢٣/٨ ، ٣٥٦/٨ .
- - علي بن عيسى الوزير : أبو الحسن - صفحة ٢٩ .
- - أبو علي الفاراسي : الحسن بن أحمد - من أعلام الفخران .
- - أبو بكر الشيل : الزاهد المتصوف - من أعلام الفخران .

يا رير رير يدق حتى يجل عن وصف كل شيء^(١)
 وظاهراً باطناً تبتى من كل شيء لكل شيء
 يا جملته الكل لست غيري فما اعتناري إذا إلى !
 وهو يعتقد أن العارف من^(٢) الله بمنزلة [شاعر]^(٣) الشمس ، بينما بدأ
 وإليها يعود ، ومنها يستمد صوته .

أنشدني الظاهر * لنفسه^(٤) :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم : وأهون بالحلل
 أقال الله حين عشقتموه . كلوا أكل البهائم وارقصوا ؟
 وحركوا يوماً يده فانشروا على قوم^(٥) يسلك : وحرك مرة أخرى فانتشر
 دراهم : فقال له بعض من حضر ممن يفهم : أرى دراهم [غير] معروفة^(٦) : أو من
 بك وتلقى معي إن أعطيتني درهماً عليه اسمك واسم أبيك . فقال : وكيف
 هذا وهذا لا يفهم ؟ قال : من أحضر ما ليس بحاضر ، صنع ما ليس بمصنوع .
 وكان في كفيه : « إلى مغرب قوم نوح وهلك عاد وثمود »
 فلما شاع أمره وعرف السلطان خبره على صحة . وقع بفسره ألف
 سوط ، وقطع يديه ، ثم أحرقه بالنار في آخر سنة تسع وثلاثمائة .

١ - الأبيات للحلاج ، انظر رأي أبي العلاء فيها ، في التفريغ .

٢ - في ع : [العارف ابن الله] تعريف فاحش !

٣ - سقطت كلمة [شاعر] من ج ، وكعب بالمثلث : [له] : بمنزلة شيء النفس [وكتف
 في ع] .

٤ - البيان ، نسبها ابن المبارك ، فقلنا عن الخطيب البغدادي ، إلى أبي العلاء المرى - راجع
 ترجمة أبي العلاء في (مقاوت) .

٥ - في ع : [هل قيل] . والحديث هنا عن « الحلاج » .

٦ - في نسخ الثلاث ، [دراهم معروفة] وإليه يحتاج إلى إضافة [غير] .

الأعلام

٥ - الظاهر : شاعر من القرن الخامس الهجري ، ولم أجد إلى اسمه . راجع (تعريف القديس
 أبي العلاء) صفحة ٨٣ ، وراجع معه فهرست الأعلام بالتصنيف ، حرف الظاء : « الظاهر الشاعر » .

وقال لـ «حامد بن العباس» : «أنا أهلكك». فقال «حامد» : الآن صَحَّ أنكَ تَدْعِي ما قَرِئَتْ بِهِ^(١).

و «ابن»^(٢) أبي [الزائر]^(٣)، أبو جعفر، محمد بن علي [الشمخاني]^(٤)، أَهْلَهُ من قرية من قرى «واسط» *** «نُعرفُ بِشَلَمَخَانَ، وَصُورَتُهُ صورةُ «الحلاج»^(٥)، ويدعى عنه قومُ أَنَّهُ إلهٌ : وَأَنَّ اللهَ حلٌّ في «آدم» ، ثم في «يثيث» ، ثم في واحدٍ واحدٍ من الأَنْجِلَاءِ والأَوْصِيَاءِ والأَئِمَّةِ حتَّى حلَّ في «الحسن بن علي العسكري» *** ، وَأَنَّهُ حلَّ فيه^(٦) . وكان قد استنوى جماعةً منهم «ابنُ أبي حَرُونَ» **** ، صاحبُ كتابِ (التشبيه) . ومعه قُصِرَتْ عُنُقُهُ . وكانوا يُبيحونه حرَمَهُم وأموالَهُم^(٧) يتحكَّمُ فيهم . وكان يتعاطى الكيمياء ، وله كُتُبٌ معروفة .

وكان «أحمد بن يحيى الراوندى» ***** «من أَهْلِ «مَرْوِ الرُّوذ» ***** .

-
- ١ - قرئ بالثبوت : أَنَّهُ بِهِ ، واقترب الإثم وقارب الخطيئة ، خالطها . واشوار هنا بين حمد ، والحلاج .
 ٢ - في النسخ الثلاث : [الزائر] تصحيف ، راجع الأعلام .
 ٣ - في النسخ الثلاث : [الشمخان] تصحيف ، راجع الأعلام .
 ٤ - في : [الحجاج] تحريف .
 ٥ (هـ) القصير لا ين أبي الزائر .
 ٦ - في ع : [وأولادهم] .

الأعلام

- - حمد بن العباس : الوزير ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، توفي سنة ٣١١ هـ ، راجع الشنوار لابن الجوزي ، والشذرات ٢/٢٦٣ .
- • - ابن أبي الزائر : أبو جعفر الشمخاني - الملقب في أعلام التنفيران .
- • • - واسط : اسم لعدة مواطن ، أسماها باقوت في مجملته (الجزء الثامن ٢٧٨ : ٢٨٧) والبراد بها هنا واسط الحجاج ، بين البصرة والكوفة ، شرع الحجاج في حداثتها سنة ٨٣ وخرج منها سنة ٨٦ هـ . ومن أعمالها قرية شلمخان كما نص باقوت .
- • • • - الحسن بن علي العسكري : بين حل الحادي ، بن محمد البراد ، بين حل الرضا ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق : أسد الأئمة الاثني عشر ، وأبى الإمام محمد الملقب بالحجة وبالمهدي والمتنظر . توفي بالإمام الحسن سنة ٢٧٠ هـ . انظر الشذرات ١١١/٢ : ١٥٠ .
- • • • • - ابن أبي حرون : أبو إسماعيل إبراهيم بن محمد ، انظر في أعلام التنفيران .
- • • • • - أسد بن يحيى الراوندى : انظر في أعلام التنفيران .
- • • • • - مرو الروذ : مدينة قريبة من « مرو » النخس بخراسان ، وبها بنت المهلب بن أبي صفرة . (يلدان باقوت) .

حسنَ السَّيْرِ^{١١} جميلَ الملعب ، ثم انسلخ من ذلك كله بأسباب عرضت له . ولأنَّ عِلْمَهُ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ ، وَكَانَ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يُطِيقُ مَرَدًّا^{١٢} عِنْدَ صَبِيحَتِهِ وَمَنْ يَقُومُ لِمُسْتَوْرِ إِذَا خَلَعًا ؟

صُنِّفَ^{١٣} :

(كِتَابُ التَّاجِ) يَحْتِجُ فِيهِ لِقَيْمُ الْعَالَمِ ، فَتَقَصَّهُ « أَبُو الْحَسَنِ »^{١٤} « الْخِيَاطُ » .

(الزُّبْرْدُ) يَحْتِجُ فِيهِ لِإِبْطَالِ الرِّسَالَةِ . نَقَصَهُ « الْخِيَاطُ » .

(نِعْمَتُ الْحِكْمَةِ) سَفَّهَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي تَكْلِيفِ خَلْقِهِ أَمْرَهُ . نَقَصَهُ

« الْخِيَاطُ » .

(الدَّامِغُ) يَطْمُنُ فِيهِ عَلَى نِظَمِ الْقُرْآنِ .

(الْقَضِيبُ) يُثَبِّتُ أَنْ عِلْمُ أَهْلِ مُحَدِّثٍ ، وَأَنَّهُ كَانَ غَيْرَ هَالِكٍ حَتَّى خَلَقَ

لِنَفْسِهِ عِلْمًا . نَقَصَهُ « الْخِيَاطُ » .

١ - كَذَا فِي النُّسخِ ، لَكِنَّا [السَّيْرُ] فِي (مُعَادِ التَّنْصِيسِ ١/٧٦) - رَاجِعْ ص ٢٦ مِنْ مَقَدِّمَةِ (كِتَابِ الْاِتِّصَارِ - ط ١٢٥) . وَانْظُرْ مَا نَقَلْنَاهُ فِي الْفَاسِطِ ط ٢ .

٢ - كَذَا فِي النُّسخِ الثَّلَاثُ : وَنَبَلُ [مَرَدًا] مَحْرُومَةٌ مِنْ مَرِيدٍ - أَوْ مَرَدٌ ، وَهُوَ الْمَرْدُ الَّذِي يَمُوتُ وَيَنْبَغِ لِنَفْسِهِ . وَابْنُ تَيْمِيَّةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ الْاِتِّصَارُ . وَهُوَ دَوَاءٌ صَاحِبِ الْأَمَلِ مَكْنًى :

وَبَلْ يَمُوتُ مَلِكٌ عِنْدَ صَبِيحَتِهِ .

وَانْظُرْ (مَعْرِ الْآلِ ١/١٥٥) : « وَالْمَذْكُورُ الَّذِي يَلُغُ تَعَالَى السَّنَ » .

وَبِهِ ، فِي مَقَدِّمَةِ كِتَابِ (الْاِتِّصَارِ ، أَبُو الْحَسَنِ الْخِيَاطُ) نَقَلْنَا عَنْ (مُعَادِ التَّنْصِيسِ ١/٧٦) : « كَانَ ابْنُ الرَّائِضِيِّ هَذَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَحَقُّقَ مِنْهُ بِالْكَلَامِ وَلَا أَعْرَفَ بِدَقِيقِهِ وَحِيلَتِهِ ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِ حَسَنِ السَّيْرِ حَسِبَ الْمَلْعَبَ كَثِيرَ الْمَهْنِ . ثُمَّ انْخَلَعَ مِنْ ذَلِكَ كَنَ الْأَسْبَابِ عَرِضَتْ لَهُ . وَكَانَ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ عَقْلِهِ ، فَكَانَ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يُطِيقُ مَرَدًّا عِنْدَ صَبِيحَتِهِ وَمَنْ يَقُومُ لِمُسْتَوْرِ إِذَا خَلَعًا »

وَيُشَدُّ أَنْ يَكُونُ مَعْرُوفًا بِهَذَا ، إِلَى وَصَالَةِ ابْنِ الْقَارِجِ !

٣ - بِحِرَّةِ الْمَرِيدِ عَنْ مَصْنُوعَاتِ ابْنِ الرَّائِضِيِّ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَارِجِ هَذَا ، رَاجِعْ (مُعَادِ التَّنْصِيسِ) . وَنَهْرَسْتُ ابْنَ الصَّبَّاحِ ، وَمَقَدِّمَةَ (كِتَابِ الْاِتِّصَارِ الْخِيَاطِ) وَتَطَبَّقْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى هَذِهِ الْكِتَابِ وَاحِدًا وَاحِدًا فِي وَصَالَةِ الْفَرَفَرَانِ . ٤ - فِي ح : [أَبُو الْحَسَنِ] تَحْرِيفٌ .

• الْأَعْلَامُ •

• - أَبُو الْحَسَنِ الْخِيَاطُ : عَمِدُ الرِّسْمِ مِنْ عَمَمِهِ بَيْنَ عَمَمٍ ، مِنْ أَعْيَانِ الْمُتَمَرِّدَةِ فِي أَنْصَافِ النَّفْسِ مِنْ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ ، وَالْمُرْجِعُ أَنَّهُ تَوَفَّى بِعَدِّ سَنَةِ ٢٠٠ بِقَلِيلٍ ، كَمَا أَطْلَقَ إِلَيْهِ « الْفَكُورُ نَهْرَج » . ذَكَرَ كِتَابِ الْاِتِّصَارِ ، الْمُطْبَعُ بِدَارِ الْكِتَابِ الْمَصْرِيَّةِ ١٩٢٥ . وَرَاجِعْ كَتَاكَ (الْمَثَلُ وَالْمَثَلُ لِلشَّيْرِ مَثَلًا) .

(المرجان) في اختلاف أهل الإسلام .

• • •

(١) «علی بنُ العباس بنِ جریج الروی * قال «أبو عثمانُ الناجمُ * :
«دخلتُ عليه فی علیته التي مات فيها . وعندَ رأيهِ جامٌ^(٢) فيه ماءٌ متلوجٌ
وينبجرُ مُجرَّدٌ لو ضُربَ به صَدْرُ خَرَجٍ من ظَهْرِ^(٣) . فقلتُ : ما هذا ؟ قال :
الماءُ أبلُّ به حَلَّتْ قُلُوبُنا بِمَوْتِ إنسانٍ إلّا وهو عطشانٌ . والخنجِرُ ، إن زادَ علَى
الألَمِ نَحَرَتْ به نفسی . ثم قال : أَقْصُ عليكِ قِصَّةً تُسَدِّدُ بها على حَقِيقَةِ
تَلَفِی : أرَدْتُ الانتقالَ من الكَرَشِ إلى بابِ البَعْرَةِ ، فشاوَرْتُ صَدِيقَنا
أبا الفضلِ وهو مُشْتَقٌّ من الإِفْضالِ . فقال : إذا جِئْتَ القنْطَرَةَ فخذِ على
يَمِینِكَ - وهو مُشْتَقٌّ من الیَمینِ - واذهبِ إلى سِکِّهِ النعِیمَةِ - وهو مُشْتَقٌّ من
النعمِ - فاسکُنْ دارَ ابنِ المُعافَى - وهو مُشْتَقٌّ من العافیةِ - فخالفتُهُ لِتَعَسَى
وَنَحْیِ . فشاوَرْتُ صَدِيقَنا جَعْفَرًا - وهو مُشْتَقٌّ من الجوعِ والفرارِ - فقال :
إذا جِئْتَ القنْطَرَةَ فخذِ على شِمالِكَ - وهو مُشْتَقٌّ من الشُّومِ - واسکُنْ دارَ
ابنِ قِلَابَةَ . وهی هذه لا جَرَمَ . قد انقلبْتَ فی الدنْیا ! وأضرُّ ما علَى :
العصافِیرُ فی هذه السَّدْرَةِ تصیحُ : یَیْقُ یَیْقُ : فها أنا فی السِیاقِ ! ثم أنشدَ :
أبا عثمانَ ، أنت قریعٌ قویمٌ^(٤) وجودُکَ للمشیرَةِ دونَ کَولِکَ

١ - کذا فی النسخ الثلاث ، والکلام هنا لا یدور قریب الصلة بالحدث قبله عن ابن الرابندی
وکعب ، إلا بتکلف وقلق . لذلك آثرنا فصله لیکون الکلام متبداً .

٢ - الجام : الکأس ، القنح - فاصیة .

٣ - فی : [صدر] ویمتد السیاق .

٤ - قریع قویک : سیدم .

الأعلام

- - علی بن العباس بن جریج الروی : من أعلام النفران .
- - أبو عثمان الناجم : سعد بن الحسن ، من أعلام النفران .

تَمَتُّعٌ مِنْ أَنْحَاكِ فَمَا أَرَاهُ يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِكَ .
وَأَلَحَّ بِهِ الْبَوْلُ فَقُلْتُ لَهُ : الْبَوْلُ مُلِحٌّ بِكَ . فَقَالَ :
عِنْدَنَا يَنْقَطِعُ الْبَوْلُ وَيَأْتِي الْبَوْلُ وَالْمَوْتُ^(١)
أَلَا إِنَّ لِقَاءَ اللَّهِ هُوَ هَوْلٌ دُونَ الْهَوْلِ
وَمَاتَ مِنَ الْغَدِ » .

فَارْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَوْلُ تَوْبَةً لَهُ مِمَّا كَانَ اعْتَقَدَهُ مِنْ ذَنْبِهِ نَفْسَهُ^(٢) ،
وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ : « مَنْ وَجَّأ^(٣) نَفْسَهُ بِحَلِيلَةٍ حُسَيْرٍ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَحَلِيلَتُهُ بِيَدِهِ يَجَأُ بِهَا نَفْسَهُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ » ، مَنْ تَرَدَّى مِنْ
شَاهِقٍ حُسَيْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَرَدَّى عَلَى مِخْرَبِهِ فِي النَّارِ خَالِدًا مُخَلَّدًا ، مَنْ
تَحَسَّى^(٤) لِنَفْسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسُمِّ بِيدِهِ يَتَحَسَّاهُ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِي النَّارِ^(٥) .

• • •

قَالَ « الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءِ الْكَاتِبِ » : « جَاءَنِي أَبُو تَمَامٍ ** إِلَى غُرَاسَانَ ،
فَلَبَغَنِي أَنَّهُ لَا يُصَلِّي ، فَوَسَّكْتُ بِهِ مَنْ لَازَمَهُ أَيَّامًا فَلَمْ يَرِهِ صَلًى يَوْمًا وَاحِدًا ،
فَعَانَيْتُهُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ، قَطَعْتُ إِلَى حَضْرَتِكَ مِنْ بَغْدَادَ : فَاحْمَلْتُ الْمَشَقَّةَ
وَبَعُدْتُ الشُّقَّةَ وَلَمْ أَرِهِ يَتَّقُلْ عَلَى ، فَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْفَعُنِي وَتَرْكُهَا
يُضَرُّنِي مَا تَرَكْتُهَا . فَأَرَدْتُ قَتْلَهُ فَخَشِيتُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى غَيْرِ هَذَا » .

• • •

- ١ - كُتِبَ إِلَى جَانِبِ [الْعَوْلِ] بِمَشْج : أَيْ الْعَوْلِ . وَطَلَّهَ بِمَشْجٍ .
- ٢ - يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الرَّوِّ لِأَبِي حَبَّانَ : « وَالْمَنْجَرُ ، إِنْ زَادَ عَلَى الْأَلَمِ ، نَحَرَتْ بِهِ نَفْسُهُ » .
- ٣ - وَجَّأَ فُلَانًا بِالسَّكِينِ : خَرَبَهُ فِي شَيْءٍ مُوَضَّعٍ كَانَ . وَانْظُرْ (النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ : وَبَيَا)
- ٤ - تَحَسَّى الْفَرَابَ وَاحْسَاءً : خَرَبَهُ شَيْئًا يَهْدِيهِ .
- ٥ - فِي مَشْجٍ (ج) سَلْبِيَّةٌ نَسَبًا : (وَنُزِعَ لَفْظُ التَّمْلِيكِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْجَدِيدَةِ) وَالْخَالِيَّةِ
بِنَسَبٍ إِلَى مَشْجٍ ، ع .

الأعلام

- - الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءِ : مِنْ أَعْلَامِ الْتَفَرُّانِ .
- • - أَبُو تَمَامٍ : حَسِيبُ بْنُ أَبِيسَ ، مِنْ أَعْلَامِ الْتَفَرُّانِ .

وفى تاريخ^(١) كثير . أنه أحضر «المازيار» إلى «المحتم» ، وقبل
تدويمه بيوم سَخِطَ على «الأفشين» ، لأن القاضي «ابن أبي دَوَاد» ،
قال للمحتم : «أغرل^(٢) ويطأ امرأة عربية ؟ ! وهو كاتب المازيار . وزين
له العصيان » .

فأحضر كاتبه^(٣) ، وتهدده المحتم فأقر أنه كتب إلى المازيار : «لم
يكن فى الأرض ولا فى العصر بليّة إلا أنا وأنت وبابك^(٤)» . وقد كنتُ
حريصاً على حُفْنِ دمه حتى كان من أمره ما كان . ولم يبق غيرى وغيرك ،
وقد توجه إليك عسكر من عساكر القوم . فإن هزمت وثبت أنا بمليكيهم فى
قرار داره . فظهر الدين الأبيض . فأجابه «المازيار» بجواب هو عنده فى^(٥)
سقط أحمر .

فجمع بين الأفشين والمازيار . فاعترف المازيار بما حُكي عنه .
وقيل للمحتم : إن وراء «المازيار» مالا جليلا . فأنشد :
إن الأسود أسود الغاب حيثها يوم الكربة . فى المسلوب لا السلب

• • •

-
- ١- ن ع ، [تاريخ] ، بتاريخ جمع تاريخ .
 - ٢- الأغرل : الذى لا يخفى ، على عادة الأعلام .
 - ٣- أبى ، كاتب الأفشين . وإقراره هنا ، أنه كتب للأفشين إلى المازيار .
 - ٤- الباء الثانية غير معجمة فى (ج) ، ولطفا علامة فتحة ، وقد اشتبه الأمر على ناسخ
(و) فكتبها : [وبالك] .
 - ٥- سقط من ج .

الأعلام

- - المازيار : بن ثابت بن ولدا هروى ، من أعلام النفران .
- - المحتم : الخليفة العباسى ، من أعلام النفران .
- • - الأفشين : حيدر بن كايس الركنى ، من أعلام النفران .
- • • - ابن أبي دواد : أبو عبد الله أحمد الزيدى ، من أعلام النفران .
- • • • - بابك : بن جهرام الخمرى ، من أعلام النفران .

وذكروا^(١) أن اثنين قتلوا ثلاثة آلاف ألفٍ وعمهائهُ ذُبَّاحٍ بالتياب
الخَمِيرِ والخناجرِ الطوالِ ، وأنهم وجدوا أميَّاهُم في وقعةٍ وقعةٍ في بلدٍ وبلدٍ ،
وكانوا يَخلطون من كلِّ واحدٍ علامةً : خاتمه أو ثوبه أو منبيله أو يَكْنَه^(٢) :
• أتى الوادي فطَمَّ على القريي^(٣) .

فدلَّقتُ مَنْ يُجادلي أن علياً رضى الله عنه ... وكذلك الحاكم^(٤) .
وقد ظهر بالبصرة من يدعى أن^(٥) « جعفر » *** ابنُ محمد عليهما
السلام ، وأنه متَّصلٌ به وروحه فيه وشُصَلَةٌ به .

ولو استقصيتُ القولَ في هذا الفنِّ لطال جُلًّا ولكن :
لا بدُّ للمصنوع أن ينفشا وللهي في الصلح أن يُبَيَّنَّا
بل لو قلتُ كلَّ ما أعلمه ، أكلتُ زادي في محبسي ، بل كنتُ أنشدُ :
أحولُ رأياً قد ملكتُ حنَّته ألا فتى يحملُ عني ثقله
وأستريحُ إلى أن أنشد :
ليس يَشْفِي كلومٍ غيري كلوي ما به به ، وما بي في

١- في موضع اللوامن لفظ [يذكروا] في نسخة (ج) ، عرم من أثر قرعة ، وقد نقل اللفظ
في (ي ، ح) بغير داء .

٢- الفتحة : رباط السروال ، واطبع تكك ، كسكة صكك .

٣- أتى السيل : جاء من حيث لا يدري . طلم : علا وقلب . والقري : مجرى السيل ، ورواية
الأساس :
• جرى الوادي فطم على القري .

٤- الكلام هنا ناقص منثور ، وارجح أن يقترنه سقطت من النسخ .

٥- في ح : [من يدعى أنه جعفر بن محمد] تحريف يخلط به المتن والسياق .

الأعلام

• - علي : بن أبي طالب .

• • - الحاكم : للنص هنا لا يبين المقصود به ، وله الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ت ٤١١ هـ .

راجع روايات الأعيان ، وروايات التكميل ١٩٢/٣ .

• • • - جعفر : الصادق ، من أعلام الكفران .

إن شكوتُ العصرَ وأحكائه . وذهمتُ صروفه وآياته ، شكوتُ مَنْ
لا يُشكِي^(١) أبداً ، وذهمتُ مَنْ لا يُرضى أحداً ؛ شيعته اصطفاة اللثام .
والتمحلُّ على الكرام ؛ ومنتَه رُفْعُ الخاملِ الوضيع ؛ ووضعُ الفاضلِ الرفيع إذا
سمَحَ بالجاء^(٢) فأبْشُرْ بَوُشْكِ الاقْتِفاء . وإذا أمار فأحبُّه قد أغار ، فما
بين أن يُعْجِلَ عليك مستبشراً ، ويؤلَّى عنك متَجَبِّهاً مستبجراً^(٣) . إلا
كلَّمَعِ البَصِيرِ واستطارِ الشرر . لم يختَرْ ذِكْرُ الوفاء مسايمه . ولم
يَمْسَسْ ماءَ الحياة مدامه ، فظاهره يَسُرُّ ويؤنِّس . وباطنه يسوء ويؤنس ؛
يُخَيِّبُ ظَنًّا ، ويَكْذِبُ أَمَلًا هانِيه^(٤) ؛ لا يسمَعُ الشكوى ويَسْمَعُ
بالجوى . قد ذهمتُ شيئاً^(٥) ووقعتُ فيه أنا . كالنريقِ يطلب مَلَقًا ،
والأسيرِ يندب مَطْلَقًا^(٦) . وأستحسن قولَ «عل بن العباس بن جريج الروي»^(٧) :

ألا ليس شَيْكُك بالمتَرَعُ فهل أنتَ عن غِيَةِ مُرْتَدِعٍ ؟
وهل أنت تاركُ شَكْوَى الزما نِ ، إذا شئتَ تشكر إلى مُسْتَمِعٍ ؟
فغَيْبُ أنفى الشيبِ أُمْنِيَّةٌ إذا ما تنهى إليها هلَعُ
كنتُ في حالِ الحدائِرِ ؛ أقربُ الناسِ إلى ؛ وأعزُّهم حَلًى ؛ وأقربهم

-
- ١ - أشكاه يشكوه : أزال شكواه . وشكوت إليه فلانا فأشكالته ، أى أخذ لي منه ما أرفأته به .
٢ - نى ع : [انشأه] تصحيف . وانشاء : العطاء .
٣ - نى ع : [مستبشراً] تصحيف . ولستيس بمعنى قسب وجهه ، ومنه يقال للأنثى : البسوس .
٤ - الهانئ : طالب المعروف . من عفا فلاناً يهفوه ، آلاه يطلب عفو وسريته .
٥ - كذا فى (ج ، ي) . وفى ع : [سئاً] ، تصحيف . و « ابن القارح » يشير هنا إلى
ما عابه هل الشئ من ذم الزمان . انظر صفحة ٢٨ .
٦ - المعلق : مصدر مهي من هل يعلق تعليقاً بمعنى تمتلئ . والمطلق : مصدر مهي من طلق
يطلق تعليقاً بمعنى انطلق وانسل من مكانه .
٧ - رواية الديوان (٢ / ٤٦١ ط كيلاني) لبيتين الثاني والثالث :

وهل أنت تاركُ شَكْوَى الزما نِ إذا كنت تشكر إلى مسمع
وشيوخة المرء أُمْنِيَّةٌ إذا ما تنهى إليها هلَعُ
« عل بن العباس بن جريج الروي » : من أعلم الانفران .

عندي ، وأجلهم في نفسى مرتبة ، مَنْ قال لى : نَسَا^(١) اللهُ فى أَجَلِكَ ،
جَلَّ اللهُ لَكَ أَمَدُ الأَعْمَارِ وَأَطْوَلُهَا . فلما بلغتْ عَشَرَ الثَّانِيْنَ جاءَ الجَزَعُ
 والهِلَجُ . فَمِمَّ أَرْتَاعُ وَأَتْنَاعُ ، وَأَخْلَدُ إِلَى الأَطْمَاعِ ، وهو الذى كُنْتُ أَمْنِيْ
 ويَسْمَعُنِيْ لى أَهْلِيْ ؟ أَمِنْ صُلُوفِ الغَوَالِي عَنِ ؟ فَاتَا وَاللهُ عَنْهُنَّ أَصْلَفُ ، وَبَنُ
 وَأَدْوَالِهِنَّ أَهْرَفُ ، إِذْ لَسْتُ مَعْنٍ يَنْشُدُ تَحْسَرًا عَلَيْهِنَ :

للسودى فى السوى أَنَارُ تَرَكْنَ بِهَا لُحْمًا مِنَ البَيْضِ تَنْفَى أَعْيَنَ البَيْضِ^(٢)
 وَقَوْلُ الآخر :

ولما رَأَيْتُ النَّمِرَ عَزَّ ابْنَ دَايَةَ وَعَشَّشَ فى وَكْرِيهِ : جَاشَتْ لَهُ نَفْسِي^(٣)
 وَلا أَنشُدُ لِأَبْنَى عِبَادَةِ الْبَحْرَى :

إِنْ أَبَايَهُ مِنَ البَيْضِ بَيْضُ مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السَّوْدَ سَوْدًا^(٤)
 وَإِذَا الْمَخْلُ تَنَارَ ، تَارُوا غِيوثًا وَإِذَا النَّمْعُ تَارَ : تَارُوا أَسْوَدًا^(٥)
 يَحْسِنُ الذِّكْرَ عَنْهُمْ وَالْأَحَادِيثُ إِذَا حَدَّثَ الْحَلِيدُ الْحَلِيدًا^(٦)
 بِلَدَّةٍ تَنْهَبُ الْمَطْلُ قَمَا يَنْثُرُ رُ الْطِفْلُ لِيَهُمْ أَوْ يَسْوَدًا^(٧)
 وهذه صَفَةٌ وَمَعْرِئُ النِّعْمَانِ* * به - أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ - لا خَلَّتْ مِنْهُ

١- ن ع : [نَسَا اللهُ فى أَجَلِكَ] تصحيف . والنسء : التأجيل والإطالة .

٢- السدى الأول : هو الأمين السدى ، والثانية : الشعر .

والبيض الأول : الشيب ، والبيض الثانية : الغوائل .

٣- ابن داية : الغراب .

٤- الأبيات من تصديده التى مطلعا :

إِنَّمَا لِيَّ أَنْ تَكُونِ وَهْدًا فَانْقُصَا مِنْ مَلَاةٍ ، لَوْ فَرَدَا

٥- الخمل : الجذع . والشمع : خيال المماثلة .

٦- قوله : إِذَا حَدَّثَ الْحَدِيدَ الْحَدِيدَا ، يعنى به ضربا السيوف وقراع الرياح .

٧- ينثر : يهتف ثمره .

الأعلام

٥- أبوعبادة ، البحرى : من أعلام النفران .

٥- سمرة النعمان : بلدة أبى الملاء ، من أعلام النفران .

ومن النعمة عليه وحده ، فقد وجلتُ أهلها معترفين بعوارفه^(١) ، خلا
«أبي العباس أحمد بن خلف المتنع» - «أدام الله عزه» - فلما وجلتُ آثارَ
تفضُّله عليه ظاهرة ، ولسانه رطباً بشكره وذكره ، قد ملأ السماء دعاء ،
والأرض ثناء .

قالت قريش للنبي عليه الصلاة والسلام : أتباعك من هؤلاء الموال ،
كِلَالٍ وَهَمَّارٍ وَهَبِيبٍ* ، خيرٌ من قُصَى* بن كلاب ، وعبد مناف*
وهاشم* وعبد شمس ؟***** فقال : «نعم ، والله لئن كانوا قليلاً
ليكثرُنَّ ، ولئن كانوا وُحْشَاءَ لَيُشْرُنَّ» حتى يصيروا نجوماً يُهْتَدَى بِهِمْ
وَيُقْتَدَى ، ليقال : هذا قولُ فلانٍ وذكرُ فلان . فلا تُفَاخِرُوا بِلَبَّائِكُم الَّذِينَ
مُوتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَمَّا يَذْهَبُهُ الْجَعْلُ^(٢) يَنْخِرُهُ خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُم الَّذِينَ
مُوتُوا فِيهَا . فَأَنْتَبِعُونِي أَجْعَلَكُمْ أَنْسَاباً ، والذي نفسي بيده ، لَتَقْتَسِمُنَّ كُنُوزَ
كسرى وقيصر » .

١ - المولى : جميع عائلة : وفي المرفوع والسطية .

٢ - يذهب : ينسرح . والجعل : ضرب من التناقص ، جسه جلان .

الأعلام

- - أبو العباس أحمد بن خلف المتنع : من أعلام القفران .
 - - بلال ، وهمار ، وصيب : من الصحابة السابقين إلى الإسلام ، وكانوا موال - انظرهم في طبقات الصحابة .
 - - قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي . الجد الرابع للمصطفى عليه الصلاة والسلام . وهو الذي أخرج خزاعة رهبي بكر من مكة ، وتولى مناصب الشرف فيها ثم تركها ميراً لأبيه من بعده . السيرة ١١٠ / ١
 - - عبد مناف : بن قصى ، الجد الثالث للرسول عليه الصلاة والسلام ، وأبو هاشم وعبد شمس . السيرة ١١١ / ١ .
 - - هاشم : بن عبد مناف ، وأبو عبد المطلب ، وجد عبد الله . أنه عاتكة بنت مرة بن هلال : إحدى الموالك التي اعتر الرسول بنوؤه لمن قال : أنا ابن الموالك من سليم . السيرة ١١٢ / ١ .
 - - عبد شمس : بن عبد مناف بن قصى ، جد أبي سفيان ، ومثيان بن عوف بن أبي العباس ابن أمية بن عبد شمس . السيرة ١١١ / ١ .
- وانظر في قصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس : كتاب (نسب قريش للمصعب القرظي)

فقال له عنه «أبو طالب» : «أبى علي وعلى نفسك»^(١) . فظن عليه الصلاة والسلام أنه خافله وسليمه ، فقال : «يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته» . ثم استعبر باكياً ، ثم قام . فلما ولي ناداه : «أقبل يا ابن أختي» . فأقبل . فقال : «أذهب وقل ما شئت ، فوالله لا أسلمتك لسوء أهدأ» . فكان عليه الصلاة والسلام يذكر يوماً ما لقي من قومه من الجهل والشدة : قال :

«لقد مكثت أياماً وصاحبي هذا - يشير إلى أبي بكر - بضع عشرة ليلة ما لنا طعام إلا البربر»^(٢) في شتت الجبال .

وكان «عتبة بن غزوان» يقول إذا ذكر الهلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة : «لقد مكثنا زماناً ما لنا طعام إلا ورق البشام»^(٣) أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ، ولقد وجدت يوماً تمر فجعلتها بيني وبين «سعد»^(٤) وما ينأ اليوم أحد إلا وهو أمير على كورة . وكانوا يقولون فيمن وجد تمر

١ - حديث أبي طالب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مبسوط في السيرة لابن هشام : ٢٨١/١ ط الخبي

٢ - البربر : تمر الأوك . قيل هو أبل ما يظهر من تمره . وأحقيقه بريرة .

٣ - البشام : شجر طيب الريح يستاك به ، ورقه شدا ، ولا تمر له .

وقرأ في السيرة (١٦/٢) مزيداً ما لقي المسلمون الأشرار من شدة وبلاء .

الأعلام

• - أبو طالب : بن عبد المطلب بن هاشم . عم المصطفى وكافله بعد موت جده . وأبو الإمام علي ، وجعفر الطيار ، وأبو العباس وحسن وأبي طالب السيرة ١١١/١ ونسب قرشي : ٢٩ ذخائر .

• • - عتبة بن غزوان : بن جابر بن عبد السلس : من مهاجرة الحبشة . راجع الإصابة ، والسيرة ١١١/١ ، ٣٠٢ ، ٣٤٧ .

• • • - سعد : بن أبي وقاص بن أبيب الخزرجي . من السابقين الأولين ، وأسد العشرة . السيرة ٢٦٨/١ . ونسب قرشي : ٢٦٤ ذخائر .

وقرأ حديث سعد عما لقي من جهل الحصار : في الجزء الثالث من السيرة (ص ١٦) ولقرشي الألف كسبل . الجزء الأول .

فقسّمها بينه وبين صاحبه : إن أسعدَ الرجلين من حصَلَت النواةُ في قِسمه ،
يلوئُها يومَ وليّته ، من عَدِمَ القوت .

وكذا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « لقد رَعَيْتُ غُنْجَاتِي أَهْلَ
مَكَّةَ لَهُمْ بِالْقَرَارِيطِ » .

وابتداءُ أمره أنه وقف على الصفا ونادى : يا صباحاه ، يا صباحاه !^(١) ؛
فجاءوا يهرعون فقالوا : ما دَعَمَكَ ؟ ما طَرَقَكَ ؟

قال : بهم تعرفوني ؟ قالوا : محمد الأمين .

قال : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنْ نَيْلًا قَدْ طَرَقَتْكُمْ فِي الْوَادِي : وَإِنْ
عَسْكَرًا قَدْ غَشِيَكُمْ مِنَ الْقَجْجِ : أَكُنْتُمْ تُصَلِّقُونِي ؟ »^(٢) قالوا : اللهم نعم ،
ما جَرَّئَنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطْ .

قال : « فَإِنَّ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ : لَيْسَ لِلَّهِ وَلَا مِنَ اللَّهِ وَلَا يَرْضَاهُ اللَّهُ ، قُولُوا :
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاشْهَدُوا أَنِّي رَسُولُهُ . وَاتَّبِعُونِي تُطِيعُوا الْعَرَبَ [وَتَمْلِكُوا]^(٣)
الْعَجَمَ : وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ . وَابْعَثْ جَيْشًا أُبْعَثُ
خَمْسَةَ أَمْثَالِهِ ؛ وَضَمَنْ لِي أَنَّهُ يَنْصُرُنِي بِقَوْمٍ مِنْكُمْ . وَقَالَ لِي : فَاتَّيْلُ بِمَنْ
أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ . وَضَمَنْ لِي أَنَّهُ يَغْلِبُ سُلْطَانِي سُلْطَانُ كَسْرَى وَقَيْصَرٌ .
ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ غَزَا « نَبُوكَ » * فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا^(٤) : وَهَذَا مِنْ

١- سقطت من (ع) .

٢- نون الرقابة تدغم فيها فون الرفع أو تلك ، وقد تحذف إحداهما تخفيفاً - راجع (شرح ابن
مقيل) رسالية المنصري ٦٠/١ ط ١٣٢٧ .

٣- في النسخ الثلاث : [وَتَمْلِكُونِ] .

٤- ألبعض بخط طبع بين الأسطر في ج (في نظر) بعدد أسير . وقد سقطت من ي ، ع ،
راجع غزوة نبوك في القلبي (سوادث سنة ٩) وفي السيرة (١٥٩/٤) . والمطبقات الكبرى لابن سعد
(١١٩/٢) ط بريل .

الأعلام

• - نبوك : موضع بين وادي القري والشم ، وكانت لبلاد الروم ، غزاهما الرسول صل الله عليه وسلم
سنة تسع فكانت آخر غزواته . (بلدان ياقوت) .

يَبْلُ اللهُ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ لَا شَيْءَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ لَا شَيْءَ ،
يُجْعِدُ المَائِمَاتِ وَيُسَبِّحُ الجَامِدَاتِ ، يُجْعِدُ البحرَ ثم يَفْجَرُ الصخرَ .
وما مثله في ذلك إِلَّا كَمَثَلِ مَنْ قَالَ : هذه الرِجَاجَةُ الرِيقَةُ السَّخِيفَةُ ،
أَحْلُكُ بِهَا هذه الجِبَالَ الصَّلْدَةَ الصُّلْبَةَ المُنِيفَةَ ، فَتَرُفُهَا وَتَقْضُهَا ؛ وهذه النحلة
الضَّمِيقَةُ اللَطِيفَةُ ، تَهْتَرُمُ المَسَاكِرَ الكَثِيرَةَ المَعْدَةَ !

وكذا حَقِيقَةُ أَمْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : حَتَّى لَقَدْ قَالَ «عُرْوَةُ بْنُ
مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ» «لِقُرَيْشٍ ، وَكَانَ وَسَّيْلُهُمْ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُلَيْبِيَّةِ» :
«لَقَدْ وَدِدْتُ عَلَى النِّجَاشِيِّ وَكَسَرِي وَقِيسِرٍ وَرَأَيْتُ جَنَّتَهُمْ وَأَتْبَاقَهُمْ ، فَمَا
رَأَيْتُ أَطْرَحَ وَلَا أَوْقَرَ وَلَا أَهْيَبَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لِمُحَمَّدٍ ، هُمْ حَوْلَهُ
وَكَانَ الطَّيْرُ عَلَى رُكُوسِهِمْ ، فَإِنْ أَشَارَ بِأَمْرٍ بَادَرُوا إِلَيْهِ ، وَإِنْ تَوَضَّأَ اتَّقَسَمُوا
وَضُوعَهُ ، وَإِنْ تَنَحَّيْتُ دَلَكُوا بِالنَّخَامَةِ وَجُوهَهُمْ وَلِحَامِهِمْ وَجُلُودِهِمْ » .

وَكَانُوا لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ أَطْرَحَ مِنْهُمْ فِي حَيَاتِهِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ :
«لَا تَسْبُوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُمْ أَسْلَمُوا مِنْ خَوْفِ اللهِ ، وَأَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ
خَوْفِ أَسَافِهِمْ » .

فَنَأْمَلُ ، كَيْفَ اسْتَفْتَحَ دَعْوَتَهُ - وَهُوَ ضَعِيفٌ وَحْدَهُ - بِأَنْ هَذَا سَيَكُونُ ،
فَرَأَهُ الْعَدُوُّ وَالْوَلِيُّ . وَمَا كَانَ مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَثَلُ مَنْ قَالَ : «هَذِهِ الْهَبَاءَةُ
تَعْظُمُ وَتَصِيرُ جَبَلًا يُغْطِي الْأَرْضَ كُلَّهَا» ثُمَّ أَنْلَرَ النَّاسَ بِهَا فِي حَالِ ضَعْفِهَا !

الأعلام

• - عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ : الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ ، ذَكَرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ .
وَأَمَّا مَلِيقَةُ بَنَاتِ عَيْدِ شَيْسَ . رَاجِعُ قِصَّةِ ذَهَابِهِ عَنْ قُرَيْشٍ إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَرَجُوعِهِ إِلَيْهَا بِهَذَا
الْحَدِيثِ ، فِي السِّيرَةِ (٢ / ٢٢٧) وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ، حَوَادِثِ السَّنَةِ السَّادَةِ هِجْرِيَّةً .

• - الْحَدِيبِيَّةُ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْحِجَازِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ مَرِجَةٌ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَبْعُ
مَرَاحِلَ . مَقْدِنُهَا الصَّالِحُ الْمَشْهُورُ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ ، بَيْنَ التَّيْسِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرَيْشٍ .
يَقَارَبُ ٢٢٣/٣ - السِّيرَةُ ٢٢٤/٣ - تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ (سَنَةُ ٥٦ هـ) . طُبِعَتْ مِنْ سَنَةِ ٦٩/٢ بِبَرْلِينِ .

وجاء صلى الله عليه وسلم يوماً ليدخل الكعبة ، فدفعه عثمان بن طلحة العنبري . فقال :

« لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بحفاتها بيدى أضعه حيث شئت »^(١) .
فقال :

« لقد قلت يومئذ قريشاً وقلت » . قال : « بل كثرت وعزّت » .

• • •

وأنا أستعين بعصمة الله وتوليده ، وأجعلهما مئني^(٢) على دفع شهواتي . وأشكر إليه عكوفي على الأمان ، وأسأله فهماً لمواعظ عبير الدنيا ، فقد عيبت عن كلوم غيرها ، بما جثم^(٣) على خواطري من الشغف [بها] . ولست أجد منصفاً لي منها ، ولا حاجزاً لرغبي فيها عنها ، وأين ودائع العقول وخزائن الأفهام يا أولى الأبصار ؟ صفحتان مساري الدنيا إغماضاً لعابلي مؤني^(٤)

١ - في السيرة (٤ / ٤) أن الرسول ، يوم الفتح . جاء البيت فطاف به سباً ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأعطته مفتاح الكعبة ودخلها ، ثم جلس في المسجد فقام إليه « عل » وفتح الكعبة في يده منه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله ، أبيع لنا الحجابة مع السقاية ، صل الله عليك . فقال الرسول : أين عثمان بن طلحة ؟ فقص له ، فقال : هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم ير وولد .

٢ - في ح : [مئني] .

٣ - في ح : [جثم] تصحيف .

٤ - زيادة احتاج إليها السياق . ولشغف : غلبة الحب . يقال شغفه الحب يشغله إذا غشى قلبه وغلبه .

٥ - ومهما في ج : [يابلق] ونسخها في ي : [يابلق] .

٦ - في ح : [مؤني] تحريف .

الأعلام

• - عثمان بن طلحة البصري : من بني عبد الدار بن قصي بن كلاب ، وكانت الحجابة فيه ميراثاً عن جده قصي . أسلم عثمان في مدة المدينة ، وهاجر إلى المدينة مع خالد بن الوليد قبل الفتح ، وقتل شهيداً باليمنيين في أول خلافة عمر رضي الله عنه .
السيرة ١٣ / ١٢ - ٤ / ٤ . وانظر الإساءة والإعتاب .

التنقيص، وتَوَيَّ^(١) إليه يدُ الزوال، وتَكُنُّ له الآفات. قال «كثير»^(٢) :
 كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنْ الصَّمِّ لَوْ عَشَى بِهَا الصُّمُّ زَلَّتِ
 وَأَقُولُ عَلَى مَذْهَبِ «كثير» : يا دُنْيَا ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لِيَطْرُقَ مِنْكَ
 حَبِيرَةٌ ، وَفِي كُلِّ فِكْرَةٍ لِي مِنْكَ حَسْرَةٌ ! يَا مُرْتَقَّةَ الصُّغَا وَيا نَاقِصَةَ عَهْدِ الْوَفَا ،
 مَا وَفَّقَ لَحْظَةً مِنْ عَرَجٍ تَحْوِيكَ ، وَلَا سَعِدَ مِنْ آثَرِ الْمَقَامِ عَلَى حَسَنِ الظَّنِّ
 بِكَ ، هِيَئَاتِ يَا مَعْشَرَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، لَكُمْ فِي الظَّاهِرِ اسْمُ الْمَعْنَى ، وَفِي الْبَاطِنِ
 أَهْلُ التَّقَلُّلِ لَهُمْ نَفْسٌ هَذَا الْمَعْنَى . كَمْ مِنْ يَوْمٍ لِي أَغْرُ كَثِيرَ الْأَيْلَةِ ، قَدْ
 صَحَّتْ^(٣) سَاهُوهُ وَامتدَّتْ عَلَى ظِلِّهِ ، تَمْلِكُ سَاعَاتِهِ بِالْمَتَى ، وَيُضْحِكُ لِي^(٤) عَنْ
 كُلِّ مَا أَمْرِي ، حَتَّى إِذَا اتَّصَلَ بِكُلِّ سَبَابٍ نَفِثَتْ عَلَيَّ بِهِ الدُّنْيَا^(٥) فَسَعَتْ
 بِالنَّشِيتِ إِلَى الْقَتَنِ ، وَالنَّقْصِ إِلَى مُلْتِهِ ، فَكَتَفْتُ بِهِجَتِهِ كَسُوفًا ، وَأَرْمَقْتُ
 [نَفْسَ رَبِّهِ وَحَشِيَّةَ]^(٦) الْفِرَاقِ ، وَقَطَعْتَنِي فِرْقًا فِي الْآفَاقِ ، بَعْدَ أَنْ كُنَّا كَالْأَعْضَاءِ
 الْمُتَوَلِّغَةِ ، وَالْأَعْضَاءِ اللَّسَنَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ :

وَاحْصِرْنِي فِي يَوْمٍ يَجْمَعُ
 ضِيَمْتُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ بِالَّذِي لِي مِنْهُ بُدٌّ

وَأَشِدَّ قَوْلِي «ابْنِ الرَّوْمِيِّ» :

أَلَا لَيْسَ شَيْئُكَ بِالْمُنْتَزِعِ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ غِيَةِ مَرْتَدِّهِ^(٧)

- ١- ن- ج : [وَتَوَيَّ] . وَتَوَيَّ ج ٤ : [وَتَوَيَّ] بِتَحْلِيلِ الْمَرْفُوعِ .
- ٢- انظر القصيدة في خزانة الأدب للهداوي (٢٧٩/٢ هـ) . وراجع (سجل الآلات ٧٢٥/٢)
- ٣- ن- ي ٤ : [أَحْبَبْتُ سَمَائِي] .
- ٤- ن- ج : [وَيُضْحِكُ لِي بِهَا] .
- ٥- لَكْتُ عَلَى بِهِ الدُّنْيَا : حَشَى عَلَى وَلَمْ تَزَلْ لَعْلًا لَهُ .
- ٦- ن- ج ٤ : [نَفْسُهُ وَحَشِيَّةُ] .
- ٧- ن- ي : [يَا حَصِرْنِي] وَجَاءَ الْبَيْتُ [ن- ج] ثَمًّا . وَاشْرَ : الْحَلَّةُ ، وَالنَّشَاطُ ، وَالنَّشِيطُ .
- ٨- انظر ما بعد هذا البيت في صُلْحَةِ ٤٤ - وَالْبَيْتَانِ : ١٦١/٢ .

الأعلام

- - كثير : مرّة ، ابن عبد الرحمن بن الأسدي الخزاعي - من أعلام النفران .
- - ابن الرومي : علي بن النبابس - من أعلام النفران .

فَقَلْتُ وَأَبْكِي بَكَاءَ غَيْرِ نَافِعٍ وَلَا نَاجِعٍ ، وَيجِبُ أَنْ أَبْكِيَ عَلَى بَكَائِي وَأُنْشِدَ :

لَسَانِي يَقُولُ وَلَا أُنْعَلُ وَقَلْبِي يَرِيدُ وَلَا أَعْمَلُ
وَأَهْرِيفُ رَضْدِي وَلَا أَهْتَدِي وَأَعْلَمُ لَكُنِّي أَجْهَلُ
عَرَضَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ كَأَنِّي خَمْرٌ . فَاثْنَعْتُ مِنْهَا وَقُلْتُ : خَطْبُ
وَالْمَطْبُوحُ عَلَى مَذْهَبِ « الشَّيْخِ الْأَوْزَاعِيِّ » . وَقُلْتُ لَهُمْ : عَرَضَ « إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْمُهْدِيِّ » عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ [حَازِمٍ] ^(١) *** الْخَمْرَةَ فَاسْتَنْعَ وَأُنْشِدَ :

أَهْدُ شَيْئًا أَصْبَوُ وَالشَّيْبُ لِلْجَهْلِ حَرْبُ
يَنْ ، وَشَيْبٌ . وَجَهْلٌ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ صَبُ
يَا ابْنَ الْإِمَامِ ^(٢) قَالًا أَيَّامَ حُرُوبِي وَهَبُ
وَإِذَا شَيْئًا قَلِيلٌ وَسَهْلُ الْحُبِّ عِلْبُ
وَإِذَا شَغَاءُ الْغَوَايِ مِثْنَى حَلِيثٍ وَقُرْبُ
فَالآنَ لَا رَأَى بِي إِلَّا مُدَالًا مَا قَدْ أَحْبَبُوا
وَأَنْسَ الرِّشْدَ مِنْ قَوْمٍ ، أَهَابُ وَأَصْبَوُ؟
آلَيْتُ أَشْرَبُ شَعْرًا مَا حَيَّجَ اللَّهُ رُكْبُ

١ - فِي النسخ الثلاث : [حَازِمٍ] بِفَتْحِ مِيمَةٍ ، تَصْحِيفٌ .

٢ - فِي ع : [يَا ابْنَ إِمَامٍ] تَصْحِيفٌ .

الأعلام

- - الشَّيْخُ الْأَوْزَاعِيُّ : أَبُو عَمْرٍو الْإِمَامُ ، عَدِ الرَّسْمِ بَيْنَ مَرُورِ الْأَوْزَاعِ فِيهِ نَقْبُ الشَّامِ فِي الْقُرُونِ الثَّانِي
الْمَجْرِي وَإِمَامِ الشَّامِ ، وَكَانَ زَاهِدًا صَبِيحًا ، حَذِيثًا فِي الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٥٧ هـ -
(تَلَاكُوهُ لِلْمَلِكِ ١٧٨/١ ، طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٧-١٨٥/٢ ، تَهْذِيبُ التَّبْدِيلِ ٢٣٨/٦)
- • - إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : الْعَبَّاسِيُّ - مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَنْجِ .
- • • - مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ : بَيْنَ مَرُورِ الْبَاهِلِ - مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَنْجِ .

وَأَقْبَلْتُ عَلَى نَفْسِي مُخَاطِباً ، وَلَهَا مَعَانِباً ، وَالْمُخَاطَبُ لغيرِهَا وَالْمَعْنَى لَهَا :
لَقَدْ أَمَهَلَكُمْ حَتَّى كُنْتُمْ أَهْمَلُكُمْ ! أَمَا تَسْتَحِينُ مِنْ طَوْلِ مَا لَا تَسْتَحِينُ !
فَكُنْ كَالْوَلِيدِ تُقَلِّبُهُ يَدُ اللَّطْفِ بِهِ عَلَى فِرَاشِ الْعَطْفِ عَلَيْهِ ، تُصَرِّفُ إِلَيْهِ الْمُنَافِعَ
بِغَيْرِ طَلَبٍ مِنْهُ لِيَصْرِفَهُ ، وَتُصَرِّفُ عَنْهُ الْمَضَارَّ بِغَيْرِ حَظَرٍ مِنْهُ لِعَجْزِهِ . أَمَا
سَمِعْتَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذْ يَقُولُ فِي دُعَايِهِ : « اللَّهُمَّ اكْلَأْنِي
كَلَاءَةً . الْوَلِيدَ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يُرَادُّ بِهِ وَلَا مَا يَرِيدُ » . أَلَا مُتَعَلِّقٌ بِالْإِذْلَالِ
أَذْيَالُ دَلِيلِهِ ؟ أَلَا مُعِدُّ مَعِيَّةٍ وَرَحْلًا لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ؟ يَا هَلَاةُ ! الدَّلِجَةُ الدَّلِجَةُ ! إِنَّهُ
مَنْ لَمْ يَسْبِقْ إِلَى الْمَاءِ يُعْظَمُ . إِنَّمَا مَنَعْتُكَ مَا تَشْتَهِي فَهَذَا بِكَ وَغَيْرُهُ عَلَيْكَ ، قَالَ
الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا » وَأَنْتَ
تَشْكُرُنِي إِذَا حَبَيْتُكَ ، وَتَكْذِبُ صِيَانَتِي إِذَا صُنْتُكَ . أَلَا لَائِدٌ بِغَيْنَائِنَا لَيِّزٌ ؟
أَلَا فَارٌّ إِلَيْنَا لَا فَارَّ مَنَا ؟ يَا مَنْ لَهُ بَدْءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، ارْحَمْ مَنْ لَا بَدْءَ لَهُ
مِنْكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ! اللَّهُ يُغْنِي بِشَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُغْنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ ،
فَلِهَذَا قَالَ جَبْرِيلُ لِلْخَلِيلِ : أَلَا لَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : أَمَا إِلَيْكَ فَلَا ، اللَّهُ يَسْتَحِقُّ
أَنْ يُسْأَلَ وَإِنْ أَغْنَى ، لِأَنَّهُ لَا يُغْنِي بِشَيْءٍ عَنْهُ . أَطِيعْهُ لَتُطِيعَهُ وَلَا تُطِيعْهُ
لَيُطِيعَنَّكَ فَتَفْتَحَ وَتَمَلَّ . مَنْ تَرَكَ تَدْبِيرَهُ لَتُدْبِرُنَا أَرْخَانَاهُ ! جَلَّ مَنْ لَوْلَايُ^(١)
الْقُلُوبِ وَالْهَمَمِ بِيَدِهِ ، وَعَزَائِمُ الْأَحْكَامِ وَالْأَقْسَامِ عَنْهُ :

أَنْبَيْتَ ذِكْرَ أَحِبَّةٍ يَنْتَوِنُ ذَنْبُكَ عِنْدَ ذِكْرِكَ ؟
وَجُفَوْتَهُمْ ، وَلَطَالَمَا كَانُوا خِلَافَكَ - طَوْعَ أَمْرِكَ
وَصَبْرَتِكَ عِنْدَ فِرَاقِهِمْ مَا كَانَ حُلْمُكَ عِنْدَ صَبْرِكَ ؟
تَتْرُكُ مَنْ إِذَا جُفَوْتَهُ وَنَسِبْتَ ذِكْرَهُ وَتَعَلَّيْتَ حُلْمَهُ وَتَرَكْتَ نَهْيَهُ وَضَيَّعْتَ

١ - لَوَيْل : جَمْعُ لَوَيْلٍ ، الْآلَةُ لِلْمَرْيَةِ .

وَلِلَّ تَتَارُفٍ يَلْحَظُ عَلَى هَذِهِ الْفَقْرَةِ كُلِّهَا ، مَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الِاتِّصَافَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ مَعَهَا الْخَلْقُ
وَالْيَسَّ ، إِلَّا بِالْخَفَرِ وَالْجَنَبِ .

أمره ، وَبُتِّتَ إِلَيْهِ وَعَوِّلَتْ فِي تَفَضُّلِهِ عَلَيْكَ عَلَيْهِ ، وَقَلْبَتْ : يَا رَبِّ ، قَالَ لَكَ :
لَبَّيْكَ « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ »^(١) ، إِنْ كَانَ النَّبَابُ بِوَجْهِكَ
فَأَتَيْتُكَ ، وَإِنْ قَطَعْتَ أَنَا أَعْضَاءَكَ فَلَا تَنْتَهَمِي ، أَنْتَ الَّتِي إِذَا أَهْطَيْتُكَ
مَا أَمَلْتُ تَرْكَنِي وَانْصَرَفْتَ : « وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى
بِجَانِبِهِ »^(٢) ، يَا وَاقِفًا بِالنُّهَمِ كَمْ كَمْ ؟ أَلَيْسَ يَقُولُ لَكَ : مَا هَرَكْتُ بِي ؟ تَقُولُ :
[جِلْمُكَ]^(٣) ، وَإِلَّا لَوْ أُرْسِلَتْ عَلَى بَقَّةٍ لَجَمَعْتَنِي عَلَيْكَ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَجْمَعَنِي :
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسِ النُّهَى وَشَمَكَ رَيْحَانَ أَهْلِ الثَّقَى
عَشَقْتُ فَأَصْبَحْتُ فِي الْعَاشِقِ مِنْ أَشْهَرٍ مِنْ قَوْمٍ أَيْلَقًا ؟
أَدْنِيَا ، مِنْ غَمَرٍ بَحْرِ الْهَوَى خُلِي بِبَيْدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ ، فَكُونِي كَعَمْرٍ إِذَا مَرَّ عِبْدُهُ أَعْتَقَا
كَانَ بِبَغْدَادَ رَجُلٌ كَبِيرُ الرَّأْسِ فَيُلِي الْأُذُنَيْنِ اسْمُهُ « فَاذُوهُ » ، وَرَأْسُهُ فِي
الْأُؤْمَةِ^(٤) الْأَرْبَعَةِ مَكْشُوفٌ ، لَا يَتَوَرَّعُ عَنْ رُكُوبِ مُخْزِيَةٍ ، يُقَالُ لَهُ :
يَا فَاذُوهُ ، وَنَلَّكَ ! تُبْ إِلَى اللَّهِ . فَيَقُولُ : يَا قَوْمَ ، لَمْ تَنْخَلُطُوا بَيْنِي وَبَيْنَ
مَوْلَايَ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ ؟

فَكَانَ فِي بَعْضِ الشُّوَارِعِ يَوْمًا ذَاهِبًا ، وَالشَّارِعُ قَدْ اتَّسَعَ أَسْفَلُهُ وَضَاقَ
أَعْلَاهُ وَالتَّقَى^(٥) جَنَاحَانِ فِيهِ ، فَتَنَاوَلَتْ جَارَةً جَارَتْهَا يَهْرَاسًا^(٦) . انْسَلَّ مِنْ

١ - مِنْ آيَةِ ١٨٦ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

٢ - مِنْ آيَةِ ٨٣ سُورَةِ الْإِسْرَةِ .

٣ - نَجَ ، ي : [حَكَمَكَ] .

٤ - أَحَبُّهُ يَتَى بِالْأُؤْمَةِ الْأَرْبَعَةِ ، الْقَصُولُ الْأَرْبَعَةُ .

٥ - فِي ع [وَتَقَت] .

٦ - يَهْرَاس : الْخَوَانِ : وَلَا تَزَالُ مُسْتَمِلَةً فِي الْمَغْرِبِ .

الأعلام

٥ - فَاذُوهُ : عَجَبِي مِنْ أَعْلَامِ الشُّفَرَانِ .

يلبها على رأس « فاذوه » فهرس رأسه . وتطيط كخطط الهريسة . وأعطته
من الثوبة . وكان لنا وأعظ صالح يقول لنا : احنروا ميتة فاذوه .

قال « جبريل » في حديثه : « خَشِيتُ أَنْ يَمُوتَ فِرْعَوْنُ ^(١) الشَّهَادَةَ وَالتَّوْبَةَ ،
فَأَخَذْتُ قِطْعَةً مِنْ حَالِ ^(٢) الْبَحْرِ فَضَرَيْتُ بِهَا رِجْلَهُ » - يعني طَبْنَهُ . والحالُ
ينقسم لثمانية أقسام منها الطينُ - فكيف يصنعُ مَنْ عِنْدَهُ أَنْ التَّوْبَةَ
لَا تَصِيحُ مِنْ ذَنْبٍ مَعَ الْإِقَامَةِ عَلَى اتَّخَرُ ؟ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ .

• • •

يُلغى عن مولاى الشيخ - أدام الله ثأبيته - أنه قال وقد ذُكرتُ له :
« أَعْرِفْ خَيْرَ ^(٣) » . هو الذى هجا أبأ القاسم * [بن] ^(٤) على بن الحسين
المغربى .

فذلك منه - أدام الله عزه - رأى لى . خوفاً أَنْ يَسْتَشِيرَ طَبْنِي . وَأَنْ
يَتَصَوَّرَنِي بِصُورَةٍ مَنْ يَضَعُ الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ . وهو بتعريف التنكير .

١ - يبنى لرويت موسى .

٢ - أورد (اللسان) أكثر من ثمانية معان لفظ الحال ، منها الذى يحمله الربيل على ظهوره
ما كان . وللكارة والميتة ، ولوقت لقي أنت فيه ، والتراب البين الأسود ، والحياة - وبها نمر
حدث جبريل لقي قتله ابن القارح ها - ولابن ، والرماد الحار ، وسال الربيل : لمرأته ،
والدابة التى يدرج عليها الصبي إذا مشى .

٣ - كذا (ن ج ، ي) ، ولغى : أعرف سمعاً . وقد نقله فى (ج) حرفاً : [أعرف جراً] .

٤ - فى النسخ الثلاث : [أَنْ الْقاسم على بن الحسين] .

والصحيح بالرجوع إلى طبقات الأئمة ، وزبدة الخلب فى تاريخ حلب ١ / ١٨٨ وبسم باب
(١ / ٤) والشُّعَرَات (٩٠ / ٧) . وانظر تعريف القساء بآل السلاء (٥٩١) .

الأعلام

٥ - أبير القاسم : الحسين بن على بن الحسين ، المعروف بـ بابنوزير المغربى ، كتب ثامر ،
وساسى منظر ، ولد سنة ٣٧٠ ووفى سنة ٤١٨ . وكان يلقب بالكمال فى التروائيق . واسع
معرفة : س فى الغنى رقم ٤ [أعلام] -

أَنْفَعُ لِي عِنْدَهُ ، لَجَلَالَةِ قُدْرِهِ وَجِدِّيهِ وَسُكْرِهِ ، وَأَنَا أَطْلَعُهُ عَلَيْهِ ^(١) ، لِعِرْفَتِ خَفَافِهِ وَرَفَعِهِ ، وَفَرَادَاهُ وَجَمْعِهِ .

كُنْتُ أَذْهَبُ عَلَى «أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالَوَيْهِ» رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَأَخْتَلِفُ إِلَى «أَبِي الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيِّ» *** : وَلَمَّا مَاتَ «أَبْنُ خَالَوَيْهِ» سَافَرْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَنَزَلْتُ عَلَى «أَبِي عَلِيٍّ الْقَارِسِيِّ» *** ، وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادَ : إِلَى «أَبِي سَعِيدٍ السَّيْرَاقِيِّ» وَ«عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرَّمَّانِيِّ» *** : وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ^(٢)
الْمَرْزُبَانِي : وَأَبِي حَفْصٍ الْكَتَّانِي صَاحِبُ أَبِي بَكْرٍ
مُجَاهِدٍ . وَكُنْتُ حَلِيفَتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبَلَغْتُ نَفْسِي

-
- ١ - أَسْلَمَهُ مَتْنُهُ : أَطْلَعَهُ عَلَى بَاسْمِ أَمْرِهِ . وَيُقَالُ : اسْتَطْلَعَ الْعَدُوُّ أَيْ عَرَفَ بَاسْمَ أَمْرِهِ (نَوَازِدُ أَبِي سَحْلٍ) وَيُقَالُ : لَيْسَ لِهَذَا الْكَلَامِ طَلْعٌ وَلَا مَطْلَعٌ وَلَا مَطْلَعٌ - بِسْمِ اللَّهِ وَتَشْدِيدِ الْلامِ - فَيَعْنِي مَا قُلْتُ لَكَ (٢٩/١) . - ط دمشق .
 - ٢ - فِي نَتِيجَةِ التَّحْقِيقِ : [أَبِي الْحَسَنِ] رَاسِخُ الْأَعْلَامِ .

الأعلام

- - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالَوَيْهِ : مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَّانِ .
- - أَبُو الْحَسَنِ الْمَغْرِبِيُّ : عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ - وَالِدُ أَبِي الْقَاسِمِ - انْظُرْ رَقْمَ ٤ هَامِشِ الصَّلَاحَةِ السَّابِقَةِ ، وَانْظُرْ أَعْلَامَ الْفَرَّانِ .
- - أَبُو عَلِيٍّ الْقَارِسِيُّ : الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ - مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَّانِ .
- - أَبُو سَعِيدٍ السَّيْرَاقِيُّ : الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَّانِ .
- - عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّمَّانِيُّ : أَبُو الْحَسَنِ ، مِنْ كِبَارِ التَّحْقِيقِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ ، وَكَانَ مَطْلَعًا فِي الْفَنِّ وَافِقَهُ وَالْكَلَامُ عَلَى مَذْهَبِ الْمُتَزَلِّهِ . تَذَكَّرَ لَهُ الْمَصَادِرُ نَحْوَ مِائَةِ كِتَابٍ فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَاقِ . وَكَانَ سَنَةَ ٢٩٩ وَتَوَلَّى سَنَةَ ٣٨٤ هـ .
- (نَزَمَةُ الْأَبْيَاحِ لَا يَنْبَغُ الْأَنْبَاءُ : ٣٨٩) ، وَلِيَّاتُ الْأَحْيَانِ ١/٢٢١) وَانْظُرْ ثَلَاثَ رِسَالَتِي فِي إِهْجَائِهِ لِلْقُرْآنِ : لِخَطَّابٍ وَالرَّمَّانِيِّ وَعَبْدِ الْقَاهِرِ الْبُخْرِيَّانِيِّ ، طَالِغُ خَائِرٍ .
- - أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ : مِنْ أَعْلَامِ الْفَرَّانِ .
- - أَبُو حَفْصٍ الْكَتَّانِيُّ : حَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْبَغْدَادِيِّ ، إِسَامُ الْقُرْآنِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَاجِرِيِّ ، تَوَلَّى سَنَةَ ٣٩٠ هـ (انْظُرْ صَفْحَةَ ٥٣١) .
- - أَبُو بَكْرٍ بْنُ مَجْلَدٍ : أَسَدُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنِ النُّبَيْسِ ، شَيْخُ الْقُرْآنِ فِي بَغْدَادَ ، تَوَلَّى سَنَةَ ٣٢٤ هـ (طُبُوقَاتُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْحَرْثِ ١/١٣٩) .

أغراضها جهدى والجهدُ عاذر . ثم سافرتُ منها إلى مصر ، ولقيتُ
«أبا الحسن»^(١) [المغربى] فألتمس أن أُرزقه لُزومَ الظلِّ ، وكنتُ منه مكانَ البُثلِّ ،
في كثرةِ الإنصافِ ، والحنوِّ والحنافِ^(٢) . فقال لى سِرّاً : «أنا أخافُ وممّةُ
أبى القاسمِ أن تنزّو»^(٣) ، به إلى أن يوردنا ورّداً لا صَبرَ عنه . وإن كانت
الأنفاسُ مما تُحفظُ . وتُكتبُ ، فاكْتُبها واحفظها وطلّغني بها .

فقال^(٤) لى يوماً : «ما نرضى بالعميلِ الذى نحنُ فيه » قلتُ : «وأى
عميلٍ هنا ؟ ! تأخذون من مولانا - حَلَّدَ اللهُ مُلكه - فى كُلِّ سنةٍ ستةَ آلافِ
دينارٍ : وأبوك من شيخِ الدولة وهو معظّمٌ مُكرّمٌ » . فقال : «أريدُ أن تُصارَ
إلى أبولينا الكاتبُ والملاكبُ والمقانبُ»^(٥) ، ولا أرضى بأن يُجرى علينا
كالوليدانِ واليُسوانِ ! »

فأعدتُ ذلك على أبيه فقال : «ما أخوفنى أن يخضبَ أبو القاسمِ»^(٦)
هذه من هذه ! » - وقبض على لِحْيَتَيْهِ وهامَتِهِ .

وعلمَ «أبو القاسمِ» بذلك^(٧) ، فصارت بينى وبينه وقفةٌ .

١ - فى ج ، د : [أبا الحسن المغربى] محريف ، والسيال يمين أنه أبو الحسن المغربى ولده أبو القاسم .
انظر أعلام الصلحة السابقة .

٢ - فى ع : [الحناف] تصحيف . الحنات : التباد ، وقد أتمهه الشئ واتحله به أهله إليه .
والحنفة : الهدية .

٣ - تنزو به إلى كذا : تطع وتنازع إليه . ويقال : هو يفتنى إلى الشر ، أى يسرع إليه .

٤ - المائل هنا : هو أبو القاسم ، والمزبور هو ابن القنارج .

٥ - المقانب : جمع مقنب وهو جماعة من الخيل تجتمع للفرار .

٦ - فى د : [أبا القاسم] خطأ .

٧ - يضى بما تقتل ابن القنارج إلى أبى الحسن المغربى من حديث ولده أبى القاسم .

وَأَنفَذَ إِلَى الْقَائِدِ «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - الْحُسَيْنُ بْنُ جَوهرٍ» فَشَرَفَنِي بِشَرِيفٍ
خَلِمَتِهِ ، فَأَرَبْتُ «الْحَاكِمُ» * كلما قَتَلَ رَئِيساً أَنفَذَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَذَا
عَدُوٌّ وَعَدُوُّكَ يَا حُسَيْنُ * فَقُلْتُ : «مَنْ يَرَى يَوْمًا يَرَى بِهِ - وَالدهُ لَا يُغْتَرُّ
بِهِ» وَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَلَّمَا يُعْمَلُ بِهِ . فَاسْتَأذَنَتْهُ فِي الْحَجِّ فَأَذِنَ ، فَخَرَجْتُ فِي
سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَحَجَّجْتُ خَمْسَةَ أَعْرَامٍ وَعَدْتُ إِلَى «مِصَرَ» وَقَدْ قَتَلَهُ (١) .
فَجَاءَنِي أَوْلَادُهُ بِرَأْسِ يَرْوَمُونَ الرَّجُوعَ إِلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : خَيْرٌ مَالِي وَلَكُمُ
الْهَرَبُ . وَلَأَبِيكُمْ بِبَغْدَادَ * * * وَدَائِعُ . خَمْسِمِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ . فَاهْرَبُوا وَأَهْرَبُ .
فَفَعَلُوا وَفَعَلْتُ . وَبَلَّغَنِي قَتْلَهُمْ بِدَمَشَقَ * * * وَأَنَا بِطَرَابُلُسَ * * * ، فَدَخَلْتُ
إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ * * * وَخَرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَنطَبَةِ * * * وَبِهَا «الْمَائِسْطَرِيَّةُ» ؛ خَوْلَةُ بِنْتُ
سَعْدِ الدَّوْلَةِ * * * * * فَاقْبَضْتُ عَنْدَهَا إِلَى أَنْ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ «أَبِي الْقَاسِمِ»
فَسِرْتُ إِلَى مِيفَارَقِينَ * * * * * . فَكَانَ يُسِيرُ حَتَّى أَتَى ارْتِغَاءَ (٢) .

١ - القاتل هو الحاكم بأمر الله . وانقضى القائد الحسين بن جوير .
٢ - مِصْر : ضد يمان - والخور : الشرب شيء به نوى . يقال حسا لطاهر الماء تنوره بمقاره .
والارتقاء : أخذ الرهوة ، يقال ارتقى إلى ارتداه أخذ من فيه من الرهوة . والمرفى من الكلام : الحب .
والمثل يضرب لمن يتظاهر بأمر ويخفي سواه . كن يظهر بالارتداه وهو يمسو الشراب .
الحمام

• - أبو عبد الله الحسين بن جوير : القصر - قتلته القواد و جيش الحاكم المندعي وأبو جوير
انصل الذي أخذ مصر وأقام به الدعوة لمسيحيين .
وقد قتل الحاكم قائده أما عبد الله الحسين بن جوير سنة ٤٠١ هـ وقيل معه قاضي القضاة - ابن الأثير
سُيُودَتِ سَنَةُ ٤٠١ هـ ، للشذرات ٢٦/٣ .
• - الحاكم : بأمر الله ، أبو علي منصور القضي صاحب مصر والقادم وأشجواز والمغرب .
وله سنة ٣٧٥ ، وبول الأمر بعد أبيه العزيز ، وكان الحاكم غريب الأطوار شاذ التصرف ، قتل في
شوال سنة ٤١١ هـ .
• - راجع ابن خلكان ، وابن الأثير ، والشذرات ١٩٢/٣ ، والتجويم الزاهرة : ١٧٦/٤ : ٢٤٦ .
• • • - بغداد ، ودمشق ، وأنطاكية ، ومنطبة : من أعلام الفرنج .
• • • • - طرابلس : مدينة على ساحل البحر بالشام - يفتيت ٣٦/٦ .
• • • • • - المائسטרية : خولة بنت سعد الدولة ، وأهل (الميسطرية) شرب لبغض الميسترية ودخلت
عليه الماء لتأليب .
وعروة : سفينة سيف الدولة ، أبوها أبو قتال شريف ، للقلب بسعد الدولة ، ابن سيف
الدولة ، ولحقه بعد موت أبيه سنة ٣٥٦ هـ ، وتوفي ٣٨١ هـ (ابن الأثير) .
• • • • • - ميفارقين : أشهر مدن ديار بكر ، (بلدان ياقوت ٢١٥/٧)

قال لي يوماً من الأيام : ما رأيته ! . قلت : أعرضت حاجة ؟

قال : لا ، أردت أن ألتصق .

قلت : فإلغى غائباً !

قال : لا ، في وجهك أشقى !

قلت : ولم ؟

قال : لمخالفتك إياي فيما تعلم^(١) .

وقلت له ونحن على أنس بيني وبينه : لي حُرُمات ثلاث : البلدية ،

وتربية أبيه لي ، وتربيتي لإخوتي .

قال : هذه حُرُمٌ مهتكة : البلديةُ نسبٌ بين الجنّان ، وتربية أبي لك

مئةٌ لنا عليك ، وتربيتك لإخوتي بالخلع والدنانير .

أردت أن أقول له : « استرحمت من حيث تعب الكرام » فخشيت جنون

جنونه ، لأنه كان جنونه مجنوناً ، وأصح منه مجنونٌ ، وأجنُّ منه لا يكون .

وقد أنشد :

جنونك مجنونٌ ولست بواجدٍ طبيباً يداوي من جنون جنون

بل جنُّ جنائنه^(٢) ، وقصّ شيطانه :

به جنّة^(٣) مجنونةٌ غير أنها إذا حصلت منه ألب وأضل

وقال لي ليلةً : أريد أن أجمع أوصاف السمعة السبعة في بيت واحد وليس

يسمح لي ما أرياه . فقلت : أنا أفعل من هذه الساعة .

١ - لك بيني مخالفة إياه حين هم بالثورة على الحاكم . انتشر سنة ٥٧ .

٢ - الجنان : جميع جهن .

٣ - الجنة : والجنون : زوال العقل أو فساده .

قال : أَنْتَ جُنَيْلُهَا الْمَهْلِكُ^(١) ، وَعَلَيْهَا الْمَرْجَبُ^(٢) .

فَأَخَذْتُ الْقَلَمَ مِنْ دَوَائِهِ وَكُتِبَتْ بِحَضْرَتِهِ :

لقد أشبهتني شمة في صباقي وفي حَزَلٍ ما ألقى وما أتوقع
نحوً ، وحرقاً ، في فناء ووحدة وتسهيلاً حيناً ، واصفراراً ، وأدغم
فقال : كُنْتُ عَمِلْتُ هَذَا قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ !

فقلت : تَمْنَعُ سُرْعَةَ الْخَاطِرِ وَتُعْطِي عِلْمَ الْغَيْبِ ؟

وقلت : أَنْتَ ذَاكَ قَوْلُ أَبِيكَ لِي . وَلَكَ . وَ [لَلْبَيْتِ] *^(٣) الشاعِر .
[وَلِلْمَحْسَنِ] *^(٤) الدَّمَشْقِيُّ . وَنَحْنُ فِي الطَّارِئَةِ^(٥) : أَعْمَلُوا قِطْعَةً قِطْعَةً .
فَمِنْ جُودٍ جَمَلْتُ جَائِزَتَهُ كَتَبَهَا فِيهَا . فَقُلْتُ :

بَلَّغَ السَّاءَ سُمُوَ بِي تَ شَيْدَ فِي أَعْلَى مَكَانٍ
بَيْتَ عَلَا حَتَّى^(٦) نَعُوْ رَ فِي دُرَاهِ الْفَرْقَدَانِ
فَاتَّعَمَ بِهِ لَا زِلْتَ مِنْ رُبِّهِ الْحَوَادِثِ فِي أَمَانٍ

١ - الجليل : تصغير الجدل ، وهو من الشجرة أصلها الباق بعد ذهاب لروعها . وهو ينسب للإبل الحرة لتحتك به ، ومنه قول النزال : أنا جنيلها المهلك ، من الذي يهلك به كثيراً . يغرب لمن يلجأ إليه ويستغنى برأيه .

٢ - المذنب : تصغير مذق ، وهو من النخلة كالمتقود من العنب . ورجب النخلة وقع حولها الشوك لئلا يصل إليها أحد . ومنه طريقها المرجب : أثر المذنب البعيد المنال .

٣ - بيت ، ي : [فالبَيْتِ] جامع الأعلام .

٤ - في النسخ الثلاث : [والمحسن الدمشقي] جامع الأعلام .

٥ - الطارئة : بيت كالفية ، أصحى مرعب ..

٦ - في : نَحْ : [حَتَّى تَوَارَى] .

الأعلام

• - البَيْتِ : هو - فيما أرى - أحمد بن علي ، أبو الحسن ، وكان حافظاً لقرآن مطيع المذاكرة بالأخبار والآداب ، عجيب التادرة ، ظريف المزح والهجس . فادم الرزاء وكتبه القادر بأنه . روى ياقوت أبياتاً من شعره . توفي سنة ٤٠٣ هـ . (تاريخ بغداد ٤/٣٢٠) ، وأدبها ، ياقوت ٣/٢٥٤

• • - الحسن البصري : رجعت أن يكون : الحسن بن الحسين بن علي . الأديب الشاعر المروا . ذكر ياقوت أنه أصل ديسيا ، حكايات مقلدة عن ابن خالويه . توفي في شوال سنة ٤٦٦ - مسلم الأدباء ٨٩/١٧ ، ٩٢ .

فاستجاذ سُرْعَتَهَا وَكَيْفَهَا فِي الطَّائِفَةِ^(١) ، وَخَلَعَ عَلَى .
وَكَانَ « أَبُو الْقَاسِمِ » مَلُولًا . وَالْمَلُولُ رِمَا مَلَّ الْمَلَالُ . وَكَانَ لَا يَمَلُّ أَنْ
يَمَلَّ . وَيَحْقِدُ حَقْدَ مَنْ لَا تَلِينَ كَيْفُهُ . وَلَا تَنْحَلُّ عَقْدُهُ .
وَقَالَ لِي بَعْضُ الرُّؤَسَاءِ مَعَاتِبًا : أَنْتَ حَقُودٌ وَلَمْ يَكُنْ حَقُودًا .

فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ . وَاللَّهِ مَا كَانَ يُحَنِّي عَوْدُهُ . وَلَا يُرْجِي عَوْدُهُ .
وَلَهُ رَأْيٌ يُزَيِّنُ لَهُ الْعُقُوقَ : وَوَحَقَّتْ إِلَيْهِ رِعَايَةُ الْحَقُوقِ ؛ بَعِيدٌ مِنَ الطُّغْيَانِ الَّذِي
هُوَ لِلصَّدِّ صَلُودٌ ، وَلِلتَّأَلُّفِ أَلُوفٌ وَدُودٌ . كَأَنَّهُ مِنْ كَيْبَرِهِ قَدْ رَكِبَ الْفَلَكَ
وَاسْتَوَى عَلَى ذَاتِ الْجُبْكَ^(٢) . وَلَسْتُ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي رَاضٍ عَنْ وَصْلَتِهِ ؛ أَوْ
يَنْزِعُ إِلَى نَازِعٍ عَنْ خُلَّتِهِ^(٣) . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَادِرًا ، جَارِيًا فِي قِلَّةٍ إِنْصَافٍ عَلَى
غُلَّوَاتِهِ ، مَحُوتٌ ذِكْرَهُ عَنْ صَفْحَةِ فَوَادِي . وَاعْتَذَرْتُ وَدَّهَ فِيهَا سَالٍ بِهِ الْوَادِي :
فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ إِنْ رَأَيْتُ حِيَالَكَ وَاجِبُلُ^(٤) وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَبْلِ مُتَحَوِّلُ^(٥)
وَأَنْشَدْتُ الرَّجُلَ أَبْيَاتًا أَعْتَدْتُهَا فِي قَطْعِي لَهُ^(٦) :

فَلَوْ كَانَ مِنْهُ الْخَيْرُ إِذَا كَانَ شَرُّهُ عَتِيدًا . لَقُلْنَا : إِنْ خَيْرًا مَعَ الشَّرِّ
وَلَوْ كَانَ - إِذَا لَا خَيْرَ - لَا شَرَّ عَنْده صَبَرْنَا وَقُلْنَا الْإِيرِيشُ وَلَا يَبِيرُ^(٧)
وَلَكِنَّ شَرُّهُ وَلَا خَيْرَ عَنْده وَلَيْسَ عَلَى شَرِّ إِذَا دَامَ مِنْ صَبِيرٍ
وَيُغْفِرُ لَهُ^(٨) - شَهِدَ اللَّهُ - حَيًّا وَنَيِّبًا ، أَوْجَبَهُ أَخَذَهُ مُحَارِبَ الْكَبِيرِ ،

١ - في ج : [الطائفة] تصحيف بمشبه السيل . .
٢ - ذات الجبك : الساء ذات الطرائق الحبيبة ، والجبك بالضم جمع سبيكة ، وهي الطريقة
في الرمل أو بين النجوم . وانظر آية ٧ من سورة النازعات . وتكررت التراكيب (جبك) .
٣ - التلعة : بضم التاء المسجمة وكسر الدال : المسلسلة والإغمد .
٤ - البيت لشنفرى ، من لامية العرب المشهورة .
٥ - أى ، أنشدت الرجل الذى حلقني في قطعي لأبي القاسم المغربي . .
٦ - لا يرش ولا يرى : لا يطلع ولا يستر . وأصله من رأس البسم يرش : ألقى عليه الرش .
ويرى البسم والقلم يرشه : نسخ . قال « سويد بن أبي كاهل » :
فَرَشَنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا كَدَّ يَرِشُنِي فَخَيْرُ الْمَوَالِ مِنْ يَرِشٍ لَا يَرِشُ
٧ - يئى : لأبي القاسم المغربي .

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ . وَضَرَبَهَا دَنَانِيرَ وَدِرَاهِمَ وَسَيَّاهَا « الْكُفَيْيَّة » : وَأَنْهَبَ الْعَرَبَ
« الرَّمْلَةَ » . وَخَرَّبَ « بَغْدَادَ » . وَكَمَ دَمَ سَفَكَ ، وَحَرَّمَ انْتِهَكَ ، وَحَرَّةَ
أَزْمَلٍ . وَصَيَّيْ أَيْم !!

...

وَأَنَا مُغْتَلِبٌ إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ مِنْ تَقْرِيطِهِ مَعَ [تَفْرِيطِي^(١)] فِيهِ ، لِأَنَّهُ
قَدْ شَاعَ فَضْلُهُ فِي جَمِيعِ الْبَشَرِ ، وَصَارَ غُرَّةً عَلَى جَبْهَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . خَلَّدَ
ذَلِكَ فِي بَدَائِعِ الْأَخْبَارِ ، وَكُتِبَ بِسَوَادِ اللَّيْلِ عَلَى بَيَاضِ النَّهَارِ . وَأَنَا فِي
مُكَاتَّبَةِ حَضَرَتِهِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْشُورٍ ، كَمَنْ أَمَدَّ النَّارَ بِالشَّرَرِ ، وَأَهْدَى الضُّمَى إِلَى
الْقَمَرِ . وَصَبَّ فِي الْبَحْرِ جُرْعَةً ، وَأَغَارَ سِيرَ الْفَلَكَ سُرْعَةً ، إِذْ كَانَ لَا يَحِلُّ
النَّقْصُ بِوَادِيهِ ، وَلَا يَطُورُ^(٢) السَّهْوُ بِنَادِيهِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسَائِلِهِ عَقَائِلَ لَفْظٍ إِنْ نَتَمَّيْتُ فَقَدْ عَرِفْتُهَا . وَإِنْ
وَصَفْتُهَا فَمَا أَنْصَفْتُهَا . وَأَطْرَبْتُ - بِشَهَادَةِ اللَّهِ - إِطْرَابَ السَّمَاعِ . وَبِاللَّهِ لَوْ
صَدَرَتْ عَنْ صَدْرٍ مَنْ خِزَانَتِهِ وَكُتِبَتْ حَوْلَهُ ، يُغْلَبُ طَرَفُهُ فِي هَذَا . وَيرجعُ
إِلَى هَذَا - فَإِنَّ الْقَلَمَ لِسَانُ الْيَدِ وَهُوَ (أَحَدُ)^(٣) الْبَلَاغَتَيْنِ - لَكَانَ ذَلِكَ عَجِيباً ،
صَبْأً شَدِيداً . وَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عُلَمَاءَ . مِنْهُمْ « ابْنُ خَالَوَيْهِ » إِذَا قُرِئَتْ
عَلَيْهِمُ الْكُتُبُ . وَلَا سِيَّامَا الْكِبَارُ . رَجَعُوا إِلَى أَصْرِلِهِمْ كَالْمُقَابِلِينَ يَتَحَفَّظُونَ
مِنْ سَهْوٍ وَتَصْغِيفٍ وَغَلَطٍ .

وَالْعَجَبُ الْعَجِيبُ وَالنَادِرُ الْغَرِيبُ . حِفْظُهُ - آدَامَ اللَّهِ تَأْيِيدُهُ - لِأَسْمَاءِ

١ - ن السخ الثلاث : [مع تفریط فيه] .

٢ - يطور : يحرم ويقترب . في الأساس : أنا لا أطور بفلات : أي لا أحرم حوله ولا أفنو منه .

٣ - سقطت من النسخ .

الأعلام

٥ - الرملة : مدينة كبيرة بفلسطين ، وكانت تسمى ، ثم خربت - بلدان ياقوت ٢٨٦/٤ .

الرجال ، والمنشور ، كحفظ غيره من الأذكياء المبرزين المنظوم ، وهذا سؤال
بالقول صعب باليفعل ، مَنْ سَمِعَهُ طَمِعَ فِيهِ ، وَمَنْ رَأَاهُ امْتَنَعَتْ عَلَيْهِ مَعَانِيهِ
وَبَيَانِيهِ .

حلتني «أبو على الصقلّي» يَلْمِشَقْ قَالَ : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ «ابن
خالويه» إِذْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ «سيف الدولة**» مَسَائِلُ تَعَلَّقُ بِاللُّغَةِ ،
فَاضْطَرَّ لَهَا وَدَخَلَ خِزَانَتَهُ وَأَخْرَجَ كُتُبَ اللُّغَةِ ، وَفَرَّقَهَا عَلَى أَصْحَابِهِ يُفْتَشُونَهَا
لِيَجِيبَ عَنْهَا . وَتَرَكْتُه وَذَهَبْتُ إِلَى «أبي الطَّيِّبِ اللُّقْمِي***» وَهُوَ جَالِسٌ ،
وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْمَسَائِلُ بِعَيْنِهَا وَبَيْنَهُ قَلَمُ الْحُمْرَةِ . فَعَاجَبَ بِهِ وَلَمْ
يُغَيِّرْهُ . قُدْرَةُ عَلَى الْجَوَابِ .

وقال «أبو العليّ» : قرأتُ على «أبي عَمَرَ****» (الفصح) و
.. (إصلاح المنطق)^(١) لِيَحْفَظَ . وَقَالَ لِي «أَبُو عَمَرَ» : «كُنْتُ أَطْلُقُ اللُّغَةَ
عَنْ ثَلَاثِ ***** عَلَى خَرْفٍ ، وَأَجْلِسُ عَلَى دِجْلَةٍ أَحْفَظُهَا وَأَرَى بِهَا ،
وَأَنَا تَبِثْتُ وَحِفْظْتُ نِصْفَ عُمَرَى ، وَنَسِيتُ نِصْفَهُ . وَذَاكَ أَلَى دُرُسْتُ
بِبَهْلَاءَ وَخَرَجْتُ عَنْهَا وَأَنَا طَرَى الْحِفْظِ ، وَمَضَيْتُ إِلَى مِصْرَ فَأُمرِجْتُ^(٢)
نَفْسِي فِي الْأَعْرَاضِ الْبَهِيمَةِ ، وَالْأَعْرَاضِ الْمُوثِقَةِ ، وَأَرَدْتُ بِزَعْمِي وَخُلِيعِي

١ - (الفصح) لطلب ، و. (إصلاح المنطق) لابن السكيت .

٢ - أمرت نفسي : ألقيتها ترمى في التبول . يقال : مرج الدابة يمر بها مرجا ، وأمر بها
أرسلها ترمى في المرج . مرج لسانه في أمراض الناس . ألقته في ذمهم ولخيتهم .

الأعلام

- - ابن خالويه : أبو عبد الله - من أعلام النفران .
- - سيف الدولة : الحمداني - من أعلام النفران .
- - أبو الطيب اللقي : عبد الواسع بن علي - من أعلام النفران .
- - أبو عمر : غلام لطلب - من أعلام النفران .
- - لطلب : أبو الهيثم ، أحمد بن يحيى - من أعلام النفران .

الطبع الحكيم^(١) أن أذيقها حلاوة العيش . كما صيرت في طبع العلم والأدب . ونست أن العلم غذاء النفس الشريفة ويستل الأفهام الطليقة . وكنت أكتب خمسين ورقة في اليوم . وأدرس مائتين . فعمرت الآن أكتب ورقة واحدة وتكفي عياني سكا مئلا ؛ وأدرس خمس أوراق وتكفي . ثم دُفِئت إلى أوقات ليس فيها من يرغب في علم ولا أدب . بل في فاقة وذهب . فلو كنت « إياسا » صيرت « باقلا » . وأضغ كتابا عن يميني وأطلبه عن شمالي . وأريد مع ضمعي : أنناد لنفسي مَاشا بضمه غير ظهير . بل كبير عقير^(٢) ؛ وصلب^(٣) غير صليب . إن جنست فهو كالمثل . وإن مشيت فجملي دمايل^(٤) . ومي بتيقة نزره يسيرة من جسي كثيرة . لو وحدت ثقة أعطيت إياها لعمود علي بما أرقه به عن جسي من الحركة . وقلبي من الشغل . وأنا أجد من أدفعها إليه وبقي أن يردّها إلى !

دفع رجل إلى صليبي جارية أودعها عنده وذهب في سفره . فقال بعد أيام لمن يأتس به وتسكن نفسه إليه : يا أخي . ذهبت أمانات الناس . أودعني صليبي جارية في حيايه^(٥) أنها بكر . جريتها فإذا هي ثيب ! ومن ظريف الأخبار أن بنت أختي سرق لى ثلاثة وثمانين دينارا . فلما هددها السلطان - أطال الله بقاءه - ومدّ مدته . وأدام سمره ورفعته - وأخرجت إليه بعضها قالت : « والله لو علمت أن الأمر يجرى كذا . كنت قتلتها » فاعجبوا من هريسي وزبولي !!^(٦)

• • •

١ - الحكيم : بالضم ، الذي يفعل ما يستحق عليه الثرم . يقال ألام الرجل : فعل ما يلام عليه فهو سليم
٢ - عقير : جريح ممقور - عقره : جرحه ، نمره . وعقر الإبل قطع لوائها بالسيف .
٣ - الصلب : هنا ، عطر التفكار المستند من الكامل إلى أصل الفهم ، أحسن الفهم .
٤ - دمايل : [في حيايه] تسريه .
٥ - في : [وزبولي] . والضمير في [قتلتها] عائد على خالد الساقية : ابن القنوج .

والله لولا^(١١) ضَعُفٌ وعجزى عن السفر ، لخرجت إليه مُتَشَرِّفاً بجمالته
ومعاصَرتِهِ ، فأما مُذاكَرَتُهُ فقد يَمُتُّ مِنْهَا لما قد استولى عَلَى من النسيانِ ،
واحوى عَلَى قَلْبِي من الهموم والأحزان . وَإِلَى اللَّهِ الشُّكْرُ لا مِنْهُ ، وَلَيْسَ
يَحْسُنُ أَنْ أَشْكُرَ مَنْ يَرْحَمُنِي إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُنِي ، وَلَيْسَ بِحَكِيمٍ مَنْ شَكَا
رَحِمًا إِلَى غَيْرِ^(١٢) رَحِيمٍ .

وكان «أبو بكر الشَّيْبَلِيُّ» يقول : ليس غَيْرَ اللَّهِ غَيْرٌ ، ولا عند غَيْرِ
اللَّهِ غَيْرٌ . وقال يوماً : يا جواد ! ثم أَمْسَكَ مُتَكَبِّراً ورفع رأسه ثم قال :
ما أَوْحَى إِلَيَّ أَقُولُ لَكَ يا جوادُ ، وقد قِيلَ في بعضِ حَبِيلِكَ :
ولو لم يكنْ في كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وقد قِيلَ في آخرِ^(١٣) :

تراه إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ مُبْعِطُهُ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
ثم قال : «بلى ، أَقُولُ : يا جوادُ فاقِ كُلَّ جوادٍ ، وبعجودِهِ جادُ
مَنْ جادُ» .

ودَخَلَ «ابْنُ السَّائِكِ» ، عَلَى «الرَّشِيدِ» *** ، فقال له : «عِظْنِي» - وَلى
يَدُ الرَّشِيدِ كَوْزُ ماء .

١- في ي : [إرشاد] .

٢- سقط من (ي) .

٣- البيت لزهير بن أبي سلمى في مدح محمد بن سليمان بن بدر ، من قصيدته التي مطلعها :
جاء القلب من سلمى وأقصر بأفلكه جوى ألباس السبا ورطابه
وروى الشعر التالي :

«كأنك تطبه الذي أنت تأكله» .

انظر من ١٢٤ من شرح تلخيص لحيات زهير (ط دار الكتب) واختار من الشعر الجاهل
٤- سقط من (ع) .

الاعلام

- - أبو بكر الشَّيْبَلِيُّ : من أعلام القرنين .
- - ابن السَّائِكِ : أبو الباس ، محمد بن صحيح الكوفي الزمَّاعد الرضا ، كان كبير القدر عند
الرَّشِيدِ ، ينفذ ويخبره بنفسه إليه . توفي سنة ١٨٣ - الفهارست ١/ ٣٠٣ .
- - الرَّشِيدِ : هارون بن المهدي بن المنصور الساماني - من أعلام القرنين .

فقال : « مهلاً يا أمير المؤمنين ، أرايتَ إن أقدرَ الله عليك مُقَدِّراً ؟
فقال : لن أُمَكِّنَكَ من شربةٍ إلا بنصفِ مُلْكِكَ ، أكنْتُ فاعلاً ذلك ؟ » .

قال : نعم .

قال : « اشرب ، هناك الله » . فلما شرب قال : « أرايتَ يا أمير
المؤمنين ، أن لو أُسِفْتُ^(١) نفسَ هذا المُقَدِّرِ عليك فقال : لن أُمَكِّنَكَ من
إخراجِ هذا الكوزِ إلا بأنْ أَسْتَبِدَّ بِمُلْكِكَ دونك ، أكنْتُ فاعلاً ذلك ؟ » .

قال : نعم .

قال : « فاتتِ الله في [مُلْكٍ]^(٢) لا يساوى إلا بَوَلَّةٌ » .

• • •

وكيف أشكو من قاتني وعالني نيفاً سبعين سنة : كان قميصي ذراعين ،
فوكُلَ بي والذينَ حَبَبَيْنِ مُشْفَقَيْنِ ، يشناهيان في دفتيه ورِقَّتَيْهِ وطيبه ، فلما
صار اثني عشر ذراعاً تولّاهُ هو وطعاني ، فما أجاغني قط ولا أعراني :
« والذى هو يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيَنِي »^(٣) خاطبَ رَبَّهُ بالأدبِ فقال : « وإذا
مَرِضْتُ فهو يَشْفِينِي »^(٤) فنسَبَ المَرَضَ إلى نفسه ، لأنّها تَنْفِرُ من الأمراضِ
والأُمراضِ . وكلُّ شيءٍ يطرأ على الإنسان لا يَقْدِرُ على دَفْعِهِ ، مثل النومِ
والبَقْظَةِ والغَضَبِ والبكاءِ والغَمِّ والسرورِ والخَصْبِ والجلْبِ والغيثِ والقرِّ ،
فهو منه تَقَلَّصَتْ أَسْماؤه . ألا ترى أنه لا يَتَوَعَّدُ على فِعْلِهِ ، ولا يعاقبُ
عليه ؟ وما يَقْدِرُ^(٥) على دَفْعِهِ فهو منه ، مثل أن يَرِيدَ الكتابةَ فلا يَقَعُ منه

١ - كلما في الشيخ الثلاث . وفي اللغة : سلت بسفت سلتاً ، أكثر من الشراب ولم يرو . فلهذا
من أسلت بمنى سقاء ، حل البقاء المجهول .

٢ - في ج ١ : [مُلْكُكَ] .

٣ - ٤ - آيتا ٧٩ ، ٨٠ من سورة الشراء .

٥ - خبر الفاعل هنا ، عاقبه على الإنسان .

البناء ، ويريد البناء فلا تقع منه الكتابة . ومن به الرعدة لا يغير على
إسالكه ، ومن ليست به يقدّر على إسالكها .
كنت : « تَتَيْس »^١ وبين يدى إنسان يقرأ ويحزن^٢ : « يَبْزُونُ
بِالنَّزْرِ وَيَخَافُونَ »^٣ ، ويبيكى ، فخطر لى خاطر فقلت : أنا بفدّ هؤلاء
القوم صلوات الله عليهم ، أنا لا أنزّر ولا آنى ، ولا أخاف شقاء ولا عناء ،
ولو كنت أخاف ما أصبحت . . . [لا ١٧] محمواً وكنته .

وحللتى من أئني به ولا أئمه، عن أبيه - وكان زاهداً - قال : كنتُ
مع « أبى بكر الشبلى »^٤ ، بهفداً ، فى الجانبى الشرقى ببابى الطاق ، فربنا
شاكياً قد أخرج حَمَلًا من التنور كئله بُسْرَةٌ^٥ ، نُضْجًا ، وللى جانبى قد
جول حلاوى فالوذجا . فوقف ينظر إليهما وهو ساهٍ يُفَكِّرُ ، فقلت : يا مولاي
دقنى آخذ من هذا وهذا ورفاقاً وخبراً ، ومنزلى قريب ، تُشَرِّقنى بأن تجعل
راحتك اليوم حدى . فقال : يا هذا ، أعظمت أئنى قد اشتبهتُهما ؟ وإنما
فكرى فى أن الحيوان كله لا يدخل النار إلا بعد الموت ، ونحن ندخلها أحياء :
يا ربّ هزوك عن ذى شبيبة وجِل كئله من حلاوى النار مجنون
قد كان ذمّ^٦ أفعالا مُلَمَّبَةً أيام ليس له عقل ولا دين

• • •

١ - يَتَيْس : يرمى صوته فى الصلاة .

٢ - من آية ٧ سورة الإنسان .

٣ - يابس فى الأصل . بمقدار كلمة ، واليهيق يقوم بوضع لفظ ، إلا .

٤ - البسرة : واحدة البسر ، وهو الثمر اللين . والبسر أيضاً : النفس من كل شئ .

٥ - كلما فى النسخ الثلاث ، وفى اللسان : آدم القليل آنى بما يلم عليه . ويصل مدام ، لى ماسوم
جداً .

الأعلام

• - تَتَيْس : جزيرة قريبة من ساحل مصر الشمال ما بين القروا ودمياط ، كانت لها شهرة

تاريخية فى النسيج . (مقتوت ١١٩/٢)

• - أبوبكر الشبلى : من أعلام الصوفى .

نُتِ الرِّسَالَةُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْإِفْضَالِ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَخَيْرِ
الْأَجْلِ .

ما فُرِغَتْ مِنَ السَّوْدَاءِ حَتَّى ثَارَتْ فِي السَّوْدَاءِ : وَأَنَا أَعْتَذِرُ مِنْ خَطْئِي فِيهَا
أَوْ زَلْكِ ، فَإِنَّ النُّخْطَ مَعَ الْإِعْتِذَارِ وَالْإِجْهَادِ وَالْتَحَرُّى ، مَوْضُوعٌ عَنِ الْمَخْطِئِ :
• وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتَى الْكَمَالَ فَيَكْمَلُ •

قال «عمر بن الخطاب» : رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَى عِيَالِي .
وَأَسْأَلُهُ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ - تَشْرِيفِي بِالْجَوَابِ عَنْهَا ، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ
- عَلَى مَا بَيَّنَّا - قَدْ اسْتُخْشِنَتْ وَكُتِبَتْ عَنِّي وَسُيِّمَتْ مِنِّي . وَشَرَّفْتُهَا بِاسْمِهِ ،
وَطَرَزْتُهَا بِذِكْرِهِ .

وَالرِّسَالَةُ الَّتِي كَتَبَهَا «الزُّهْرِيُّ»* ، إِلَى ، كَانَتْ أَكْبَرَ الْأَسْبَابِ فِي
دُخُولِي إِلَى حَلَبَ . وَإِذَا جَاءَ جَوَابُ هَذِهِ ، سَيَرْتُهَا بِحَلَبَ وَغَيْرِهَا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ ، وَبِهِ التَّقَى ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

الأعلام

- - عمر بن الخطاب : أمير المؤمنين .
- - الزُّهْرِيُّ : أبو القُرَج ، انظر صفحة ٢٦ فيها حديث الرسالة المشار إليها هنا .

٢ - مفتاح الغفران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يسر وأيسر ،

قد علم الجبر^(١) الذي تُسبب إليه «جبرئيل»^(٢) ، وهو في كل الخيرات سبيل : أن في ممكن حماطة^(٣) ما كانت قطة أفائية^(٤) . ولا الناكزة^(٥) بها غانية^(٦) ، تُثمر من مودة مولاى الشيخ الجليل - كَبَّتَ اللهُ عُدُوهُ . وأدام

١ - كلما بالهم المحببة في له . يس : هـ . و . ويحاء . مهلة في طيعوتصنيف ، وفي س . ا : ن : [الجبر] تصنيف كذلك .
٢ - واصل الكلمة في السريانية والعبرية (جبر) وفي الآرامية (جبار) وصفاً ورجل . وفي جبرئيل لى .
٣ - واصل الله ، مك .
٤ - وسرطاً لغوي العرب بمعنى : الملك والعبه .

قال الجوهري والأزهري : جبر بمعنى عب ، وليل اسم الله . ورد في القاموس وغيره وقالوا : ليل هو العهد وما عداه هو الاسم من أسماء الله ، واستدلوا على ذلك باختلاف جبر في أسماء الملائكة ، دون ليل . والبيان هنا يقتضي أن نفس الجبر بالملك - لى الله - فكأن أبا العلاء يؤثر رأى القاموس .

٢ - كلما في الأصل . وفي ز ، ت [جبرائيل] وفي لغة في جبرئيل . وفي س [جبرئيل] بجاء مهلة ، وليس في المادة ، ولا أفرق من القدت في جبرئيل . وجبرئيل : علم مك ، مخرج من الحرف ، فيه لغات أربع عشرة ، أشهرها وأصحها جبرئيل بكسر الجيم ، وفتحها ، وجبرئيل .

انظر (المفصل في قواعد اللغة السريانية للإبراهيم زبيلي ص ١٣٦) و (الإبدال لأبي نصيب الفري).

١/٢ ، ٤٠٢ ، و (قروض الأنت ١/٢ ٤٠٢) والقاموس العربى الإنجليزى لبرسلو (M.H. Brentan)

٣ - الحماطة هنا حبة اللب . كلما فسرها أبو العلاء . انظر ص ١٣١ - واحدة الحماط ، وهو في الأصل شجر أحمر انثر ثمراته أجواف الجبال . يستوقد بحطب . وثمره شديد اخلاوة يجرى القم . وقال في (المجموع) : وحماطة القنب دمه ، وضائعه ، وصيصه - مجاز .

٤ - الأفائية - كفاية : واحدة الأفائي ، شجر الحماط ما دام وطياً ، فإذا يس فهو حماط . ذكره الجوهري في (ن) وذكره غيره في (ألن) قال ابن عربى : وهو غلط . (اللسان) .

٥ - ن ، س ، ن ، ا : [الناكزة] تحريف . يقال لكثرته الحية - كسر - لست ، كركوته . والناكز : قطن والناكزى : عهد انصرف كسان الفرج . والناكز ، بفتح النون وتشديد الكاف : حية من أعيث الحيات .

٦ - غانية : حقة ، من غنى بالمكان إذا أقام به .

رَوَاحَهُ إِلَى الْفَضْلِ وَغُدُوهُ - ما لو حملته [العالية] ^(١) من الشجر ، لَفَنَت
إِلَى الْأَرْضِ غَصُونَهَا ، وَأَفِيلَ ^(٢) من تلك الثمرة مَصُونُهَا .

وَالْحَمَاطَةُ صَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ ، يُقَالُ لَهَا إِذَا كَانَتْ رَطْبَةً : أَفَانِيَّةٌ ،
(فَإِذَا بَيَسَتْ فِيهِ حَمَاطَةٌ) ^(٣) . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أُمُّ الْوَكَيْدِ لَمْ تُطِئْنِي ^(٤) حَنَوْتُ ^(٥) نَهَا يَدِي بَعَصًا حَمَاطِرٍ
وَقُلْتُ لَهَا : عَلَيْكَ بَنَى أَقْبَشِ ^(٦) فَإِنَّكَ هَبِيرٌ مُعْجِبَةٌ الشُّطَاطِرِ
وَيُوصَفُ الْحَمَاطَةُ بِإِلْفِ الْحَيَاتِ لَهَا . قَالَ ^(٧) :

أُنَبِّحُ لَهَا ، وَكَانَ أَخَا عِيَالٍ شَجَاعٌ ^(٨) فِي الْحَمَاطَةِ مَسْكِنٌ
وَأَنَّ الْحَمَاطَةَ الَّتِي فِي مَتَرِي لَتَجِدُ مِنَ الشَّوْقِ حَمَاطَةً . لَيْسَتْ بِالْمَصَادِفَةِ
إِمَاطَةً . وَالْحَمَاطَةُ ^(٩) حُرْقَةُ الْقَلْبِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَهُمْ تَحْلَأُ الْأَحْشَاءَ مِنْهُ ^(١٠) .

١- ن : [العالية] . وفي الأصل ربيعة النسخ [العادية] هذا: عنها لقد بلتها ؛ دنت ، ولأن
العادية من الأشجار وهي القديمة ، نسبة إلى عاد - من فأنها ألا تضر . وما اخترته ، فقله في (ب) وفي
(ل ٢١) عن بعض النسخ ؟

٢- ن : ط [أزبل] بالزاي . تصحيف . ولعل يعني أمين .
٣- سقطت هذه العبارة من ط
٤- ن : ز : [لم تغمس] وهو تحريف يخل به الوزن .

٥- ن : ز : [حنوت] بفتح الحاء : [حنيت] .

٦- ن : س ، د ، أ : [بنى أقبش] بفتح الميم - تصحيف .
والشطط مجازة القدر ، من شط إذا بند ؛ والشطط - كسحاب وكثبان - الشغل وسمن القوام
والاستقامة في الريح ، وهو أيضاً الجور والتجاوز .

٧- ن : ط : [قال الشاعر] .

٨- الشجاع : ضرب من الحيات ، لطيف دقيق ، زعموا أنه من أجربها .

٩- ن : ز ، ت : [الحماط] .

١٠- لم يوجد جزء البيت في نسخة ما بأيدينا ، ويلاحظ أن في (ك) بيان يشمل موضع هذا الشعر ،
فلم ذلك أصل عدم وجوده في النسخ الأخرى . ولم نشر على بقية البيت بعد في مراجعنا ، ولزايح أن موضع
الشاعر فيه . وكذلك لم نشر عليه في (ب ، ل) !

(١) فلما الحماطة المبدية بها فهي حبة القلب ، قال الشاعر :

رَمَتْ حِمَاطَةَ قَلْبٍ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ عَنْهَا : بِأَسْمِهِمْ لَحِظْلِمَ تَكُنْ غَرَبًا^(٢)
وَأَنَّ^(٣) فِي طَيْرِي^(٤) لِحَضْبًا^(٥) وَمُكَلَّ بِأَذَانِي ، لو نطقن لَذَكَرَ شَلْخَانِي^(٦) ،
ما هو بساكني في الشَّغَاب^(٧) ولا يمتشرف على الثُّغَاب^(٨) : ما ظهر في شناه
ولا صيف . ولا مرَّ بجبل ولا خَيْف^(٩) : يُخْصِرُ من محبة مولاي الشيخ
الجليل - ثَبَّتَ اللهُ أَرْكَانَ الْعِلْمِ بِحَيَاتِهِ - ما لا تُصْمِرُهُ لِلْوَلَدِ أُمٌّ ، أَكَانَ سُمَهَا^(١٠)

١- سقط هذا السطر كله من ث ، ز ، ن ، س ، ، بقوله : (فلما انسلطت المجرى بها ...)
يشير إلى قوله : أَنَّهُ فِي مَسْكَنِي حِمَاطَةَ ، في هذه الرسالة .

٢- يقال سيم غرب - على الإضافة والوصف - لا يدرى راسه . وقيل الأجداد الإضافة . وانظر
« التبريز » في (شرح مفردة ابن دريد ١١١ ط دمشق) .

٣- قد نقرا : وإن بالكسر على الاستئناف . لكن الرسل - عطفا على موصوف : من أجرو ... ،
في صدر الرسالة - أنسب مدى ، لطول نفس الشيخ .

٤- معنى العسر ، بالكسر : القرب الخلق ، أو هو الكساء البالي . وأراد بهما : جسده المزيل
الذليل ، وشوبه الخلق . والحضب ، بالفتح ويكسر : حبة ، أو هو القسم من ذكرها .

٥- الشَّغَاب : الشدة . وانظر (نزار أدبي مجلد ١ / ١٠٣) .

٦- الشَّغَاب : جمع شغب - بالفتح ويكسر - مهارة بين جبلين ، وقيل هو كنفار أو
كالتنقي في الجبل .

٧- الثُّغَاب ، والْثُّغَاب : ج ثقب ، وهو الثقب ، والطريق الضيق في الجبل .

٨- الخَيْف : المتأخر عن غلط الجبل ، وارتفع عن سبل الله . وكل حيرط وارتفع في
سفع الجبل : خيف .

٩- في زحاشية : (السم . العين : كذلك في كتب اللغة) أ.هـ . ولم أجد هذا المعنى .
والسياق يؤيد بأن السم هنا : سمته المزعومة . - ليناسب الحماطة والحضب والأسيود - من الحيات .
يريد أن يقول إن ما يفسره الشيخ من محبة ، فربما ما تفسره الأسماء لأولادهم ، سواء كن من ذوات السم
أو غيرهم .

يُذَكَّرُ أَمْ فَقَدْ عِنْدَهَا السَّم . وليس هذا الحَضْبُ مُجَانِياً لِلَّذِي عَنَاهُ الرَّاجِزُ^(١)
 فِي قَوْلِهِ :

• وقد تطوَّرت انطواء الحَضْبِ •

وقد عَلِمَ - أَدَامَ اللَّهُ جَمَالَ الْبَرَاةِ بِسَلَامَتِهِ - أَنَّ الْحَضْبَ ضَرْبٌ مِنَ
 الْحَيَاتِ ، وَأَنَّهُ يُقَالُ لِحَبَّةِ الْقَلْبِ^(٢) حَضْبٌ .
 وَأَنَّ فِي مَنْزِلِ الْأَسْوَدَ : هُوَ أَعَزُّ عَلَى مَنْ عَنَتَرَهُ . عَلَى « زَيْبَةِ » . وَأَكْرَمُ
 عِنْدِي مِنَ « السَّلِيلِ » عِنْدَ « السُّلُوكِ » : وَأَعِنُّ بِإِثَارِي مِنْ « خُفَافٍ » . . .

١- ن ش : [الراجز] بالثني ، وهو تصحيف لغير أصله أ د هـ ، انتهى في كـ بـ شـ ، بقوس الثني .
 والراجز هنا هو « رَوْبَةُ بَيْنِ الْمَجَاجِ » ، وَبِمَامِ الْيَتِ :
 وقد تطوَّرت انطواء الحَضْبِ بـي قنـد بـدعة وشـقـب
 قال في (التتاج) : يجوز أن يكون المراد به - بالخطب - القُرْبَرُ ، وأخيه .
 ٢- ن ش : [حبة القلب] تصحيف .

الأعلام

• - عنتره : بن شداد البسي - حل المشهور - أحد فرسان الخاطبة وأمرتها المشهورين وشعرها
 الأعلام ، وأمه « زَيْبَةُ » أمة سواد ، وكان من أشد أهل زمانه وأجودهم ، ومملوكة أسود شعره ، وقد
 شهد حرب داحس والغبراء فحسن نبيها بلاؤه . وهو من شعراء الساهل والشاحب .
 وانظر (طبقات الشعراء لابن سلام ٣ ط أوروبا ، الشعراء ١٣٠ ، الخليل ١٥١) .
 • • - السليل بن ملكة السدي : منسوب إلى أمه « سُلُوكَة » وكانت سواد ، واعتُفِلَ في اسم
 أبيه ، وهو من بني كعب بن سعد بن زيد .
 والسليك أحد أفرقة العرب وهم بنو صديكهم . وقد ن له دس وفده ، وقد ن أول الناس بدأرض
 وأسرهم عدواً لا تسبق به الخيل ، وقروى عنه في ذلك أحاديث .
 انظر (الشعراء لابن قتيبة ٢١٣ . ومختلِف واخْتِصِف للأدبي ١٣٧) .
 • • - خفاف بن ثعلبة السلمي : خفاف - كثراب - ونديّة عل وزين تمرّة كما نسبها في (المبحر)
 وفي (الخزانة) .

أبو عمير بن الحارث بن الشريد السلمي ، وأمه « ثعلبة » ، سواد ، وإليها ينسب .
 ٩ - من أفرقة العرب ، وقبائلها ، وشعرها المهيذين ويكنى أبا غرقة . أسلم وشهد مع النبي صل
 أنه نبيه وصار فتح مكة ، ومعه لواء بني سليم . وهو من شعراء الجاهل والشحج .
 وانظر (الشعراء لابن قتيبة : ١٩٩ ، ومختلِف : ١٠٨ ، والشيخ لابن جني : ٣٨ ، والخزانة
 : ١٦٢/١ ، والإصابة : ٤٥٢/١) .

الشمي ، بِخَبَايَا^(١) « نَدْبَة » وهو أبداً محجوبٌ ، [لا نجابٌ]^(٢) عنه الأغطية ولا يجوبُ . لو قَدَّرَ لَسافر إلى أن يلقاه^(٣) : ولم يجِدْ عن ذلك لشقاء يشقاه . وإنه^(٤) إذ يُذَكَّرُ ، لَيَوْنَتْ في المنطقِ وَيَذَكَّرُ : وما يُعْلَمُ أَنَّهُ حَقِيقُ التذكير ، ولا تَأْنِيهِ المَعْتَمِدُ بنكير . لا أَفْتَأُ دَائِباً فَيَا رَضَى ، على أَنَّهُ لا مَدْفَعٌ لِمَا قُضِيَ . أعْظَمُهُ أَكْثَرُ من إعْظَامِ لَحْمِ « الأَسْوَدَ بنِ الْمُنْذِرِ » ، وَكِنْدَةَ « الأَسْوَدَ بنِ مَعَدٍ بِكَرْبِ » . . . وبني تَهْلِيلِ بنِ دَارِمٍ « الأَسْوَدَ » . . .

-
- ١- في س ، ا ، ن : [عَفَايَ] . فاندظر (ل : ٢٢) !
 ٢- في الأصل وَاحْضَرَات [ما لا نجاب] ، وقد حذفت (ن) في س ، وأثرنا الخلف . فحذف في (ل : ٢٣ ، ب : ١٧) !
 ٣- التفسير هنا يسوق على الشيخ : ابن القلاج . أي لو قدر الأسود - القلب - لاسر قلبه .
 ٤- التفسير هنا ، حاله على الأسود الذي في منزل أبي العلاء ، يعني قلبه .

الأعلام

« - الأسود بن المنذر الحنسي : من ملوك الحيرة وكان الأشعث يقد عليه ويمدحه . وفيه يقول قصيدته التي مطلعها :

ما يهكاه الكثير بالأعلام
 وسؤال وما تريد سؤال ؟
 (الشعر والشعراء ، ٣٣٧ ، ألفاظ بولاق ٢٤/١٠)

« - الأسود بن معد يكرِب : لهله أبو الأسود يزيد بن معد يكرِب بن سلمة بن مالك بن الحارث - من أشراف كندة ، قدم على النبي - صلعم - وأسلم (الإصابة ط مصر ٧٦/٤) .
 لكن هذا القول يفسعه أن « أبا العلاء » سلكه في قائمة الأساوة ، ولم يأت به بيزنم يدين أبا الأسود .
 وانظر (وساميا الملوك وأبناء الملوك - لأبي الطيب البليهد ، مصور بدار الكتب - الورقة رقم ٩٢) .
 وقابل ما هنا على حاشي (ب : ١٨)

« - الأسود بن يعفر : أمشي بن تَهْلِيل ، من بني دارم ويكنى أبا إسماعيل : شاعر عظيم جاهر بقل ، وما بق من شعره مَجْرَحٌ في ذيل (ديوان الأشعث ص ٢٩٢ : ٣١٠) قال ابن سلام : « وله واحدة طويلة رائعة ، لاسقة بأهل الشعر ، لو كان شفعها بظلمها قدماته على أهل مرثته وهي :

لأم إخل فما أحس وذاي وإشم يحضر لدى وساي

وله شعر كثير جليل ولا كنه . . . التعيينات ٣٣ ط أوربا . وانظر « الشعر والشعر » ١٣١ ، وصحوة الأنساب لابن حزم : ٢١٩ ، وحرارة الأدب ١/١٩٣ ، ١٩٦) .

ابن يَمْرُوتُ : ذا المَقَالِ المَطْرِب . ولا يَبْرَحُ مُولِعاً بذكرِ كَيْدِلاع . سُحيمٌ .
 «بَعْمِيرَةٌ» في مَحْضَرٍ وَمَبْدَاهُ : «وَنُصَيْبٌ» . مولى أُمَيَّةَ «بُعْدَاهُ» .
 وقد كَانَ بِمِثْلِهِ^(١) مع «الأسودِ بْنِ زَمْعَةَ» . . و «الأسودِ» . . .
 جليلٌ يَغُوثٌ .

(١) القمير يعود على الأسود الذي في منزل أبي العلاء ، يعني قلبه .

الأعلام

• - سحيم ، عبد بن الحساس : كَانَ حَشِيئاً مَلْفُطاً قَبِيحاً . وَشَدِيداً حَسَباً . اِشْتَرَاهُ عِيبَةُ ابْنِ أَبِي
 رِيعةَ الْخَزَرِيّ وَكَتَبَ إِلَى عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ قَدْ اِشْتَرَيْتَ لَكَ غُلَاماً حَشِيئاً شَاعِراً . فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَانُ :
 « لَا سَاحِيَةَ بِنَا إِلَيْهِ قَارِدُهُ ، فَإِنَّمَا حَسَدُ أَهْلِ الْعَبْدِ الشَّاعِرَةِ إِذَا فَعِيَ أَنْ يَشِيبَ بِشَدْبِهِ ، وَدُ جَزَعُ أَنْ
 يَجُودَهُ . » وَهَمِيَّةٌ ، حَبِيبَتُهُ فَيُحِبُّهَا يَقُولُ :

هَمِيَّةٌ رَدَعُ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبَ وَالْإِسْلَامَ شَرُّ قَضِيَا
 (طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ ٤٣ - اَشْعَرُ وَالشُّعْرَاءُ ٢٤١ - المُلْتَقَفُ ١٣٧) .

وقد طبع ديوانه بدارالكتب بالقاهرة . وهو من شعراء (الصاعل والذاحق) .
 • • نصيب بن دباب ، شاعر عبد العزيز بن مروان ، كَانَ شَاعِراً عَلِيْقاً مُقَدِّماً مَدَّ التَّلِيْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْسِنُ
 الْمَجْدَ ، وَكَانَ يَسْتَنْشِدُ مِرَالِي بَنِي أُمَيَّةٍ فَإِذَا أَفْشَدَهُ بِكَيْ مَعَهُ ، وَاشْتَرَى نَصِيْبَ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ :
 أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدِي وَأَنْتِ حَبِيبُ وَأَنْتِ بَحْسَنُ أَتَزِمُ مِنْكَ جَدِيرٌ ؟
 وَكَانَتْ ، وَلَمْ يَخْلُقْ مِنَ الْفُتَيْرِ ، إِنْ بَدَا مَنَا بِأَوْدَقِ نَحْوِ اشْجَارِ أَشِيرِ

(اَشْعَرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٤٢ - أَغَانِي بِلَاقِ ١ / ٢٢٥ ، ٢٢٤ - اَشْعَرُ وَالصَّاعِلُ وَالذَّاحِقُ) .

• • • - الأسود بن زَمْعَةَ : قَرَّبَهُ مَنَاصِرُ الْبَيْهَقِ . قَتَلَ ابْنَتَ زَمْعَةَ يَوْمَ يَدْرَقِي مَسْفُوفَ الشَّرَكِيَّ ، وَحَمَرَتْ
 فَرِيضَ الْبِكَاءِ حُلَّ قَتْلِ يَدْرَقَةَ بِشَمْتِهَا ، فَسَحَّ الْأَسَدُ بِكَاءِ فِي جَيْفِ الْبَيْلِ فَقَالَ : انْظُرُوا عَلَى حَلَّتْ =

.....

= قريش اليك، حتى أبكي على زمة ؟ فقالوا : لا ، إنما هي امرأة أنت بعير أبكي . فقال :

أتبكي أن ينسل لنا بغير ويعتصمنا من الدم السديد ؟

(اللائل في شرح أمال القائل لأبي حنيفة البكري - المجلد في وسط اللائ ط ١٩٣٦ ص ٩٠٢ ،
١٠٤) . وانظر (الأمال ط بولاق ١/ ٢٧٦) .

وفيه الأبيات في (الحساسة ط الرافعي ص ٣٦١) منسوبة للأسود بن عبد يثوث لا لابن زمة ، مع
ترجمة ابن عبد يثوث في الحامش .

وفي في (شرح الحساسة ص ١٢٩٠ ج ٢ / ١٧٥) منسوبة للأسود بن زمة بن
النصب بن نوفل ، هو أبه زمة بن الأسود .

ونصب في (السيرة - ط الخليلي ٣/ ٣٠٢) للأسود بن النصب ، إذ أصيب من ولده ثلاثة : زمة
وعقيل أبناء ، والحارث بن زمة . وبطله في (نسب قريش ٢١٨ ط الفخراني)

والقصة في (الطبري - ط الحسنية ٢/ ٢٨٩) مروية عن ابن إسحق ، لكنها منسوبة إلى الأسود
ابن عبد يثوث ، وقد كورأن قتلاء في بدر ، هم زمة وعقيل والحارث أبناءه .

وفي في (معجم البلدان - ٢/ ٨٩ ط مصر) بطبرستان ، منسوبة للأسود بن النصب بن أمه ، والأولاد
الثلاثة : زمة وعقيل ابنا الأسود ، والحارث بن زمة .

يعرف (الاستيعاب) : الأسود بن خلف بن عبد بن يثوث القرشي الجهمي ،

ولعل هذا يعطينا خلا لا غمطراب الرواية ، وبناء التحقيق .

••• - الأسود (بن خلف) بن عبد يثوث : القرشي الجهمي ، من سلالة الفتح (الاستيعاب .
٤٣ ، الإصافة ١/ ٤٣ ، الطبري ط الحسنية ٢ / ٢٨٩) .

والأَسْوَدَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا «الشُّكْرَى»^(١) في قوله :
 فهداهم بالأَسْوَدَيْنِ وَأَمَرَ اللَّهُ بَلْعَ يَشْفَى بِهِ الْأَشْقِيَاءَ
 ومع «أَسْوَدَانِ»^(٢) الذي هو «تَبَهَانُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْفَوْزِ بْنِ طَيْئٍ»^(٣) ،
 ومع «أَبِي الْأَسْوَدِ» الذي ذَكَرَهُ «أَمْرُو الْقَيْسِ»^(٤) : في قوله^(٥) :
 وَذَلِكَ مِنْ خَمِيرٍ جَاءَنِي وَنَبِّئْهُمْ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

-
- ١- ق ز : [الشُّكْرَى] جاء تحته موحدة ، تصحيف .
 وثبتت للحديث بن حنزة من مصنف . ورواية أبي الغيث حموي في (شجر - ١٨٦) :
 «فلزاهم بالأَسْوَدَيْنِ» ورواية الترمذي وزوائد : «... تشبهه في شقيقه»
 ويروي : «فهداهم بأَسْوَدَيْنِ» وأرد به «أَبِي زَيْد» ، و«أَسْوَدُ بْنُ عَمْرٍو» ، وقال حنظل أرد
 بالأَسْوَدَيْنِ الحِلَّ والْبَار ، وبالأَسْوَدَيْنِ أُمَّةً وَلَكِنْ ، انظر (شرح حديث) .
 ويلاحظ أن هذه التفسيرات ربما لا تشهد بـ «يَدْرَأُ» «العمري» ، أرد . - ذكر الأسودين في سبق الأعلام
 ٢- البيت لامرؤ القيس : من دأبه «يُفِي قَدْ حَسِبَ بَنُو أَبِيهِ وَمُسْجَعُ»
 فتأول ليك بالإنحد ولهم الظل ولم تولد
 ورواية (المئة الثمين : ١٢٣ - مختار الشعر الجاهل ١/١٣٢) :
 وذلك من ثوب جدك وأبنته عن أبي الأسو
 وظلها رواية «الآل» في أمالي . انظر (مئة الآل : ٥٣١/١) ولها من «ابن حبيب» : قال
 ابن الكلبي : الأبيات لعمر بن معد يكره في لغة بني مداعة بغيره عيب .
 وفي (المئلف ١٢) أنها لامرؤ القيس بن مالك الحسري !

الأعلام

- «- الشُّكْرَى : الحارث بن حنزة ، من بني يشكر ، من بكر بن وائل (جبهة الإنساب ٢٩١)
 أحد شعراء الملققات . قيل إنه ارتحل مملقة في مجلس عمرو بن عبد في خصوصه كانت بين بكر وتطلب
 وكان ينته من وراء السيف لبرسه ، فأمر برقع السيف استعصافاً لها (طبقات الشعراء لابن سلام
 الشعر والشعراء ، ٩٩ ، المئلف : ٩٠ ، وهو من شعراء الصاعل والثاسج) .
 «- أسودان : قبان بن عمرو بن الفَوْزِ بْنِ طَيْئٍ» (جبهة الإنساب ٢٧٩) ومن ولده زهد الحيل ،
 الفارس المشهور .
 (انظر المئلف : ٩٤ - أغنى بولاق : ٤٩/١٦)
 «- امرؤ القيس بن حجر الكندي : الأمير أشهر المشهور ، من شعراء لينة الأثر في الجحفة
 انظر طبقات ابن سلام ط أربابا : ١٥ ، المئلف : ٩ ، انشيد شعره بانه ٢٧ .
 وهو من شعراء (الصاعل والثاسج) .

وما فارقهُ^(١) «أبو الأسد اللؤلؤ» في عُمُرهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، في حَالِ الرَّاحَةِ
ولا الأَيْنِ . وقَارَنَ^(٢) «سُوَيْدَ بْنَ أَبِي كَاهِلٍ» * يَرُدُّ بِهِ عَلَى الْمَاهِلِ . وَحَالَفَ
«سُوَيْدَ بْنَ الصَّامِتِ» * ما بَيْنَ الْمُتَهَجِّجِ وَالشَّامِتِ . وصَافَتْ «سُوَيْدٌ» *
ابْنَ صُمَيْعٍ ، في أَيَّامِ الرُّتْبِ وَالرُّنَجِ^(٣) . و «سُوَيْدٌ» هَذَا الَّذِي يَقُولُ :
إِذَا طَلَبُوا نَحْيَ الْيَمِينِ مِنْهُمْ يَمِينًا كِبَرِيَّةً الْأَحْمَرِيَّ الْمَرْقُ^(٤)
وَأَنْ أَحْمَلُنِي بِالطَّلَاقِ أَنْتِهَا عَلَى خَيْرٍ مَا كُنَّا وَلَمْ نَتَفَرَّقْ
وَأَنْ أَحْمَلُنِي بِالْعَتَاقِ فَقَدْ ذُرَى حَبِيدُ غُلَاحٍ ، أَنَّهُ غَيْرُ مُعْتَقٍ^(٥)

٢٤١ - القصيدة لأبي أسيد ، يحرر : القصب .

٢ - الرتب ، حركة : فصيل الجيش . والرنع : الاعتلاء ، ينتهز .

٣ - الأحمري ضرب من البرود . وروى عن الفراء أنه قال : هي البرية الخفيفة بالسرعة .

٤ - قوس ، أذن : [على حين ما كنا] ، وهو تصغير . وبه ، حيث التفت في ذ ،

٥ - ويزن أحملني بالعناق أيها . بالتصغير : أحملني ، وأقيها .

وكنيت فبهنت (نقد) في الطبقات السابقة بـ كسر العين ، سهواً . فصبه كنفه بالكسر في
(ب ، ل) وليس فبهنت الأصلية فقام !

الأعلام

٥ - أبو الأسد اللؤلؤ ، من أبي الدقاق بن بكر بن كندة ، واسمه غلام بن عمرو . وبه في الشعراء .
والتأبين . والمحدثين ، والتحريرين . أخذ عنه جماعة من عظمى النخبة . وكان أخرج ، بجليا مغلوباً
انظر (أهل بولاق ١١ / ١٥٥ ، الشعر والشعراء : ٤٥٧ ، نزهة الألبان الأتليوي : ٣ - معجم
الشعراء : ٢٤٠ . الإزهد لياقوت : ٤ / ٢٠٨ ، طبقات ابن سعد ٧ ق ١ / ٧٠) وروى عن أعلام
(الصحاح والشاحح) . طبع ديوانه في بغداد ١٩٥٤ بتحقيق الدكتور عبد الكريم الجليل .

٥٥ - سويد بن أبي كاهل ، من شعراء بني يشكر القلطيين . وولد ابن سلام مع الخلود بن حنيفة
ومرارة ومروين كلثوم في الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية . (الطبقات : ٣٥ ، الشعر والشعراء : ٢٥٠)
٥٥٥ - سويد بن الصامت الأوسي ، من سادة الأوس . وشعره ، كان أحد الكلمات من العرب في الجاهلية
وقد أدركه النبوت ، وقدم مكة حاجباً أو محضراً فرفض عليه النبي (صل الله عليه وسلم) نفسه ، وبلا عليه
الفرق ، فقال : إني هذا لغيري حسن . ثم انصرف عنه فمر ببلد أن قتلته الخزرج ، وكان رسال من قومه
يقولون : إني لمرأ قد قتل وهو مسلم . وقد أورد «ابن هشام» بعض أشعاره في السيرة (٢ / ٢١) وانظر
مدها لإب : ٢ / ٩٩ . والاستيعاب ١١٦٨ : وأبو بزي : ٢ / ١٠٩ .

٥٥٥ - سويد بن صميص الحرثي ، من بني الحرث . من شعراء الخامسة لأبجد (بولاق ١٦٤/٢)

وكان^(١) يَأْتَفُ فَرَّاشٌ «سَوْدَة» بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ «امْرَأَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْرِفُ مَكَانَهُ الرَّسُولُ» وَلَا يَنْحَرِفُ عَنْهُ السُّؤْلُ. وَدَخَلَ الْبَيْتَ مَعَ «سَوْدَة» بِنِ عَدِيِّ «وَمَا ذَلِكَ بِزَوْجٍ لِي»^(٢). وَحَضَرَ فِي نَادِ حَضْرَهُ الْأَسْوَادِ^(٣) الَّذِينَ هُمَا الْهَنْمُ^(٤) وَالْمَاءُ «وَالْحُرَّةُ الْغَابِرَةُ وَالظَّلَامَةُ». وَإِنَّهُ لَيَنْفِرُ عَنْ الْأَيْتُظِينَ، إِذَا كَانَا فِي الرَّهَجِ^(٥) مُعْرِضِينَ. الْأَبْيَضَانِ الَّذِينَ يَنْفِرُ مِنْهُمَا: سَهْلَانِ، أَوْ سَيْفٌ وَبِشَانٌ، وَيَصْبِرُ عَلَيْهِمَا^(٦) إِذَا وَجَدَهُمَا. قَالَ الرَّابِيزُ: الْأَبْيَضَانِ أَبْرَدَا عِظَامِي. الْمَسَاءُ [وَالْقَشْتُ]^(٧) بِلَا إِدَامِ.

٢٤١ - الحديث هنا عن القنب. والزوج المصحب، يقال هذا الزوج من الأول أو صبي. والزوج أيضاً الشخص. واليدى، كرمي: القنبر. ٢ - الأسودان، قضت على مشيئات كثيرة، جاء «أبرالام» بالكثير في هذا المقام. ومن معانيها التي لم يذكرها هنا «أحبة والمقرب». ٤ - الهنم، حركة: القنبر.

٥ - الرهج، يسكنون الهلب يوضعا: القنبر، وفي الحديث: ما حلت قلب امرئ رجع في سبيل الله إلا حرم الله عليه النار.

٦ - كذا في كل النسخ. والصبر في (يسبر) عاتق على الأسد: قلب أبي العلاء. وفي (عليها) عاتق على الأبيضين، بالمعنى الذي ذكره الرازي بعد.

٧ - في الأصل: [الثت] بالفاء. وأثبت عليها في الطبقات السابقة. فجاءت كذلك في مثنى بيروت (ب، ل) وأثبت المدول منها إلى [الثت] كما في لسان العرب:

قَالَ فِي مَادَّةِ ثَت: الثت ثَبْتُ يَحْتَفِزُ بِهِ وَيُؤَكَّلُ فِي الْخَدْبِ، وَتَكُونُ حِزْمَةً خَفِيفَةً. وَعَنِ الْأَنْهَرِيِّ: عَرَسَ بَرِي يَأْخُذُهُ الْأَعْرَابُ فِي الْمَجَاعَاتِ لِيَقْتُولُوهُ وَيَحْتَفِزُوهُ، وَفَرْدَاءُ يَدِي، وَرَمًا تَنْفِلُ بِهِ أَيْدِيًا، وَاحْدَةً لَفَةً، عَنْ قَلْبٍ. ١.

الأعلام

٥ - سودة بنت زمعة: بن قيس. القرشيّة الباعرية، أم المؤمنين تزوجها السكران بن عمرو ثم تزوج منها فتزويها الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت أول زوج له بعد خديجة رضي الله عنها، فتوفيت آخر زمان أمير المؤمنين عمر. (الإصابة ط مصر ٢ / ٣٣٠، الاستيعاب ٢ / ٧٥٧، جريدة الأنساب ١٥٧)

٥٥ - سودة بن عدى: بن زيد، شاعر متقدم، له البيت المشهور:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءَ، نَعْسُ الْمَوْتِ ذَا النَّفْسِ وَالْقَفْرِ

وعمرن شواهد سيويه. قال: وهذا البيت لعدى بن زيد، وقيل لآبنة سودة بن عدى. ١ - والصحيح الأول «والميت منسوب لعدى» (حسانة البصري ١٤١) وقيل لآبنة سودة (الترغفة ط بولاق ١٨٣ / ١ شرح أدب الكاتب ١١١). وقيل ما هنا على هادن ص ١٩ من البيرونية (ب) ١ نجد فيها عبارة «هذا البيت ينسب إلى أبيه عدى» مع أن البيت سلف فيها مع سبأه على حشر طبعه الذخائر.

زيرتاجُ إليهما في قولِ الآخر^(١) :

ولكنهُ يَمْضِي لِي الْحَوْلُ كُلُّهُ وَمَا لِي إِلَّا الْأَبْيَضَيْنِ شَرَابُ
فَأَمَّا الْأَبْيَضَانِ^(٢) اللذان هما شحم وشباب ، فإنما تفرحُ بهما الزَّيْبَابُ ،
وقد يُبْتَهَجُ بهما عند غيري ، فَأَمَّا أَنَا فَيَسَا مِنْ خَيْرِي . وكذلك الْأَحْمَرَةُ
وَالْأَحْمَرَانِ^(٣) ، يعجب^(٤) لهما أَسْوَدُ وَإِ^(٥) ، فَيَتَّبِعُهُ حَلِيفُ يَسْتَرِ ، ما نزل
به حادثٌ حَسْر .

• • •

وقد وصلت (الرسالة) التي بحرُّها بِالْحِكْمِ مسجورٌ : وَمَنْ قَرَأَهَا^(٦)
مَأْجُورٌ ، إذ كانت تأمرُ بِتَقْبُلِ^(٧) الشرعِ ، وَتَبْعُ مَنْ تَرَكَ أَصْلًا إِلَى فِرْعِ .

١- البيت لحليل بن عبد الله الأندلسي من شراء الحجاز ، أرويه (السابق) في (يفي) والمقصود
بالأبيضين هنا : الماء واللين .

لكن « التبريزي » فسرها في (شرح المقصورة ابن دريد - ٤٧) بالخير واللذة ، وأضاف : ويقال : اللين
والخفة . وفي (نوادر أبي سحر) : الماء والخمر .

ورواية « التبريزي » للشطر الأول :

• ولكنه يَمْضِي لِي الْحَوْلُ كَامِلًا •

٢- في (نوادر أبي سحر ١٦٧/٢) : ويقال ساعد ثلاث طعام ولا شراب إلا الأسودان ، يفي
الماء والخمر ، والأبيضان ، يفي شهاب وشحمه .

٣- الأحمران : الخمر والخم (التبريزي - شرح المقصورة ٤٧) ، فَرَّادًا قلت الأحامرة - على الجمع -
ففيها الخمر والخمر من الطيب . (نوادر أبي سحر ٢٧٣/١) .

ويلفظ هنا أن « أبا البلاد » صلف الملقب على الجمع ثم أخبر عن إجماعين بلفظ الاثنين . والعرب
تفضل ذلك

٤- في ط : [فَرَّادُهُ يَعْجِبُ] .

٥- يراد بالأسود هنا اللون ، والأسود من اللونين حَقِيقًا .

وراد : ناظر ، من رَأَى إليه يَنْزُرُ إِذَا أَحَامَ إِلَيْهِ النَّظَرُ . واقترب بالكسر : الدهاية والأمر العجب ، وبالفهم
فعل الغفل من كبر أو حزن أو مرض .

٦- زاد في ط [لَأَشْكُ] مأجور . والمراد بالرسالة هنا : رسالة ابن القنارح إلى أبي البلاد .

٧- في ط [يَتَقَبَّلُ] بهاء مثناة .

وَفَرَّقَتْ فِي أَمْوَاجٍ يَدْعُهَا^(١) الزَّاخِرَةَ ، وَعَجِبْتُ مِنْ اتِّسَاقِ عَقِيدِهَا الْفَاخِرَةِ ؛
وَشَلُّهَا شَفَعَ وَفَقَعَ ، وَقَرَّبَ عِنْدَ اللَّهِ وَرَفَعَ . وَأَقْبَضْتُهَا مُفْتَتِحَةً بِتَمْجِيدِ ، صَدَرَ
عَنْ^(٢) بَلِيغٍ مُجِيدٍ . وَفِي قَلْبِهَا رَيْنَا - جَلَّتْ عَظَمَتُهُ - أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ حَرْفٍ
مِنْهَا شَيْخٌ نُورٌ : لَا يَمْتَزِجُ بِمِقَالِ الزُّورِ ؛ يَسْتَفْرُغُ لِمَنْ أَنْشَأَهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ،
وَيَذْكُرُهُ ذِكْرَ مُجِيبٍ عَالِمِينَ . وَلَعَلَّهُ ، سُبْحَانَهُ ، قَدْ نَسَبَ لِسُطُورِهَا الْمُنْجِيَةِ
مِنَ اللَّهَبِ ، مَعَارِيضَ مِنَ الْقَيْصَةِ أَوْ النَّعْبِ . نَعْرُجُ بِهَا الْمَلَانِكَةُ مِنَ الْأَرْضِ
الرَّاكِدَةِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ وَتُكْشِفُ صُجُوفَ الظُّلُمَاءِ . بِدِلَالِي الْآيَةِ : «إِلَيْهِ
يَعْتَصِدُ الْكَلِيمُ الْعَلِيمُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»^(٣) .

ومنه الكلمة الطيبة كلها المعنوية بقوله^(٤) : «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَرَّسَ اللَّهُ
مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلَّتْهَا ثَابِتٌ وَقَرَّعَهَا فِي السَّمَاءِ .
تُزَلَّى أَكْمَلَهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا»^(٥) .

وفي تلك السطور كلامٌ كثيرٌ ، كله عند الباري - تَعْدُسُ - أَثِيرٌ . فَقَدْ
حُرسَ لِمَوْلَايَ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِذَلِكَ الشَّيْءِ : شَجَرٌ فِي الْجَنَّةِ
لِذِيهِ اجْتِنَاءٌ ، كُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهُ تَأْخُذُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيْلٍ
خَاطِ^(٦) ، لَيْسَتْ فِي الْأَعْيُنِ كَذَاتٍ أَنْوَاطٍ^(٧) . وَذَاتُ أَنْوَاطٍ - كَمَا

١ - البديع هنا بمعنى البدائع ، وهي التراتيب التي ارتفعت فوق ما هو مستوفد .

٢ - في ط : [مِنْ] . ٣ - سورة فاطر ، من آية ١٠ .

٤ - سورة إبراهيم ، آيات ٢٤ ، ٢٥ . وَالْأَكْلُ ، بِضَمِّينِ ، الْحَرُّ ، مَا يَزُكُلُ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ .

٥ - قوله تعالى : « وَلَوْعَلَّ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ مَنْ زَيَّنْتَ » . ثُمَّ أَضْيَفَ إِلَى مَعْنَى الْأَخِيرَةِ .

وَقُمْتُ فِي طَبَقَاتِ السَّابِقَةِ ، فَاسْأَلُ سَهْرًا بِهَذَا (طَيِّبَةً) لَقِيتُ إِلَى (ب) ، (ل) !

٦ - غلط : وَاسِعٌ مَبْسُوطٌ ، وَطُغَتْ الشَّجَرَةُ وَأَفْطَتْ : بَسَطَتْ ظَهْرَهَا عَلَى مَا حَوْلَهَا .

٧ - ذَاتُ أَنْوَاطٍ : شَجَرَةٌ كَانَتْ تَمْبِيهِ فِي الْخُضْلِيَّةِ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي (الْقَنْبَاءِ) « هِيَ مَرْمُوعِيهَا
كَانَتْ لِلْمَشْرُوكِينَ يَنْوُطُونَ بِهَا سُلَاحَهُمْ . أَوْ يَمْتَقِنُونَهَا ، وَبِهَا يَكْفُلُونَ حَوْلَهَا . لَسَأَلُوهُ - مَسَلُوا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَجْعَلَ لَهَا مِنْهَا فَنَاهِمٌ عَنْ ذَلِكَ وَنَوَاطُ جَمِيعِ لَوْحٍ وَهُوَ صَدْرٌ : مَعْنَى بِهِ مَا هُوَ -
وَالْفَرْخُ بِرَبِّهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ » (فِي السَّيَرَةِ : ٤ / ٨٤) . وَفِيهَا الْخُدَيْثُ .

يَعْلَمُ^(١١) - شجرة كانوا يُعظمونها في الجاهلية . وقد روى أن بعض النابيين قال : « يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » وقال بعض الشعراء :

لنا المهيمن يكفينا أعاديئنا كما وفضنا إليه ذات أنواط
والإلدان المخلدون في ظلال تلك الشجر قيام وقعود ، وبالمغفرة نيلت السعد ، يقولون . والله القادر على كل^(١٢) عزيزي : نحن وهذه الشجر صلة من الله « لعل^{*} بن منصور » ، نخبأ^(١٣) له إلى نفخ الصور .

وتجري في أصول ذلك الشجر . أنهار تُخلج^(١٤) من ماء الحيوان : والكثير يملأها في كل أوان ، من شرب منها النجاسة^(١٥) فلا يموت ، قد أرين هنالك القوت . وسعد^(١٦) من اللبن متخرفات^(١٧) ، لا تتغير بأن تطول الأوقات .

١ - الصمير هنا الشيخ : ابن القارح ، علي بن منصور .

٢ - كذا في ك ، ش . وفي بقية النسخ : [كل شيء] بزيادة شيء .

٣ - كذا في ك ، ش . وفي بقية النسخ [ونخبأ] بزيادة واو .

٤ - تخلص : تجلب ، بيت الخليل فرع النهر ، أو نهر يتصلع من نهر أمطر .

٥ - النبة : البقرة .

٦ - سعد جمع سيد - كأمير - وهو النهر الصغير ، وسيد الزهرة : نهرها الذي يقيها ، والمواد : مجارى الماء إلى النهر . وسواد البئر : مخارج مائها ومجاري عيضا .

٧ - في ز : [متخرفات] بقاء موصلة . والمتخرف : المتح . ومن الهجاز : تخرف في الكرم نوع وأصناف .

الأعلام

• - علي بن منصور :

ابن القارح - أخلص القلب بدوخلته ، ويكنى أبا الحسن ، أديب شعر ، علم أبا علي التنزيي بالشام وآل أندلس بمصر . واتصل بأبي القاسم المبرق وسنده ، ثم تنكر له في همة وله فيه جبر كبير - عاش في النصف الثاني من القرن الرابع ، والأول من الخامس .

(انظر سجع يا قوت : ١٥ / ٨٣ ط دار المأثور)

وجمافر^(١) من الرحيق المختوم : عزّ القندُرُ على كلِّ محتوم . تلك هي الراحُ
الدائمة ، لا اللئيمة^(٢) ولا الذائنة : بل هي كما قال «عَلَقَمَةُ» مفترياً .
ولم يكن لغو مقترياً^(٣) :

تشق الصداعُ ولا يوفيه صالِبُها^(٤) ولا يخالطُ منها الرأسُ قدومُ
ويعمدُ إليها . المخترف^(٥) بكرويس من العسجِر : وأباريقُ خلقت من
الزبرجد : ينظرُ منها الناظرُ إلى بَدِيٍّ . ما حَلَمَ^(٦) به «أبو الهندى»^(٧) :

- ١ - إشعقر : النهر ، قيل هو النهر الصغير وقيل هو النهر الكبير الرابع المتن .
- ٢ - يروي : [الملحة] يده جانت الروابض في ك ، وفي دس من (لغة عن نسخة أخرى) ربي
لدينا أبا (ك) فقابل عليه ما في (ل : ٢٧) .
- والذائنة العالقة ، من ذامه إذا عابه وسخره ، والندبة من ذامه يذمه ذباً وإذا ما ، عابه وذه بهرسيم .
- ٣ - المقرئ : الطالب . ويقال المقرئ : طلب الصيافة . والبيت لمنقة الفعل من حيثته المشهورة :
« حل ما طلت وما استودعت مكتوم » وهي إحدى أبيات له قال فيها ابن سلام :
- « لا بين حدة ثلاث وواقع جهاد لا يفرق بين شعر » الطبقات : ٣١ ط أوربا .
- ٤ - في ز ، ت : [صالحاً] ، تصحيف وانظر (الفتاوى : ١٣٠ / ١) .
- ٥ - في ز : [المخترف] وكانت كذلك في ت ثم صححت .
- ٦ - في الأصل والمخطوطات [حكم] ، وبهاشك : ش [حلم] ، وكذلك في ط . فأنشر (ل : ٢٧)

الأعلام

« - علقمة : بن حيدة ، شاعر جاهل من بني تميم يدعى الذي يقال له علقمة النعل ، قيل لقب
بذلك لأنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أم جندب فاستندت بها في الخيل حل روى واحد وقافية واحدة ، ثم
حكمت لعلقمة على امرئ القيس ، زويها . فطلقها ، فخلع عليها علقمة . وهو من شعراء الصالحين والناجحين .
وانظر مع (جبهة الأنساب : ٢١١) : (طبقات ابن سلام : ٣١ ، الشعر والشعراء : ١٠٧ ،
المنتظف : ١٥٢) .

« - أبو الهندي : قال أبو الفداء هنا : اسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس . وكذلك ساء المجرد
في (الكامل - رغبة الأمل / ١٦٣) .
في روي بهذا الاسم في (الشعر والشعراء - تعليق دى جويو : ط أوربا وبهاشك ص ٥٢٤ -
وفيات القضاة ٢ / ١٢١) . وسماء ابن المختار في (طبقاته ص ٥٨) والبرقي في (شرح أدب
الكتاب ص ٢٢٤) عبد الله بن عبد القدوس . وانظر (سنة اللؤلؤ : ١ / ٢٨٠) .
شعر مشهور فصيح أدرك الدولتين : قال في (الأغاني) : رأيت أحبك وأمات ذكره ، بدنه
من امرئ وقامه بسجستان وخراسان ، وشععه بالشراب ، ونسقه . وقد استمرغ شعره بصفة آخر ، وهو
أول من وصفها من شعراء الإسلام .

- رحمه الله : فلقد آثرَ شربُ القانية . ورغبَ في الدنية الدانية . ولا

ريب أنه ^(١) يروى ديوانه : وهو القائل :

سيفي ^(٢) أبا الهندى عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وصّر الزنيد
مقدمة قرا : كان وقابها وقاب بنات الماء ^(٣) أفرعها الرعد
هكذا ينشد على الإقواء ، وبعضهم ينشد :

• وقاب بنات الماء ريعت ^(٤) من الرعد •

والرواية الأولى إنشأ النحويين . وأبو الهندى : إسلامي : واسمه
« عبد المؤمن بن عبد القدوس » ، وهذا اسمان شريان . وما استشهد
بهذا البيت إلا مقاتله عند المستشهد فصيح . فإن كان « أبو الهندى »

١- ن ط [قوله] : بزيادة لاء ، والضمير هنا لاين القانح .

٢- ن ز [سيفي] : تصحيف .

٣- ن ت : [بنات البحر] ، ربما ت [الله] من نسخة أخرى .

والبيتان لأبي المصنف الشعر الإسلامي من قصيدته الحسرية المروعة . والبيت الثاني ينشد من الإقواء
وهي رواية لمجرد في (الكامل) . (ولسان العرب : مادة فعم) وأبو العلاء في (النفوس) . وقد تميم
« الموصى » أنها حصة نقد في (شرح الكامل ٦ / ١٦٣) : « كذا أنشد لسان العرب في نظم وهو
صنع ، وذلك أن قوافي كلمة هذا البيت كلها مجرورة » ثم أنشد « ففرغ لمرده » .

وهي رواية ابن سيده في (المختص ١ / ٨٥) . ويظهر أن الموصى في نسخة لرواية
(اللسان) لم يتبه الإقواء التي تحدث فيه القدماء ، ونسبهم أبو العلاء .

وبنسبة بمعنى مخطئة أو مكسوة . ولقنر : الخمرير ، أعجمي مدرب . - وقد ضبط في (ك) بالفتح والضم
: ن - ١ ، س [ضبطت] ، على البناء للمجهول . وربما حكى في من الأصل (ك)
وبهاشبا : [ريست خ] وشها في ش وقد أثبتنا قاتنونا في (ب ٢٤ : ل ٢٧) .

وفي بقية النسخ [حاشيت من الرعد] ولعلها رواية .

وقد روى ابن المنذر حين البيتين في (طبقاته ص ٥٨) بغير إقراء هكذا : « لقنر بالمرده » .

الأعلام

• - أبو المصنف : ص ١٤٢ .

من كُتِبَ وعرف حروفُ المعجم فقد أساء في الإقواء ، وإن كان بنى
الآيات على السكون ، فقد صحَّ قولُ «سعيد بن مسعدة»^(١) : في أن الطويل
من الشعر له أربعة أضرب^(٢) .

ولو رأى تلك الأباريق «أبو زبيد»^(٣) ، لَعَلِمَ أنه كالعبد الماهر أو
العبيد ، وأنه ما تشبَّه^(٤) بخير - ورضى بقليل السيئر - وهزئ بقوله^(٥) :
وأباريقُ مثلُ أعناقِ طيرٍ لا حاءَ قد جيبَ فريقتي خفيفُ
هيهات ! هذه أباريقُ ، تحملها أباريقُ . كأنها في الحسنِ الأباريقُ :
فالأولى هي الأباريقُ المروقة ، والثانية من قولهم : جاريةٌ إبريقُ . إذا
كانت تبرق من حسنها . قال الشاعر :
وغيداءَ إبريقٍ كأنَّ رُضابَها جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجر^(٦)

١ - لطويل ثلاثة أضرب : مقبوض ، (مفاعيل) مثل العروض .
و تام (مفاعيل) .
و محذوف (نمرين) حذف سبب من آخره .

٢ - فإذا بين البيت على السكون (مفعولان) بالتثنية . كان الضرب الرابع اسناداً إليه .
٣ - في ط : [أبو زيد] وهو خطأ ، انظر الأعلام .
٤ - في ش : [نبت] ، وفقاً . وقد نسبنا إلى (ج : ٢٧) من حديث الشاعر ، إذ لا نعلم
أنه اطبع على نسخة الشافعي ، أو أنشأ إليه !
٥ - البيت لأبي زيد الخليل ، وأخفيف قريب من كتاب أبيس فليظ .
٦ - أسل الخجر والتجارة والاتجار في البيع والشراء ، ثم غلب الشاعر على التماس

الأعلام

• - سيبويه بن سفة : أبو الحسن . الأندلس الأصيل ، من أكابر أئمة النحويين البصريين ،
ويعتبر أعلم من أنشأ عن سيبويه ، ولقدك علوه طريقاً إلى (الكتب) مات في صدر القرن الثالث .
(غزة الألبان لابن الأثير ١٨٤ - أخبار النحويين للبرقي ٤٩) وأعلام الصالح والشمس .
• - أبو زيد الطائي : هو في الأعلام (ط ب ١١ / ٣٤) انتشر بين حربة ، وقد ضمت ابن
سلام (١٣٢) حربة بن المغيرة : جامل ، أدرك الإسلام ولم يسلم . وكان دهر الزيد بن عفة زل العفة
نبتان . وقد ذكر الصيرفي في تاريخه أن الوليد لم يزل به حتى أسلم في آخر إمامته وحسن إسلامه . وهو
من شعراء (الصالح والشمس) .

والثالثة ، من قولهم : سيفٌ إبريقٌ ، مأخوذٌ من البريق . قال ابنُ
أحمرٍ :

نقلتُ إبريقاً وعلقتُ جَعْبَةً لَتَهْلِكَ حَيًّا ذَا زُهاً وجمالٍ^(١)
ولو نظر إليها «علقة»^(٢) «لَبرقَ وَلَرقَ»^(٣) ، وظنُّ أنَّه قد طُرِقَ^(٤) . وأين
براهما المسكينُ «علقة» وعلقه في نارٍ لا تَغيِّرُ^(٥) ، ماؤها للشارب وغيره^(٦) .
ما «أَبْنُ عَدَّة» وما قَريقه ؟ خَيسِرٌ وكَيسِرٌ لإبريقه ! أليس هو القائلُ^(٧) :
كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظِيٌّ بَرَابِيْعٍ مَجْلُلٌ بِسَبَا انْكَثَانٍ مَقْنُومٍ
أَبْيَضُ أَبْرَزُهُ لِلْفُحِّ رَاقِبُهُ مُقْلَدٌ قُضِبَ الرِّيحَانِ مَقْنُومٌ
نَظَرُهُ إِلَى ثَلَاثِ الْأَبَارِيْقِ - خيرٌ من بَنُو الكَرَمَةِ العاجِلِيَةِ : ومن كلِّ رِيْقٍ

١- رواية (اللسان) :

تلقى إبريقاً وأظهر جملة ليلك سياً ذا زُهاً وجمالٍ
وروى في س : ن : [ذا زُهاً وجمالٍ] براه مسلة ، وجاه فليقة معجزة - تصحيف .
والزُها : الكثرة ، وأصل الجامل : القاطع من إيشال .
٢- برق يبرق برة ، كلفح : تخير يدهش فلم يصير . وكسمر : ظهر ، والشيء : لمع .

٣- طرِق الرجل : حل البناء لمسيه : خشف فقه .
٤- دار الفيت الأرض يثيرها : سقها ، وفاهيم الله بمطريه يبرم سقهم ، وفنه يثيره فقه .
٥- البرقة شدة قوة الحر ، وأبر صغره أسماء من الفيت : والرفير : الله الغل .
٦- البيت من مهية «علقة» : « حل ما علت وما استوعبت مكثوم »
وقعت لأملة سهو بعد (مجل) في طين : الرابعة ، فقلها السند نصر الله في (ل : ٢٨) فاضل !
والسبا : مرضة فرغيا لغير قيس ، من مياثب - والصح بالكسر : الشمس وادولها - والراقب :
الحارس كالرقب - ومقنوم : مطيب بالرائحة الزكية ، وأصله من أقم الإناء ملاء ، ومن الطيب
فلاناً : ملاء تلياً شيه . وقد جاءت في ز : [مقنوم] - تصحيف ، والبيت من شواهد الصامل والشاحج
!!! والمصالح ٨٣ / ١

وانظر في الغني : (تهلل الألفاظ لا ين السكت : باب صفة الشمس ٢٨٨)
٥- ابن أحمر : حمز ، من بني فراعين بن من الباعل وكان أعور - انظر حديث (الففران) عن
هوزان قيس ، ص ٢٣٧ - يده رجل مسهم قد هبت فيه . قيل إنه عمر تسعين سنة وسن يث فسات
(الشعر والشعراء ٢٠٧ المثلث واغتنف ٢٧) ومومن شعراء (الصامن والشاحج) .
٥٥- «علقة» : بن عبدة الفحل : ص ١٤٢ .

صَيَّنَتْهُ هَذِهِ النَّارُ الْخَادِعَةُ ، الَّتِي هِيَ لِكُلِّ شَعْمٍ جَادِعَةٌ .

ولو بصراً^(١) بها «عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ» ، لَشُغِلَ عَنِ الْمُدَامِ وَالْعَصِيدِ : واعترف
بأنَّ أبا رَيْقٍ مُدَامِهِ ، وما أَدْرَكَ مِنْ شَرْبِ «الْحَبِيرَةِ» * * * وَنِدَامِهِ^(٢) . أَمْرٌ
هَبْنُ لَا يَعْلَمُ بِنَابِتٍ مِنْ حَمِصِيصٍ ، أَوْ مَا حَقَّرَ مِنْ خَرَبِ عَيْصٍ^(٣) .

وَكُنْتُ «بِمَدِينَةِ السَّلَامِ» * * * فَشَاهَدْتُ بَعْضَ الْوَرَّاقِينَ يَسْأَلُ عَنْ
قَافِيَةٍ «عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ» الَّتِي أَوْلَاهَا :

بَكَرَ الْعَاذِلَاتُ فِي غَلِيصِ الصَّبْرِ ح. يَعَاتِبْنَهُ أَمْ! تَسْتَفِيقُ^(٤)

(١) - بصريه ، من باب كرم وفتح : صار مصراً

٢ - الشرب ، بالفتح : التزم يشربون ويحتمون على الشراب ، - شرب كدرب وراكب -
والغلام ، كالتعاضد والنداء : ح. نعيم يعوريق الشراب .

٣ - حمصيص ، محرمة ، وقد تشدد فيه : بقلة وملكة حاملة ، واحداً بها .

وشر عيصيص : هنة تراهي في الزلل ، وبه قرأ الحديث : « إن نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله
من خر عيصيصه » .

٤ - رواية المتن في الأصل (ك) :

بَكَرَ الْعَاذِلَاتُ فِي غَلِيصِ الصَّبْرِ يَقُولِينَ لِي أَلَا تَسْطِيقُ ؟

وَبَهَانَتْ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي : (يَمَاتِبُهُ أَمَا - ع) أَيْ نَسِيتُ ، فَتَقْتَضِيهِ إِلَى الْمَتْنِ لِتِلْكَ الْعَاذِلَاتِ
فَنَقَلْنَاهَا فِي (ب : ٢٦ ، ل : ٢٩) ! وَرَوَايَةُ (الْأَخْفَى) وَفِي (شعراء الجاهلية ، السبعاء النضرية) :

بَكَرَ الْعَاذِلَاتُ فِي وَضَحِ الصَّبْرِ يَقُولِينَ لِي أَلَا تَسْطِيقُ ؟

وَعَدُوا بِالصَّبْرِ يَوْمَ فُجَاعَاتٍ ثَمِينَةٍ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

« الْأَعْلَامِ »

« - عدى بن زيد : بن حماد ، العبادي . من بني زيد مائة بن تميم - الشاعر الجاهلي العنبراني
المشهور . كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف ، فلان لسانه وسيل منقته . (طبقات ابن سلام ٣١ -
الشعر والشعراء : ١١١ ، الأغاني ب : ٢ / ٩٧ بعض الشعراء : ٢١٩) وشعره : الصاحل والشاحق
* * - الحيرة - مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة ، كانت تسكن سينت : حرب في الجاهلية بنو نصر
ثم بني تميم . (بلدان باقوت) .

« * * - مدينة السلام : بغداد ، عاصمة العراق بناها المنصور سنة ٩١٥ هـ . (معجم البلدان ١٠٢٠٥) .

ودعا بالصَّبوح فَجَرَأَ فجاءت قَبْنَةُ في يَمِينِهَا لِمِرْقُ
 وزعم الوراقُ أن «ابنَ حاجِبِو النعماني» سأل عن هذه القصيدة
 وعُليبت في تَسخُّرٍ من ديوانٍ «عدي» فلم تجب. ثم سمعتُ بعد ذلك رجلاً
 من أهل «أسترباذ» يقرأ هذه القافية في ديوان «الميداني». ولم تكن
 في النسخة التي في^(١) دار العلم.

فلما «الأقْبِشِرُ»^(٢) الأسدي *** فإنه مَنَى بقاشِر^(٣) : وَشَقَى إلى يوم
 حاشِر : قال ولعله سيندم . إذا تفرَّغَ الأدم^(٤) :
 أَفَنَى يَلادى وما جَمَعْتُ من نَسَبٍ قرعُ القَوَاقيرِ^(٥) أَفَوَاةُ الأَبَارِقِ
 ما هو وما شربُه ؟ تَقَفَّضْتُ في المَخائِنِ^(٦) آرابُه . لو عَايَنَ تلكَ الأَبَارِقِ

١ - سقطت [ق] من مَن ش ، ذ ، ت ، وأضيفت بين الأسطر الخيعتين .

٢ - ق ن : [الأقْبِشِر] بقاء موصلة ، وليست طرية - تصحيف .

٣ - القاشِر والقاشور من التَّحِيل : الجأى في آخر الخلية ، واستعمل التَّحِيلُ في التَّخْفِرِ والتَّخْوِمِ .
 وقد (لواذرب محل) : ويقال عام أقشر ... إذا كان جدياً . وكذلك سنة قشرا (١ / ٦٠)
 والقاشِر : الجُنس ، ويلاحظ فيه مع الجمع معنى القسيق .

٤ - تفرى الأدم : تشقق الجلد .

٥ - ق ن : [القَوَاقير] وبهاش : قواقيز ، من الألفى . وهي رواية الأصل (ل) . والقواقيز
 الكؤوس الصغار ، ج قزونة . ولبيت من شواهد النجاة في أعمال المصير . (معنى الجيب ، القاعة
 ٧٨١) والمقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية للمصنف طبع في ١٢٠٠ / ٥٠

٦ - كذا في الأصل ، وهي الغفيا . ويمكن أن تقرأ [الخانية] كذا في (ش) وهي المذخور أوجبت اخبر
 راجع على ما هنا ، حاشى (ل : ٢٩) وتأمل !

الأعلام

- ٥ - ابن حاجب النعماني : هو أبو الحسن عبد العزيز بن إبراهيم . قال ابن التيم : لم يشاهده
 أحسن من غزاة كعبه ، وكان إليه ديوان السواد أيام سز الفرية . (الفهرست طاروب : ١٢٤) .
- ٥٥ - أسترباذ : من أعمال طبرستان ، بين سارية وبرجلان . (بلدان ياقوت ١ / ٢٤٢) .
- ٥٥٥ - الأقْبِشِرُ الأسدي : هو الخيرة بن الأسود - وقيل ابن عبد الله بن أسود - من بني أسد
 ابن خزيمة بن مدركة . وكان من مجان الكوفة وأصحاب الشرب . - هجاء عبد الله - و . مصعب بن
 الزبير (الغفر) معجم الشعراء : ٣٦٩ . الشعر والشعراء : ٥٤٢ ، جسر : ١٨٥٠

لَا يَبْقَى أَنَّهُ فَتَنَ بِالْغُرُورِ ، وَسُرَّ بِغَيْرِ مُوجِبٍ لِلرُّوْرِ . وَكَذَلِكَ «إِبَاسٌ» بِنُ
الْأُرْتِ ، إِنْ كَانَ حَجَبٌ لِأَبَارِيْقٍ كَأَوْرَ الطُّفِّ ، فَإِنَّ الْحَوَادِثَ بَسَطَتْ لَهُ
أَقْبَضَ سَكَّتْ . فَكَانَهُ مَا قَالَ :

كَأَنَّ أَبَارِيْقَ الْمَدَامَةِ بَيْنَهُمْ إُوْرُزٌ بِأَعْلَى الطُّفِّ عُوْجُ الْحَنَاجِرِ^(١)
وَرَجِمَ اللَّهُ «الْعَجَّاجُ» ، فَإِنَّهُ خَلَطَ فِي رَجَزِ الْمَلِيْطِ^(٢) وَالسَّجَّاجِ^(٣)
أَيْنَ إِبْرِيْقُهُ الَّذِي ذَكَرَ فَقَالَ ٢ :

قَطَّطَ مِنْ أَعْنََابِهَا مَا قَطَّطَا فَغَمَّهَا سَوَّكَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَوْدَفَا
صَهْبَاءَ ، خُرْطُومًا ، عُقَارًا ، قَرَقَفًا فَسَنَ فِي الْإِبْرِيْقِ مِنْهَا نَزْفًا^(٤)
مَنْ رَصَفِيْ نَارَعَ سَيْلًا رَصَفًا

-
- ١ - عروج : جمع أخرج وخرجناه ، من العوج وهو الميل والانحناء - والطف : الشاطئ أو ما
أشرف من الأرض ، جسمه طفيف . وفي (اللسان) : أنشد أبوحنيفة لشجرة القسي :
كَأَنَّ أَبَارِيْقَ السَّهْلِ عَشِيَّةَ إُوْرُزٍ بِأَعْلَى الطُّفِّ عُوْجُ الْحَنَاجِرِ
٢ - المليط : الكثير ، ورجل عظيم : غليظ ، ولين مليط : رائب عاثر جداً .
وكل ذلك من فحائل (علايق) وليس بأصل ، لأنه لا تتوالى أربع حركات في كلمة واحدة .
(انظر اللسان مادة مليط ، وفتح الفقه للشمسي ، باب التمتص ص ٥٧٨) .
٣ - العجاج بالفتح ، كسماب : القين الذي يرقى بالماء ، قيل هو الذي تلهى لمن وشكاه ماء .
٤ - هذه الفرسا في النظم الأول ، نقنها اليد نصر الله في (ل ٢٠) من ضحى التريجة . تأمل !
ورواية (تهذيب إصلاح المتنق : ١ / ١١٨)

• قصفت من أعنابه ما قططوا

• فتن في الإبريق منها نزفا

غضا : أخفها مبالغة - واستوف : استعطر . والصهباء : مائها حمرة أو شقره . والخرطوم :
السريسة الإسكار - والقرنف : الباردة . ومن طيه : الماء صبه ، قليل : أيسره إرسالا فينا ؟
وعلى رواية (التهذيب) يقال : شن الماء على شرابه : إذا فرقه عليه ، ومن طليم للدارة : إذا فرقها .
والقرنف ج نزفة ، وهي القليل من الماء أو الخمر . والرصف : الحيلة مرصوف بنسبها إلى بعض .
قال الجاهل : أراد السجج أنه صب في إبريق الخمر من ماء رصف وهو الذي ينحدر من الجاهل على
الصخر فيصفو . وتكرار الرصف - المنزعة - أمسى له وأرق . وانظر (تهذيب الألفاظ لابن السكيت -
٦٥٦ بيروت) .

الأعلام

• - إياس بن الأرت : هو إياس بن خاله الطائي الأرت ، غلب على أبيه هذا القرب من قرعة
وهي حبة في اللسان . شاعر حساسي . (انظر أحشاش ط بولاق ٣ ، ٣٨ ، ١٣٧ وبغزاة الأدب ٣ /
٥٦٧ ، ٥٦٩) .

• - العجاج أبو روية : عبد الله بن روية ، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ويكنى -

وكم على تلك الأنهار من آتية زبرجد محفور ، وياقوت خُلق على خلق
القور^(١) ، من أصفر وأحمر وأزرق ، يُحَال إن لمس أحرق ، كما قال
«الصنوبري» :

تَحِيلُهُ ساطعاً وَهَجُهُ فَتَأْبَى الدُّنُو إِلَى وَهْجِهِ

وفي تلك الأنهار أوانٍ على هيئة الطير السابحة ، والغائبة عن الماء السائحة ؛
فمنها ما هو على صور الكركي^(٢) ، وآخر تُشاكل المكاكي^(٣) ؛ وعلى خلق
طواويس وبيط ، فيحضر في الجارية وبعض في الشط ، ينبع من أفواهاها
شرباب ، كأنه من الرقة سراب ، لو جرع جرعة منه الحكيم^(٤) ، والحكم
أنه^(٥) القور القيدي .

— أبا الشتاء يعني أبت . من أشهر الرجاز ، وهي الملاج يقول : • حتى يبع عندما حبيبا •

(طبقات ابن سلام ١٤٨ ، الشعر والشراء ٣٧٤ ، وشراء الساحل والشاطئ) .

١ - القور : الطباء ، لا واحد لها من لفظها ، ويقال مفردا فائر .

٢ - الكركي : ج كركي - بالفهم - طائر كبير طويل العنق والرجلين ، أبيض الثوب ، قليل
الدم ، يأوي إلى الماء أحياناً . والمكاكي : ج مكلة - كزلفو - طائر صغير مرق بألف الريف .

٣ - ن ت ط : [بأنه] .

٤ - كلما في ك ، ش ، بجميع واصل وإنساخته الفهم . وقد بقيت النسخ [كل وصف الفهم] .

نقلنا إل منشد (ل : ٣٠) في أين له هذه النسخ الأخرى ؟

الأعلام

• الصنوبري : أبو بكر أحمد بن محمد القسي الحلبي . توفي سنة ٥٣٤ هـ (الشذرات ٢/ ٢٣٥)

— ترجم له ابن النديم ، بين جماعة الشعراء المحدثين - انظر (الفهرست ١٦٨ ط أوروبا ، ونحاس النحاس

١١٠ ، وفیات النبیات ١ / ١٢١ وانظرهما • حلب • في بلدان ياقوت) .

• • • اخنكي : أبو نواس ، الحسن بن هاني الشاعر اللباسي المصير ، عرف بالعجز ، وهو
أشهر وصف الحمر ، وصاحب منتخب الدول عن انتفاع التصانيف بأكلة الأطلال والدم - توفي بغداد
في خلافة الأمين سنة ١٩٥ أروسة ١٩٦ (انظر الشعر والشراء : ٥٠١ ، وثيقة الأبن : ٩٦ ،
طبقات ابن المعتز ٨٧ ، وفیات ابن خلكان ١ / ١٣٥ ، وتاريخ بغداد ١٣٦/٧ ، وشراء قضاة والشاطئ .

٣- محشر بن القارح

فيقول - أنطقه الله بكلّ فضلي ، إن شاء ربه أن يقول - : أنا أقص عليك قصتي :

لما نهضتُ أنتفض من الرّيم^(١) ، وحصرتُ حرصاتِ القيامة -
والحرصاتُ مثلُ العرصات^(٢) ، أبليتُ الحاء من العين - ذكرتُ الآية^(٣) :
« تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ .
فَاصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا » فطالَ عَلَى الْأَمْدُ ، واشتدَّ الظَّمأُ وَالْوَمْدُ - والْوَمْدُ :
شدةُ الحرِّ وسكونُ الرّيح^(٤) ، كما قال أخوكم « النّميرى » :

١- من آية ٣٧ : سورة الفاطر .

٢- كذا في الأصل ، وفيه ز ، ش ، ت : [الأيمان] وكنت آفرتها في الطبقات السابقة ، فانظر (ب : ١٠٤) وهاش (ل : ٩٠) .

٣- سورة البقرة آية ٢٨١ .

٤- الرّيم ، القبر . - العرصات ، والأعراس والبراس : جمع عرصة ، وهي ساحة الدار أو كل بقعة ليس فيها بناء .

٥- سورة الماعز ، آية ٤ : « . »

٦- يمثل هذا ، فسر « أين السكيت » في (تهذيب الألفاظ ٣٨٥) .

الأعلام

« - النّميرى ، الرامى : ص ٢٣٨ .

كَأَنَّ بَيْتَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِينِهَا جَلَاءَ طَلٌّ وَقَيْظٌ لَيْلُهُ وَزَيْدٌ^(١)
 وَأَنَا رَجُلٌ بَيَّافٌ^(٢) ، أَيْ سَرِيعُ الْمَطَسِ . فَاثْتَكُرْتُ ، فَأَرَيْتُ أَمْرًا
 لَا يَوْمَ لَمَلِي بِهِ . وَلَقَيْتِي الْمَلَكُ الْخَفِيفُ . عَا زُبَيْرٌ^(٣) لِي مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ :
فَوَجَدْتُ حَسَنَاتِي قَلِيلَةً كَالْتَنَفَّاسِ^(٤) فِي الْعَامِ الْأَرْمَلِ - وَالنَّفْسُ الرِيَّاضُ ، وَالْأَوَّلُ
قَلِيلٌ^(٥) الْمَطَرُ - إِلَّا أَنَّ التَّوْبَةَ فِي آخِرِهَا كَتَابَهَا يَصْبَاحُ أَبْيَا^(٦) . رُفِعَ لِسَالِكِ
السَّبِيلِ . فَلَمَّا أَقَمْتُ فِي الْعَرُوفِ زَهَاءَ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ . وَنِجْتُ فِي الْعَرَقِ مِنْ
الْمَرَقِ^(٧) . زَيْتٌ لِي النَّفْسُ الْكَاذِبَةُ أَنَّ أَنْعِمْ أَبْيَانًا فِي « رَضْوَانٍ . عَا زَيْنِ
الْجَنَانِ » حَقِيلَتُهَا فِي وَزْنٍ :

فِيهَا تَبَلُّو مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَرِفَانٍ^(٨) .

وَوَسَّيْتُهَا « رَضْوَانٍ » . ثُمَّ ضَانَكْتُ^(٩) النَّاسَ حَتَّى وَقَعْتُ مِنْهُ بِحَيْثُ
 يَسْتَعِ وَيَزِي ، فَمَا حَقَّلَ بِي . وَلَا أَظُنُّهُ آيَةً لَا أَقُولُ^(١٠) .

-
- ١ - البيت « قرأه النجدي » يصف امرأة . ورواية « المبرد » في (الكامل - انظر ربيعة الأمل ١٧٨/١) ظل (النفران) وأنتهده (اللسان والاحتاج - مادة ود) : « إذا اجتمع من قبحاً ليلة ود » .
 قال : ليلة ود بغير هاء ، شديدة الحرارة - واجتماع بمعنى كسفتين وسرعتين .
 وقد جاءت في طبعنا الثالثة : « ليلة ود » وليس الأصل . وثقبتا (ب : ١٠٥) !
 ورويت في الطبعة الرابعة إلى : « ليلة ود » فأنظر (ل : ٩٠) .
 - ٢ - حاف حيف حيفاً فهو حائف ، والمهيف مبالغة منه : عشت عطفاً شديداً .
 - ٣ - زبير : كتب ، والزبير الكتابة .
 - ٤ - ألفاً : القطع المنفردة من البيت ، والرياض الصغيرة .
 - ٥ - في شرحه : [التلليل المطر] . في كتب اللغة : يقال عام أول ، أي قليل الخمر والشفق .
 وجاء في (نوادر أبي سهل) : ويقال عام أول وأنتهده وأنتهده إذا كان مجدياً (١٠/١) .
 - ٦ - الأيل والأيل والأيل : الرقاب .
 - ٧ - كذا في المخطوطات . وفي ط : [وثقت من الفرق في الفرق] .
 - ٨ - تمام البيت ، وهو « لاسم القيس » : « وسم عفت آياته منذ أزمان » .
 - ٩ - ضانكت : زاحمت .
 - ١٠ - آيه له ، وبه ، يأبه لها - كفرح ومنع : فخر له . ولا يذره له : لا يفتت إليه .

فَغَبِرْتُ بِرَمَّةٍ ، نَحْوَ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ أَيَّامِ الْفَنَاءَةِ ، ثُمَّ عَمِلْتُ أَيْبَانًا
فِي وَزْنٍ :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعْتُ مَا بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ جِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانًا^(١)
وَوَسَمْتُهَا بِـ « رِضْوَانٍ » ثُمَّ دَنَوْتُ مِنْهُ فَقَعَلْتُ كَفْعِلِ الْأَوَّلِ ، فَكَلَّى
أَحْرُكُ « ثَبِيرًا » ، وَالْتَمِسُ مِنْ [الْفِضْرَمِ] غَيْرًا . - و [الْفِضْرَمُ]^(٢)
تُرَابٌ يُشَبِّهُ الْجَصَّ^(٣) - فلم أَزَلْ أَتَتَّبِعُ الْأَوْزَانَ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُوسَمَ بِهَا
« رِضْوَانٌ » حَتَّى أَقْنَيْتُهَا ، وَأَنَا لَا أَجِدُ عَنْدهُ مَنُونَةً ، وَلَا ظَنَنْتُهُ فَهَمٌ مَا أَقُولُ .
فَلَمَّا اسْتَقْصَيْتُ الْفَرْصَ فَمَا أَنْجَحْتُ^(٤) ، دَعَوْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا رِضْوَانُ ،
يَا أَمِينَ الْجَبَّارِ الْأَعْظَمِ عَلَى الْفَرَادِيسِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ نِدَائِي بِكَ وَاسْتِغَاثَتِي
إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ رِضْوَانُ ، وَمَا عَلِمْتُ مَا مَقْصِدُكَ ، فَمَا
الَّذِي تَطْلُبُ أَيُّهَا الْمُسْكِينُ ؟ فَأَقُولُ : أَنَا رَجُلٌ لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْوُأَابِ^(٥)
- أَيْ الْعَطَشِ - . وَقَدْ اسْتَطَلْتُ مَدَّةَ الْحِصَابِ ، وَمَعِيَ صَكٌّ بِالتَّوْبَةِ ، وَهِيَ
لِلذُّنُوبِ كُلِّهَا مَاجِيَةٌ ، وَقَدْ مَدَحْتُكَ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ وَوَسَمْتُهَا بِأَسِيكِ . فَقَالَ :
وَمَا الْأَشْعَارُ ؟ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ قَطُّ . إِلَّا السَّاعَةَ . فَقُلْتُ : الْأَشْعَارُ

١ - البيت جريح ، وهو مطلق قصيدته التنبؤية التي حباها « الأخطال » انظروا في ديوانه
(ص ٩٣ ط الصاوي) .

٢ - في النسخ كلها : [الْفِضْرَمِ] بين مهلة ، وقد رسمنا إلى كتب اللغة فلم نجدنا ،
فَاتَّهَمْنَا فِي [فِضْرَمِ] بَالْتَيْنِ وَالْفَسَادِ الْمُسْتَجْتَبَيْنِ . وهو : مَا تَشَقُّقٌ مِنْ مَلَأِ الْعَيْنِ الْأَحْمَرِ ،
وَالْجِلْسِ . وَبِمَا تَطْبَعُ بِرِيوت ، جَاءَ حَرْفُهُ فِي الْقَضَائِرِ (ب : ١٠٧ ، ل : ٩١) .

٣ - الْجِلْسُ يَفْتَحُ الْجِلْمَ وَكَرِهًا ، مَا تَقَالُ بِهِ الْبَيْتُ مِنَ الْكَلَسِ .

٤ - أُنْبِجَ الرِّبِيلُ : سَارَ ذَا لِيْلَاحٍ ، وَطُنِجِمَتْ سَاحِلُهُ : قَضَيْتُ .

٥ - لَابِ الرِّبِيلِ يَلُوبُ لُوبًا وَلُوبًا وَلُوبَانًا : عَطَشٌ ، وَقِيلَ : حَامٌ حَوْلَ الْمَاءِ وَهُوَ لَا يَمْلَأُ
إِلَيْهِ .

الأعلام

٥ - تَبْر : اسم لعدة جبال بظاهرمكة .

(مسجع الكهري ٢٣٥/١ ط لجنة التأليف)

جَمَعَ شِعْر ، والشعرُ كلامٌ موزونٌ تَقَبَّلَهُ الْفَرِيزَةُ عَلَى شَرَايِطَ ، إِنْ زَادَ أَوْ
نَقَصَ أَبَاتَهُ الْجِسْ ، وكان أهلُ العاجِلَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى الْمَلِكِ وَالسَادَاتِ ،
فَجِثْتُ بِشَيْءٍ مِنْهُ إِلَيْكَ لَعَلَّكَ تَأْذُنُ لِي بِالدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ^(١) فِي هَذَا الْبَابِ ،
فَقَدْ اسْتَطَلْتُ مَا النَّاسُ فِيهِ ، وَأَنَا ضَعِيفٌ مَنِينٌ^(٢) ، وَلَا رَيْبَ أَنَّي مِمَّنْ
يَرْجُو الْمَغْفِرَةَ ، وَيَصِحُّ لَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ : إِنَّكَ لَنَبِينٌ^(٣) الرَّأْيِ !
أَتَلْمَأُ أَنْ أَكُنَّ لَكَ بَغِيرٍ إِذْنٍ مِنْ رَبِّ الْبِرَّةِ ؟ هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ ! «وَأَنَّى لَهُمُ
التَّوَلُّؤُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»^(٤) .

فَتَرَكْتُهُ ، وَانْتَصَرَفْتُ بِأَمَلٍ إِلَى خَازِنٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ : «زُفَرٌ» فَعَمِلْتُ
كَلِمَةً وَوَسَّخْتُهَا بِاسْمِهِ فِي وَزْنِ قَوْلٍ «لَيْدٌ» :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُغَمَّرَةٍ^(٥)
وَقَرَّبْتُ مِنْهُ فَتَأَشَّدْتُهَا ، فَكُنِّي إِنَّمَا أَخْطِيبُ رَكُودًا^(٦) صَمَاءَ : لَأَسْتَنْزِلَ
أَبُودًا عَصَاءَ . وَلَمْ أَتْرَكْ وَزْنَ مُقْبِدًا وَلَا مُطْلَقًا يَجُوزُ أَنْ يُوسَمَ بِهِ «زُفَرٌ» إِلَّا
وَسَمَّيْتُهُ بِهِ ، فَمَا نَجَّعَ وَلَا غَبَّرَ . فَقُلْتُ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! كُنَّا فِي الدَّارِ الذَّاهِبَةِ
نَتَقَرَّبُ إِلَى الرَّئِيسِ وَالْمَلِكِ بِالْبَيْتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثَةِ ، فَتَجِدُ عَنْدهُ مَا نَحِبُّ ،

١ - قوله [إلى الجنة] يريد في ذلك ، ش ، دون بقية النسخ .

٢ - من الحمل : قطعه ، والثالثة : هزلاً من السفر ، والرجل : أضمه . والثمة : الضم
والقوة (ضد) والنبين : الضعيف والقوى (ضد) . والأول هو المتن هنا .

٣ - النبى والنبائة : ضعف الرأى ، والنبين : الضعيف الرأى .

٤ - من آية ٥٢ ، سورة سبأ . والتناؤش : التناول ، أبدلت فيه الشين واللام (كتاب
الإبدال ٢/٢٣٣) وهو أيضاً المتناول بالرمح .

٥ - البيت من شواهد المعنى (٨٠٦) وشواهد الكشف (١٠٦/١) وروايته فطر الأول ،
يسر ابني .

٦ - الرأكة : كل ثابت في مكانه ساكن ، وجلة ركيد : ثقلة راكدة متلعة .

وقد نَظَمْتُ فَيْك ما لو جُمِعَ لَكَانَ دِيواناً ، وَكَانَتْكَ ما سَمِعْتُ لِي زَجْجَةً^(١) -
 - أَى كَلِمَةٍ - فَقَالَ : لا أَشْعُرُ بِالَّذِي حَمَمْتُ^(٢) - أَى قَصَدْتُ وَاحِسَبُ
 هذا الذى تَجِيئُنِي بِهِ قُرْآنَ «إِبْلِيسَ» المارِدِ ولا يَنْفُتُ عَلَى الملائكة ،
 إِنِما هُوَ لِلجانِ وَعَلَمُوهُ وَلَكِنَّ «آدَمَ» فما بُغِيْتُكَ ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ ما أُرِيدُ ،
 فَقَالَ : وَاللَّهِ ما أَقْدَرُ لَكَ حَلِي نَفْعَ ، ولا أَمْلِكُ لِيَخْلُقَ مِنْ شَفْعَ ، فَمَنْ أَى
 الأُمِّ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ أُمِّ «مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» .
 فَقَالَ : صَلَّيْتُ . ذَلِكَ نَبِيُّ الْعَرَبِ ، وَمِنْ تِلْكَ الْجَهَّةِ أَتَيْتَنِي بِالْقَرِيعِ ،
 لِأَنَّ «إِبْلِيسَ» اللَّعِينَ نَفَثَهُ فِي إِقْلِيمِ الْعَرَبِ فَتَعَلَّمَهُ نِسَاءُ وَرِجال . وقد وَجَبَ
 عَلَى نَضْحِكَ . فَعَلَيْكَ بِصَاحِبِكَ لَعَلَّه يَتَوَصَّلُ إِلَى ما أَبْتَغَيْتَ .
 فَبَيْسْتُ مِمَّا عِنْدَهُ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَلَّلُ الْعَالَمَ ، فَإِذا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ نُورٌ
 يَتَلَأَلُ ، وَجِوَالِيهِ رِجالٌ تَأْتَلِقُ مِنْهُمْ أَنْوار . فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَقِيلَ :
 هذا «حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» «صَرِيحٌ وَشَحِيحٌ» ، وَهُوَ لاهُ الدِّينِ حَوْلَهُ

١- زيم : ليس . والزججة : التهمة والكلمة الخفية . وفي (نوادير أبي سحر : ١٠٩/١) :

ويقال : ما سمعت من فلان لُئمة ، ولا زُامة ، ولا زججة .

٢- حم : قصد ، ويقال : حم حبه ، أى قصد قصده .

الأعلام

« - حمزة بن عبد المطلب : ابن هاشم بن عبد مناف من الصحابة الشراء (الإصابة ١ / ٣٥٤ ،
 منح المصنف لابن سيد الناس : ٢٣ ضبوط) ويكنى أبا حمزة وأباً يعل ، رما ابنه - شهيد بدره وأبيل
 فيها بلاه حسناً ، ثم شهيد أحدًا ، واشتبه فيها ، فى النصف من شبان ، فى السنة الثالثة لهجرة ، قتل
 غلام حبش يقال له «وشحن» وبيات « هند بنت حبة » فسلطت مجننه ولا كت كبد ، واقتدت من أذنيه
 وأنفه ثلاثه ، وأطعت حلالها وحشياً .

انظر (السيرة ١٦/٣ - ٥٩ - الطبرى سوانح سنة ٥٣ - الاستيعاب ١ / ١٠٢) .

« - وشحن : ابن حرب ، من مزيان مكة ، كان مولد لطمية بن على ، وقيل لجبر
 ابن مسلم بن على . وقد ورد بالإتحاق إن قتل « حمزة » ، فأغله على فرقة فى « أحد » ، وصوب
 إليه حربته فأثبها فى جسده ، ثم اغترمها منه ، بعد موته . ولم يقتل حتى رجع إلى مكة ، ومنها
 حرب إلى الثألف ، وأسلم بعد ذلك واشترك فى سيروب الردة ، وقُتل « سبلانة الكتاب » فكان
 يقول : قُلت غير الناس بعد رسول الله صل الله عليه وسلم ، وقد قُلت شر الناس .

(الاستيعاب ٢ / ٦٢٦ - السيرة ٢ / ٥) .

من استشهد من المسلمين في «أحد» . فقلتُ لنفسي الكَلْبُوبُ : الشعرُ عند هذا أنفق^(١) منه عند خازن الجنان ، لأنه شاعر ، وإخوته شعراء ، وكذلك أبوه وجده ، ولعله ليس بينه وبين معد بن عدنان ، إلا من قد نظم شيئاً من موزون . فعملتُ أبياتاً على منهج أبيات «كعب بن مالك» ، التي ركنى بها «حزرة» وأولها :

صفية قومي ولا تعجزى ويكج النساء على حمزة^(٢)
 وبحثتُ حتى وليتُ^(٣) منه فناديتُ : يا سيد الشهداء : يا عم رسول الله صلى الله عليه : يا ابن عبد المطلب ! فلما أقبل على بوجهه أنشدته الأبيات . فقال : وَيَحْك ! أفي مثل هذا الموضع تجشني بالمسبح ؟ أما سمعت الآبة : «لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمِيذٌ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»^(٤) ؟ فقلت : بلى قد سمعتها ، وسمعتُ ما بعدها^(٥) : «وَجُوهٌ يَوْمِيذٌ مُنْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمِيذٌ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ»^(٦)

١ - لعل البيع : راجع ورفق فيه . ونفقت السوق : قلت وراحت تجارتها .

٢ - البيت مطلع قصيدته التي يركي بها «حزرة» يوم أحد ، والخطاب فيها لأخيه و صفية بنت عبد المطلب .

وقد روى «ابن هشام» لكعب ، ثلاث قصائد أخرى - غير هذه - في وفاة حمزة (السيرة ٣ / ٢٩) .

٣ - ولأنا ولولي ، بالتخفيف ليسا : دنا منه وقرب ، وبني من غير فصل . والأول لغة قليلة الاستعمال .

٤ - سورة عبس ، آية ٣٧ . - سورة عبس ، الآيات ٣٨ ، ٤٤ .

الأعلام

٥ - أحد : جبل في شمال المدينة ، حدثت عنه وفاة «أحد» التي استشهد فيها حمزة ، وسهون من المسلمين : انظر (السيرة ج ٣ - الطبري حوادث السنة الثالثة من الهجرة - ياقوت والبيروني) .

٥٥ - كعب بن مالك : الخزرجي الأنصاري (جمهرة الأنساب ٢٤١) شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد معه المشاهد كلها إلا بدرًا وتبوك ، (الإصابة ٣ / ٣٠٢) وهو ثاني نفرين المدينة في طبقات ابن سلام ، ومن شعراء الصاعل والشاحج .

(السيرة ٢ / ٣٩ ، ٤٠ / ١٧٥ ، مجمع للشعر ٣٤٢ ، حسانة البحتري) .

وإنما قلت : مُقْتَوَى بِضَمِّ الْمِيمِ .

وإذا هناك راجزٌ يقول : تَأَوَّلْتُ عَلَى أَنِّي قُلْتُ :

يا ليلى ما ذنبُه فتأبَّيه ؟ ماءٌ رَوَّاهُ ونَصَى^(١) حَوَلَيْهِ^(٢)

فحَرَّكَتَ الياءَ في [تَأَبَّيْهِ] ، والله ما فعلتُ ولا غيرى من العرب .

وإذا رجلٌ آخرٌ يقول : ادَّعَيْتَ عَلَى ، أن الهاء راجعة^(٣) على الدُّرْسِ

في قول :

هذا سُراقَةُ للقرآن يَدْرُسُهُ والمرءُ عِنْدَ الرِّشَاءِ إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ^(٤)

أَفَمَجْنُونٌ أَنَا حَتَّى أَهْتَقِدَ ذَلِكَ ؟

وإذا جماعةٌ مِن هذا الجنس ، كُلُّهُمْ يَلْمُومَنَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ . فَقُلْتُ :

يا قوم ، إن هذه أُمُورٌ هَيْبَةٌ ، فلا تُعَيِّنُوا هَذَا الشَّيْخَ فَإِنَّهُ يَمُتُ بِكُتَابِهِ فِي

(القرآن) المَعْرُوفِ بِـ (كِتَابِ الْحُجَّةِ)^(٥) ، وإنَّه ما سَفَكَ لَكُمْ كَمًا ، ولا

أَحْجَنَ^(٦) عَنْكُمْ مَالًا . فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ .

١ - النص : ثبت سبط من أفضل المراسم ، وأحدته نصية . وإلزام : العرب . والربز : قرينان السدى . من (نولاد أبي زيد ص ٩٧ ، وشرح القرشي على الشافعية ١٢٣/١) ويرى نيسا ربي

الصباح) : ماء رواء ، وعلاء حوله .

ورواية : أبي مسهل في النولاد ٢ / ٤٩٩ ، كرواية الففران ، مع إسكان الياء في : فتأبَّيه ، سويله . وانظر (الخصائص ١ / ٣٣٢) .

٢ - في الأصل : [ادعيت على على أن] بزيادة [على] .

وبن قول : (على الدرس في قول) تبدأ نسخة ر .

٣ - البيت من شواهد « سيبويه » التي لم يذكر نالها ، ومن شواهد ابن هشام في المتن وأبي سيان في شرح التسهيل . على أن الضمير - في يَدْرُسُهُ - راجع إلى مقصود يدرس ، أي يدرس الدرس ، فيكون حائداً على المصدر المندرج عليه بالنقل المتصدي وإما لم يجر عنه مراد على القرآن ، لتلا يلزم تمدد السائل إلى الضمير وظاهره معاً . انظر (الخرافة ط السلفية ٢ / ٢) وشرح شواهد المتن ٢٠٠ . و [الرشا] ضبطها في الأصل بضم أوله ، جمع وشرة ، والأول أن تنبسط بالفتح : صفاء القلب ، أو هو ما تحرك زمني من أولادها وقد نقل ضبطنا وشرحتنا إلى طبعي بيروت (ص ١١٠) ثم (ل : ٩٥) وليس الأصل !

٤ - كتاب الحجة في القربليات لأبي على الفارسي . التلخيص (٢٣٦ / ٢) ، فزعة الألبا لابن الأتباري ص ١٨٧) . - احسن المال : قسمه إلى نفسه واحتواه .

وشغلت بخطابهم والنظر في حويرهم^(١) ، فسقط مني الكتاب الذي فيه
ذكر التوبة . فرجعت أطلبه فما جعلته . فأظهرت الوكة والجرج . فقال
أمير المؤمنين : لا عليك ، ألك شاهد بالتوبة ؟ فقلت : نعم ، قاضي
حلب وعملها . فقال : بمن يعرف ذلك الرجل ؟ فقلت : « عبد المنعم
ابن عبد الكريم » قاضي حلب - حرسها الله - في أيام « شبل الدولة » .
فأقام هاتفا يهتف في الموقف : « يا عبد المنعم بن عبد الكريم ، قاضي
حلب في زمان شبل الدولة »* ، هل معك علم من توبة علي بن منصور
ابن طالب ، الحلي الأديب ؟ فلم يجبه أحد . فأخلى الهلع والليل
- أي الرعدة - ثم هتف الثانية ، فلم يجبه مجيب . فليح^(٢) بي عند
ذلك - أي ضربت إلى الأرض - . ثم نادى الثالثة ، فأجابه قائل يقول :
« نعم » قد شهدت توبة « علي بن منصور » وذلك بأخرة^(٣) من الوقت ،
وحضرت متابته جندي جماعة من العلول ، وأنا يوشك قاضي حلب
وأعمالها ، والله المستعان . « فبينما نهضت وقد أخذت الرمي ، فذكرت
لأمير المؤمنين - عليه السلام - ما أتيتس ، فأعرض عني وقال : إنك

١ - الحوير كأمير : الجواب . تقول : كنت فسا دجج إلى حويرا . وهو أيضا الاسم من الهادرة .
٢ - لاجه النار والسم ولوجه : غيرته وسفعت وجهه ، ولاجه السفر والعطش والسم ولوجه ،
كل ذلك . ولاج والفتح : عثس . ٣ - جاء أخرة وبأخرة ، بالتحريك قيسا ، أي أخيرا .

الأعلام

- عبد المنعم بن عبد الكريم : قاضي حلب في أيام شبل الدولة ، لم نشر عليه في غصتنا لطجات
السابقة . ثم رويته في تاريخ حلب لابن العديم . قاضيا حلب في سنة ٤٢٠ هـ (١ / ٢٢٢ ط
دمشق ١٩٥١)
- شبل الدولة : أهر كامل ، نصر بن صالح بن مروان - ولد حلب سنة ٤٢٠ هـ بعد مقتل
أبيه ، وظل عليها حتى قتله جيش المصري في موقعة حاسمة على نهر العاصي عام ٤٢٩ هـ .
- (تاريخ حلب لابن العديم ، السنوات ٤٢٠ : ٤٢٩ هـ ، تاريخ ابن الأثير ٩ / ١٦٢ - أعلام
النبلاء ١ / ٢٢٦) .

لَتَرَوْهُمْ [حَدَّثًا] ^(١) مُتَمِنًا ، وَلَكَ أَسْوَةٌ بَوْلَدٍ أَبَيْكَ آدَمَ . وَهَمَسْتُ بِالْحَوْرُسِ
فَكَذَبْتُ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَغَبْتُ مِنْهُ نَغَبَاتٍ لَا ظَلَمًا بَعْدَهَا . وَإِذَا الْكَفَرَةُ
يَحْمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الْوَرْدِ ، فَتَلْبِذُهُمُ الرَّبَائِيَّةُ بِبَعْضِ نَضْطَرْمٍ نَارًا ،
فَيَرْجِعُ أَحَدُهُمْ وَقَدْ احْتَرَقَ وَجْهُهُ أَوْ يَدُهُ وَهُوَ يَدْعُو بِوَيْلٍ وَبُيُورٍ . فَطَلَعْتُ عَلَى
الْعِزَّةِ ^(٢) الْمُنْتَجِبِينَ ^(٣) فَقُلْتُ : إِنْ كُنْتُ فِي الدَّارِ الذَّاهِيَةِ إِذَا كَتَبْتُ
كِتَابًا وَفَرَعْتُ مِنْهُ ، قُلْتُ فِي آخِرِهِ : وَصَّلَ اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا [مُحَمَّدٍ] ^(٤) خَاتَمِ
النَّبِيِّينَ ، وَعَلَى عِثْرَتِهِ الْأَخْيَارِ الطَّيِّبِينَ . وَهَذِهِ حُرْمَةٌ لِي وَوَيْسِلَةٌ . فَقَالُوا :
مَا نَصْنَعُ بِكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ مَوْلَانَا «فَاطِمَةُ» - عَلَيْهَا السَّلَامُ - قَدْ دَخَلَتْ
الْجَنَّةَ مُذْدَهَرٍ ، وَإِنَّمَا تَخْرُجُ فِي كُلِّ حِينٍ يَقْدِرُهُ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً
مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ ^(٥) ، فَتُسَلِّمُ عَلَى أَبِيهَا وَهُوَ قَائِمٌ لِشَهَادَةِ الْقَضَاءِ ، ثُمَّ
تَعُودُ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا مِنَ الْجَنَّةِ ^(٦) ، فَإِذَا هِيَ خَرَجَتْ كَالْعَادَةِ ، فَاسْأَلُوا ^(٧)
فِي أَمْرِي بِأَجْمَعِكُمْ ، فَلَمَّكُنَّ تَسْأَلُ أَبَاهَا فِي .

١ - رواية الأصل : [جددا] بجمع معجمة وإن تكن نقطة الإجماع فيها باعثة جددا . وفي ز :
[جددا] وكانت في ش [جددا] كرواية الأصل ، لكن التنقيط ضرب يثقله على نقطة الحاء فصار
[جددا] بجمع مهمله . وهو ما اختارناه مرجحين أن يكون ما بنقطة الإجماع في الأصل ، من أثر نحو مقصود
وهل الرواية التي اختارناها جاءت طيبة (ب : ١١٢) ثم (ل : ٩٦) !
الحمد : المنوع ، يقال هذا أمر حدد ، أي منوع لا يصل أن يفعل ، وهذا خبر حدد ، أي كاذب
باطل . أما الجدة فهي الأرض الغليظة المستوية .

٢ - المتر : الأصل ، والسرة : وله الرجل بذريته أو عشيرته من معنى .

٣ - كلما في ك ، ش . وفي بقية النسخ : [المتنبيين] .
يقال : انتخب الشيء اصطفاؤه واختاره ، والانتخاب أيضا الاختيار .

٤ - من (ط) : - هـ في ط : [من ساعات الدنيا الفانية] .

٥ - في ش : [الجنة] . - ٧ في ط : [فأسألوها] ، وكانت كذلك في ش ثم هي التفسير .

الأعلام

٥ - فاطمة : الزهراء بنت محمد - صل الله عليه وسلم ، وزوج الإمام علي ، وأم الحسن والحسين ،
وزينب ، رضي الله عنهم ، (الإصابة ١ / ٣٧٧ - الاستيعاب ١٠٥٧) وقد عدّها «ابن سيد الناس»
من الصحابييات الشرايع (منع الملح ١٤٠ مخطوط) .

فلما حان خروجها ضاع الهاتف : أَنْ غَضُوا أَبْصَارَكُمْ يَا أَهْلَ الْمَغْنَمِ
 حتى تُعْبَرَ فاطمة بنتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه [وسلم] . اجتمع من آلِ أبي
 طالب ، خلقٌ كثيرٌ ، من ذُكُورٍ وإناث ، ممن لم يَشْرَبْ خمرًا ، ولا عَرَفَ
 قَطُّ مُنْكَرًا . فلقوها في بعض السبيل ، فلما رأَتهُم قالت : ما بالُ هذه
 الزَّرافَةِ^(۱) ؟ أَلَمْ يَكُنْ حَالُ تَذَكُّرٍ ؟ فقالوا : نحن بخير ، إنا نلُفُّ بِتَحِيزِ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ ، هير أَنَا مَجْبُوسُونَ لِلْكَامَةِ السَّابِقَةِ ، ولا نُريدُ أَنْ نَسْرَعَ إِلَى الْجَنَّةِ
 مِنْ قَبْلِ الْمَقَاتِ ، إِذْ كُنَّا آمَنِينَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّ الْآلِينَ سَبَقَتْ
 لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا وَهَمَّ يَمِينًا أَشْهَبَتْ
 أَنْفُسُهُمْ خَالِدِينَ . لَا يَخَوِّذُهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ
 الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(۲) .

وكان لهم «عل بن الحسين» وأبنائه «مُحمَّد» و «زَيْد» ،

۱- الزرافة : كسابة : الجلبانة من الناس ، يكنى لها فداء الشفرة أو العشرى منهم .

۲- سورة الأنبياء : الآيات ۱۰۱ ، ۱۰۳ . قابل توفيق الآيات في طبعة بيروت (ص ۱۱۴)
 على طبعتها الثالثة ، وتُقل !

الأعلام

• عل بن الحسين ، بن عل بن أبي طالب ، الإمام زين العابدين أمير الحسن - رضي الله
 عنهم - ويقتل له عل الأصغر ، وليس الحسين عقب إلا من زوجته - وهو أحد الأئمة الاثني عشر ،
 ولهُ وسادة بنت يزيد و آخر ملوك فارس . ولد سنة ۳۸ هـ ، وتوفي سنة ۹۴ وقيل سنة ۹۲ بالمدينة .
 ودفن بالبقيع . (جبهة الأنساب : ۴۷ ، خلاصة الطبع : ۱۳۱ ، ابن خلكان ب ۱ / ۴۵۴) .

• محمد ، بن زين العابدين عل بن الحسين . الملقب بالباقر - أحد الأئمة الاثني عشر في
 اعتقاد الإمامية - وهو والد جعفر الساذق ، ولد في سفر سنة ۵۷ هـ وتوفي بين سنتي ۱۱۳ و ۱۱۸ على
 خلاف . ودفن بالبقيع . (البسمة : ۴۷ ، ابن خلكان ب ۱ / ۶۴۲) .

• زيد - بن عل بن الحسين بن عل بن أبي طالب ، أمير الحسين الهاشمي ، روى عن أبيه
 وجده ، وروى عنه جعفر الساذق ، و «عزيم» ، ولد على « هشام » ، فُلِّيَ من جفوة كانت سبباً
 في غريبه عليه - وقد سار إلى الكوفة فقام إليه منبأ شعبة ، حتى ظفر به « يوسف بن عمر النخعي » وقتله
 وصلبه عام ۱۲۶ هـ - وأُدمت عنه قصص قتلت الناس ، فأس « هشام » بإسحاق جنة -
 وإليه تنسب الفرقة الزيدية . (جبهة الأنساب : ۵۰ ، فواتح البقيات ۱ / ۱۶۱ ، تاريخ الطبري) .

وغيرهم من الأبرار الصالحين . ومع فاطمة عليها السلام ، امرأة أخرى
تجربى مجراها في الشرف والجلالة ، فقيل : مَنْ هله ؟ فقيل : «خديجة»
ابنة^(١) خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ومعها شباب على أفراس من نود .
فقيل : مَنْ هؤلاء ؟ فقيل : «عبد الله ، والقاسم ، والطيب ، والطاهر ،
وإبراهيم : بنتو محمد» . صلى الله عليه [وسلم] .

فقال تلك الجماعة التي سألت : هذا ولي من أوليائنا ، قد صحت
توبته . ود ربه أنه من أهل الجنة ؛ وقد توسل بنا إليه . صلى الله
عليه ، في أن يروح من أهوال الموقف ، ويصير إلى الجنة ليتمتع
الفوز . فقالت لأخيه «إبراهيم» صلى الله عليه : دُونَكَ الرجل . فقال لي :
تعلق بركابي . وجعلت تلك الخيل تخطف الناس وتكشف لها الأمام
والأجبال ، فلما عظم الزحام طارت في الهواء ، وأنا متعلق بالركاب ،

الأعلام

• - خديجة : بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، القرشية الأسدية أم المؤمنين الأولى ،
رضي الله عنها . قوليت قبل الهجرة ، ثلاث سنوات . فسيت سنة وفاتها : عام الحزن .
(الاستبصار ٢ / ٧٢٨ ، الإصابة ١ / ٢٧٣ ، السيرة لأبي حنيفة ١ / ٢٠٢) .
• • - بنو محمد صل الله عليه وسلم : ذكر (الفرقان) هنا خمسة ذكور ، وعلق الشارح عليه
في (م) بقوله : «والله كور من أولاد النبي صل الله عليه وسلم ثلاثة : عبد الله والقاسم . وإبراهيم ، أما
الطيب والطاهر فلبنان . . فلعله سهو من أبي الصلاء إذ اشبهت عليه الأسما . بالألقاب ، فعد الذكر خمسة ،
وبل من لا يسهر والمصنعة لله وحده» . ٨١ . ص ٨١ .

وليس في الأمر هنا سهو يظن عه ، فقد اختلفت كتب السيرة والتاريخ في هذا ، ونص هبة
«ابن الأثير» في الحديث من (ذكر عدد أزواج النبي وسرايره وأولاده) : «قولت له خديجة - رضي
الله عنها - ثمانية : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . فأما الذكور
فانوا يوم صغار ، وأما الإناث فبلغن ولكنهن وولدن . . ولم يولد له من غيرها إلا إبراهيم .» ٨١ -
(ج ٢ / ١١٧ ط مصر) وانظر الخلاف في الذكور من أبنائه صل الله عليه وسلم بكتاب (الاستبصار
١ / ٨٠ ط نبعة مصر) وقال ابن حزم في الجمهرة (١٤) : «وكان لرسول الله صل الله عليه وسلم من
الولد : سري إبراهيم : القاسم ، وآخر اختلف في اسمه فقيل الطاهر ، وقيل الطيب ، وقيل عبد الله . .
ماثوا صغاراً جداً» ثم ذكر البنات الأربع : رضي الله عنهن .

فَوَقَفْتُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْإِنْسَانُ ؟ ^(١)]
 أَيْ الْغَرِيبَ . فَقَالَتْ لَهُ : هَذَا رَجُلٌ سَأَلَ فِيهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ - وَسَمْتُ جَمَاعَةً مِنَ
 الْأَعْمَى الطَّاهِرِينَ - فَقَالَ : حَتَّى يُنْظَرَ فِي صِكِّهِ . فَسَأَلَ عَنْ حِكْمِ فَوْجَةٍ فِي
 الدِّيَّانِ الْأَعْظَمِ وَقَدْ نَجِمَ بِالشُّبُوبِ ، فَشَفَّعَ لِي ، فَأُذِنَ لِي فِي الْخُحُولِ .
 وَلَمَّا انصَرَفَتْ « الزَّهْرَاءُ » عَلَيْهَا السَّلَامُ ، تَعَلَّقْتُ بِرِكَابِهِ « إِبْرَاهِيمَ »
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا خَلَعْتُ مِنْ تِلْكَ الطَّمُوشِ ^(٢) ، قِيلَ لِي : هَذَا الصَّرَاطُ فَاهِجٌ عَلَيْهِ .
 فَوَجَدْتُهُ خَالِيًا لَا غَرِيبَ عِنْدَهُ ، فَبَلَّوْتُ نَفْسِي ^(٣) فِي التَّهْوِيرِ فَوَجَدْتُنِي لَا
 أَسْتَحْيِيكَ . فَقَالَتْ « الزَّهْرَاءُ » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا ، لَجَارِيَةٍ مِنْ جَوَارِيهَا : يَا فُلَانَةُ
 أَجْزَيْهِ . فَجَعَلْتُ تُدَارِسُنِي وَأَنَا أَتَسَاقَطُ عَنْ يَمِينِ وَشِمَالِ ، فَقُلْتُ : يَاهِلَهُ ،
 إِنْ أَرَدْتِ سَلَامَتِي فَاسْتَعْمِلِي مَعِيَ قَوْلَ الْقَاتِلِ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ :
 سِتٌ ^(٤) إِنْ أَهْيَاكَ : أَمْرِي فَاسْتَحْيِي رَقُوبَتَهُ ^(٥)

١ - الْأَقْ وَالْأَتَايَ : الْغَرِيبَ ، وَأَصْلُهُ فِي السَّبِيلِ ، يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِكُ . وَتَدْعِيكَ الْأَتَايَ
 فِي (لُؤَادِي) سَجَل (٧/١) بِالْفَتْحِ وَالْقَم .
 ٢ - فِي (الصَّحَاحِ وَالتَّاجِ وَاللَّسَانِ) : الطُّشُّ النَّاسُ ، جَمْعُهُ طُمُوشٌ . فَلَمَّا يَلْقَى الْجَمْعُ
 وَالزَّجَامَ . وَتَدْعِيهِ (الْقَامُوسُ) فِي مَادَّةِ طَشٍ ، لَكِنَّهُ لَشَارَ إِلَيْهِ فِي طَبَشٍ فَقَالَ : الطُّشُّ النَّاسُ ،
 كَالطُّشِ .

وَيَجِبُ مَصْحُوحُ الْقَامُوسِ ، أَنْ يُفْهَلَ الْمَادَّةُ ، لَيْسَ إِلَّا مِنْ قَلَمٍ فَاسِخٍ .
 ٣ - فِي ش : [يَلُوتُ] بَيَاءُ شَتَاءٍ ، وَلَمْ يَجِدْ مِنَ التَّلَاسُخِ .
 ٤ - فِي (الصَّحَاحِ) : وَسَى ، الْمَرْأَةُ ، أَيْ بِمَا سَتَ جِهَاتِي ، أَوْ لَحْنٍ ، وَالصَّوَابُ سَيْفٌ . وَزَادَ
 فِي (التَّاجِ) : كَأَنَّهُ كِتَابَةٌ مِنْ تَحْتِهَا - مَكَذَا تَأْرُلُهُ « ابْنُ الْأَثَرِ » - أَوْ هُوَ لَحْنٌ . كَأَنَّهُ فِي (شَتَاءِ
 الْكَلْبِ) ، عَامِيَةٌ بَطْلَةٌ ، كَذَا قَالَ ، وَالصَّوَابُ : سَيْفٌ .
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَصْلِ : سَيْفٌ ، فَصَلَفَ بِمَعْنَى سُرُوفِ الْكَلِمَةِ ، وَلَهُ نَظَائِرُ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ
 الْحَلْفَ سَمَاءً . انْظُرْ سَلْبِيَةَ الْمَصْحُوحِ : عَلَى الْقَامُوسِ .

٥ - يَرَى سِرَّ - تَشَارِسُ لِيَالٍ - فِي إِشَارَةِ بَيْتٍ جَاءَ إِلَى الْمَشْرِقِ « نِيَكَلُونِ » ، أَنْ هُنَاكَ
 صِلَةٌ بَيْنَ تَقْوِيَةِ وَبَيْنَ الْكَلِمَةِ السَّرْيَانِيَةِ إِلَى تَقَابُلِ : Elevatus, spensus, crucifod . وَيَقُولُ نِيَكَلُونِ
 مَعْنَى : إِنْهَا تَوَدَّى تَمَامًا ، لَمَّا لَمْ يَطْلُبْ :

This gives exactly the meaning required : J. R.A.S., 1902, P. 80.

فَقَالَتْ : وَمَا زَقَّقُونَهُ ؟ قُلْتُ : أَنْ يَطْرَحَ الْإِنْسَانُ يَدَيْهِ عَلَى كَيْفِي
الْآخَرِ ، وَنُصِيكَ الْحَامِلُ^(١) بِيَدَيْهِ وَصَحْلُهُ وَيَطْلُهُ إِلَى ظَهْرِهِ : أَمَا سَمِعْتَ
قَوْلَ « الْجَحْجَجِلِيلِ »^{*} مِنْ أَهْلِ « كَفَرِ طَاب » ؟ :

صَلَحَتْ حَالِي إِلَى الْخَلْفِ حَتَّى صِرْتُ أُنْشَى إِلَى الْوَرَى زَقَّقُونَهُ
فَقَالَتْ^(٢) : مَا سَمِعْتُ بِزَقَّقُونَهُ ، وَلَا الْجَحْجَجِلِيلِ ، وَلَا كَفَرِ طَابَ ، إِلَّا
السَّاعَةَ . فَتَحِيلُنِي وَتَجُوزُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ . فَلَمَّا جُرْتُ ، قَالَتْ « الزُّهْرَاءُ »
عَلَيْهَا السَّلَامُ : قَدْ وَجَّعْنَا لَكَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ ، فَخُذْهَا كَيْ تَخْذُلَكَ فِي الْجَنَانِ .
فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، قَالَ لِي « رِضْوَانُ » : هَلْ مَعَكَ مِنْ جَوَازٍ ؟
فَقُلْتُ : لَا . فَقَالَ : لَا سَبِيلَ لَكَ^(٣) إِلَى الدُّخُولِ إِلَّا بِهُ . فَبَعَلْتُ
بِالْأَمْرِ^(٤) ، وَعَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ دَاخِلٍ ، شَجَرَةٌ صَفْصَافٍ ، فَقُلْتُ : أَعْطِنِي
وَرَقَةً مِنْ هَذِهِ الصَّفْصَافَةِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى الْمَوْقِفِ فَتُحَلَّ عَلَيَّ جَوَازًا . فَقَالَ :

١ - سقطت من ط .

٢ - « هَاتِي » نِكَلَسُونُ ، عَلَى قَوْلِ الْجَارِيَةِ ، بَأَن جِهْلَهُ يَسَارَى جِهْلَهَا تَقْرِيْبًا ، فَلَمْ يَسْعَ نَصْرُ
بِالْجَحْجَجِلِيلِ ، وَلَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَ شَيْعًا عَنْهُ أَوْ عَنْ زَقَّقُونِهِ .

٣ - سقطت من ط .

٤ - « بَلِّ بِلِّ بِلِّ » كَفَرِيح : تَحْيِيرٌ فَلَمْ يَدْرَ مَا يَسْعَ فَهُوَ يَمَلُّ ، وَبَلِّ بِالْأَمْرِ ، إِذَا هِيَ بِهِ .
وَقَدْ نُوَادِرُ أَبِي سَمَلٍ : وَيُقَالُ . . . بَلِّ ، وَدَجَرٌ ، وَارْتِجْ عَلَيْهِ ، وَأَقْفَلْ ، وَأَهْمُ ، وَأَقْمِ ،
يَعْنِي وَاحِدَ (٧٣/١) .

الأعلام

• - الْجَحْجَجِلِيلُ : لَمْ تَعْرِ عَلَيْهِ فَيَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَرَايِجَ ، وَلَمْلَمَ شَاعِرٌ مَسْمُورٌ فِي حَصْرِ التَّنْفَرِاجِ ، أَوْ
قَبْلِهِ .

• • - كَفَرِ طَابَ : بِلْدَةٌ بَيْنَ الْحَمْرَةِ وَبَلْدَةِ حَلَبَ ، فِي بَرِيَّةٍ مَسْطُوحَةٍ لَيْسَ لِأَهْلِهَا شَرْبٌ إِلَّا مَا
يَسْمُونَهُ مِنْ مَاءِ الْأَمْطَارِ فِي الصَّهَارِيجِ ، كَلَذُكَ مَرْفُهَا « يَاتُوت » . وَقَدْ « الْبَكْرَى » : هِيَ مِنْ كَفَرٍ
النَّامِ الْمَشْهُورَةِ .

(يِلْدَانُ يَاتُوت ٤ / ٢٨٩ - مَسِيحُ الْبَكْرَى ٢ / ١٧٩) .

لَا أُخْرِجُ شَيْئاً مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا بِإِذْنِ مَنْ الْعُلَى الْأَعْلَى ، تَعْلَمُ وَيَبَارِكُ .
فَلَمَّا دَجِرْتُ^(١) بِالنَّازِلَةِ ، قُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! لَوْ أَنَّ لِلْأَمِيرِ (وَأَبِي)
السَّرْبِيِّ * خَازِنًا مِثْلَكَ ، مَا وَصَلْتُ أَنَا وَلَا غَيْرِي إِلَى قَرْقُوفٍ مِنْ خِزَانَتِهِ -
وَالْقَرْقُوفُ : الدُّومُ^(٢) .

وَالْتَقَتَ «إِبْرَاهِيمُ» - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - فَرَأَى وَقَدْ تَخَلَّفَتْ عَنْهُ ، فَرَجَعَ
إِلَى فَجَلْبَتِي جَذْبَةً حَصَلَنِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ .
وَكَانَ مُقَامِي فِي الْمَوْقِفِ مَدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ شَهْرِ الْعَاجِلَةِ ، فَلَنَلِكُ بَقِيَّ
عَلَى حِفْظِي مَا نَزَفْتَهُ الْأَهْوَالُ ، وَلَا نَهَكُهُ تَدْقِيقُ الْحَسَابِ .

فَأَيْكُمُ^(٣) «رَاضِي الْإِبِلِ» ؟ فَيَقُولُونَ : هَذَا . فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ «الشَّيْخُ»
وَيَقُولُ : أَرْجُو أَنْ لَا أَجِدَكَ مِثْلَ أَصْحَابِكَ صِغَرًا مِنْ حِفْظِكَ وَغَرَبَتِكَ .
فَيَقُولُ : أَرْجُو ذَلِكَ فَاسْأَلْنِي وَلَا تُطِيلَنَّ . فَيَقُولُ : أَحَقُّ مَا رَوَى عَنْكَ
«يَسِيْبِيَّةٌ» * فِي قَصِيدَتِكَ (الَلَامِيَّةِ) الَّتِي تَمَدَّحُ بِهَا «عَبْدَ الْمَلِكِ بِنْ
مُرْوَانَ» * * * * * مِنْ أَنَاكَ تَنْصِبُ الْجَمَاعَةَ فِي قَوْلِكَ :

- ١- دَجِرَ يَجِرُ دَجْرًا ، كَفَرَحَ : حَارَ ، سَكَرَ ، فَهَرَجَ وَدَجِرَانَ .
- ٢- الْقَرْقُوفُ كَجُسْفَرٍ ، وَالْقَرْقُوفُ كَصَفَرٍ : الدُّومُ الْأَبْيَضُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْخَمْرُ .
- ٣- عَرِدَ إِلَى حَدِيثِ الشَّيْخِ : ابْنِ الْقَارَحِ ، مَعَ عُرْدَانَ نَبَسٍ ، وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي قَطَعَهُ اسْتَطْرَافًا بِقِصَّةِ
الْخَمْرِ ، انْظُرْ (صَلْحَةُ ٢٤٨) .

الأعلام

- - الأمير أبو البرقي : لم نجد له ترجمة فيما لدينا من مراجع ، وواضح من سياق ، أنه
أسد الأحرار في عصر أبي العلاء .
- • - راضِي الْإِبِلِ ، حيد بن الحسين البصري : ص ٢٣٨ . ينحدر شمس القرشي (جسرنا الأنساب ٨١) .
- • • - سيرة : ١٦٢ .
- • • • - حيد الملك بن مروان : بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن حيد شمس القرشي (جسرنا
الأنساب ٨١) ، أبو الوليد . ولد بالمدينة سنة ٢٦ في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وتوفي بالمدينة سنة ٦٥ هـ
وتوفي سنة ٨٦ هـ .
- (الطبري ٨ / ٥٧ - ابن الأثير ٨ / ١٩٨ - ٢ / ١١٣ ، وأعلام الصالحين والثقات) .

أَيَّامَ قَوْمِي وَالْجَمَاعَةِ كَاللَّيْلِ
لَزِمَ الرَّحَالََةَ أَنْ تَمِيلَ مِمْلًا^(١)
فَيَقُولُ : حَتَّى ذَلِكَ .

١ - البيت ، من قصيدة طويلة عندها في (الخزانة) تسعة ومائة بيتاً ، قالها يعلح « عبد الملك بن مروان » ويشكو بعض عماله . ضبط البيت في (طبقات الشعراء - صفحة ١١٨ ط أوروبا) برفع أيام ، ويصر الجماعة . وأشد « سيويه » بالنصب فيها ، حل تقدير إشتهار العمل .
(الخزانة ٣ / ١٣٠ ط السلفية) .

٤- مآءبة فف الءنة

• • •

وَيَبْلُو لَهُ - أَيَدُ اللَّهِ مَجْدُهُ بِالتَّائِيدِ - أَنْ يَصْنَعَ مَأْدِبَةً^(١) ، فِي الْجَنَانِ ،
يَجْمَعُ فِيهَا مَنْ أَتَى مِنْ شُرَاهِ الْخَفَرَةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَالَّذِينَ أَصْلُوا كَلَامَ
الْعَرَبِ ، وَجَمَلُوهُ مَحْضُوطًا فِي الْكُتُبِ ، وَغَيْرَهُمْ مَنْ يَتَأَنَسُ بِقَلِيلِ الْأَدَبِ .
فَيَخْطُرُ لَهُ أَنْ تَكُونَ كَمَا دَبِرَ الدَّارِ الْعَاجِلَةُ ، إِذْ كَانَ الْبَارِيُّ - جَلَّتْ
عَظَمَتُهُ - لَا يُعْجِزُهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِجَمِيعِ الْأَغْرَاضِ ، مِنْ غَيْرِ كُفَّةٍ وَلَا إِنْطَاءٍ .
[فَتَشْتَأُ]^(٢) أَرْحَاءَهُ عَلَى الْكَوْثَرِ ، تُجْمَعُ لِيَطْحَنَ بُرٌّ مِنْ بُرِّ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ
لَأَفْضَلُ مِنْ بُرِّ «الْهَلَلِ»^(٣) الَّذِي قَالَ فِيهِ :

لَا قَرَّ دَرَى إِنْ أَطَقْتُ رَائِدَهُمْ قَرَفَ الْحَيِّ وَعِنْدَى الْبُرِّ مَكْنُوزُ^(٤)
بِمَقْدَارِ تَفَضُّلٍ بِهِ السَّمَاوَاتُ الْأَرْخَمِينَ . فَيَقْتَرَحُ - أَمْنَى الْقَادِرُ لَهُ

١ - بِمَسْأَلَةِ : مِنَ الْأَدَبِ - بِالتَّائِيدِ - أَيْ الْقَدِيمِ . أَمَّا الْمَأْدِبَةُ فَتَنْفَعُ الْعَالَمَ ، فَمِنْ التَّائِيدِ
النَّظَرِ (نَوَادِرُ الْإِسْلَامِ مَجْلَدُ ١ / ٢٧) .

٢ - بِمَسْأَلَةِ : هِيَ الْكَلِمَةُ فِي ك : [فَتَشْتَأُ] . فَيَقْتَرَحُ (ب : ٢٣ ، ل : ١٠٥) .
وَأَرْحَاءَهُ ، وَأَرْحَاءُ ، وَرَيْحِي ، وَرَيْحِي ، بِتَحْتِينِ : هِيَ الْفَالِاسِيَّةُ .
٣ - ن : ط : لا دَرَى إِنْ أَطَقْتُ رَائِدَهُمْ ، وَالْقَرَفُ : يَخْلَعُ الشَّجَرُ ، أَوْ هُوَ مَا يَنْقُشُ مِنْ
الْخَبَرِ وَرَيْحِي فِي التَّنَوُّدِ . - وَالْحَقُّ : سَوْدُ الْمَقْلِ ، يَقِيلُ رَوْحَهُ ، يَقِيلُ بِأَسْفَلِهِ .
وَالْيَتِّ الْهَلَلُ ، الْمُنْتَخَلِ : مِنْ كَلِمَةِ يَتْلَمُ فِيهَا مِنْ صَاحِبِينَ لَهُ أَصْنَافُهُ ثُمَّ لَمْ يَكْمُلُوا - وَرَوَايَةُ (دِيوَانِ
الْهَزَلِيِّ ١٥ / ٢) :

لَا دَرَى إِنْ أَطَقْتُ نَائِلِيكُمْ قَرَفَ الْحَيِّ وَبَعْدَى الْبُرِّ مَكْنُوزُ
وَسَلَامًا رَوَايَةُ الْمَبْرَدِ فِي الْكَامِلِ (رَفِيعَةُ الْإِبْرَةِ ١٦ / ٢٠٤) .

الْأَعْلَامِ

• - الْهَلَلُ : هُوَ مَا تَنْتَحِلُ : مَا لَكَ بَيْنَ حُرُوفِ بَيْنِ حَيَّانٍ ، مِنْ بَيْنِ حَلِيلٍ بَيْنَ مَعْلُومَةٍ
النَّظَرِ (جَهَنَّمُ الْأَنْسَابِ ١٩٧ ، وَدِيوَانُ الْمُتَلَقِّينِ ٢٧ / ١) .

اقتراحه - أنْ تَحْضَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَوَارٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، يَتَمَلَّنَ بِأَرْحَاءِ الْيَدِ :
فَرَحَى مِنْ فَرْوٍ وَرَحَى مِنْ عَسَجِدٍ وَأَرْحَاءٍ لَمْ يَرَّ أَهْلُ الْعَاجِلَةِ شَيْئاً مِنْ شَكْلِ
جَوَاهِرِهِمْ . فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِنَّ حَمِدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مَنَعَ : وَذَكَرَ قَوْلَ الرَّاجِزِ :
أَعَدْتُ لِلضَّيْفِ وَلِلْجِرَانِ حَسْرَتَيْنِ تَتَعَاوَرَانِ^(١)

لَا تَرَأَمَانِ وَهَمًا طِفْرَانِ

١ - كذا في المخطوطات . وقد فسرنا « نيكسين » إلى : [خريتين] بناءً معجمة ! و قد :
[حوريتين] . ولقد نادى : التناوب ساء الحرية فلم يجد من صفات المائدة ما يناسب المقام ، إذ الأخيرة الخليفة ،
والأخرى يبيض النمام ويأوى الضي . ويمكن أن تكون خريتان هنا : معنى حرية ، قصير سراً وهي
الجناب ، والفق ، والناحية - وقد نقلتها هنا (ب ١٢٤) .
وقد يفرض - هل يد - أنها خريتان ، معنى حرية ، مصغر وحى .
ورمى النسي : أسبه وألفه ، ورمت الناقة ولدها : عطفت عليه - والشر : العاطلة هل ولد لغيرها
والمرصعة له : أجمع أظفر وأظفار .
هذا ما انتهى إليه جهدي عند نشر الطبعة الأولى للفقران ، وقد تلقيت بعد نشره محاولات لبعض الزملاء
والدارسين ، في توجيه لفظ خريتين :

(أ) فالأستاذ السيد محمد يوسف ، مدير القبة الأديبة بجامعة القاهرة ، يقول أن تكون [خريتين]
معنى خريئة ، مصغر جرة ، وهي الحجر المنقور لعق الحبوب كما في معجم معجم . وهي تتعلق على أداة
كالهاون ، من قطعي حجر ، إحداهما منقورة ، والأخرى مخروطة . (مجلة الكتاب : يولي ١٩٥١) .
(ب) ولذهب الأستاذ السيد أحمد صقر ، في محاضرة له ألقاها عن تطبيق لنس الفقران ، بأدب
القاهرة عام ١٩٥١ ، إلى أن الكلمة مخروقة عن [خديتين] معنى خديعة ، وهي الجارية المسئلة القوية على السمل .
قال : أراد الرازي أن يصف رضى اليد ، فسلك طريق الكثافة والإلفاظ باستعمال خديتين ، ثم استدرك
فقال إنها لا ترامان ولدا ، ومن مع ذلك فخران تصفان حل الفيف والجيران . ولو كان يريد الحجر ،
لكان قوله لا ترامان وما فخران ، عيباً لا معنى له ، فإن الحجر لا يرام ولا يظفر .
ونقول : بل هذا هو أسلوبهم في الإلفاظ البديهي .

(ج) وعند الأستاذ أحمد راتب موسى التفتاح بدشت ، أنها قد تكون [خريتين] معنى حرية ، نسبة
إلى الحرة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء . ثم أضاف : أو لعل الكلمة إحدى فريجات أبي البلاد التي
أشار إليها « المنشأ » في خطابه في مهرجان للمري فقال : « ولقد أصاب الشيخ وأطاب ، حين ساق
في رسالته وداريته وكتبه الكلمات التريجات ، فجميع فادوات شادرات ، لم فر كثيراً حين في معجم من
المجسات . » اهـ . (مجلة الكتاب : يولي ١٩٥١) .

ونقول : ليس من المنهج أن نسرع بحكم الترابية ، فكل ما جاء به أبو البلاد من ألفاظ تبدو لنا
غريبة ، تولد هو نفسه شرح أكثرها ، والذي تركه منها بلا شرح ، فخرنا عليه في المعام ، إلا كلمات
معدودات يجمل فيها التصحيح .

(د) وإسحاق رابع ذهب إليه الزميل « الدكتور مصطفى كامل الشبي » ، المدرس بآداب بغداد ،
في مقال نشره بمسيلة « البلد » العراقية بتاريخ ١٢/١٢/١٩٦٥ ، وقد رجع فيه أن تكون الكلمة =

يَصِفُ رَحَى الْيَدِ .

ويستعمل^(١) [اليهن] ويقول : اطحن^(٢) شَزْرًا وَيَتَأ^(٣) . فيقول : ما شَزْرٌ وما بَت ؟ فيقول : الشَزْرُ على أمانِكُنْ ، والبَتُ على شائلكُنْ ، أما سمِعتُنْ قولَ القائل ؟ :

وَنُصِبُ بِالْقَلْبِ أَثَرُ ثَوْبٍ وَنُشِيَ بِالْمَشَى طَلَنَفِينَا^(٤)
وَنَطَحَنُ بِالرَّحَى شَزْرًا وَيَتَأ وَلَوْ نَطَحَى الْمَغَاذِلَ مَا حَيَيْنَا

ويقال : إن هذا الشعرَ لَرَجُلٍ أَسِرَ فَكَتَبَ إِلَى قَوْمِهِ بِذَلِكَ .

ويجس^(٥) في صدره - عَمَرَهُ اللَّهُ بالسُّرُورِ - أَرْحَاءَ تَدُورُ فِيهَا الْبَهَائِمُ ، فَيَمَثُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْبَيَوتِ ، فيها أحجارٌ مِنْ جَوَاهِرِ الْجَنَّةِ ، تُدِيرُ بَعْضُهَا جِمَالًا تَسُومُ فِي عِصَاءِ^(٦) الْفِرْدَوْسِ ، وَأَيْتُنُ لَا تَمُطُّ عَلَى الْحَيَرَانِ^(٧) ، وَصَنُوفٌ مِنَ الْبِهَالِ وَالْبَقَرِ وَبَنَاتٌ صَعْدَةٌ^(٨) . فإذا اجتمع من

١- [جرين] بجم مجبة ، بمنى جارين تبادلان غلبة القوم . والجرى في معجم اللغة : الزكيل أو الزيل يمرى في حاجة مرسله أو موكله . وفي (اللسان) عن أبي حاتم : قد يقال للأثر جرية ، وفي قليلة . وكذلك جاء في (الصالح الكثير) : دليل للأمة جارية على الشيب ، بل ربما مستخرة في أفعال سواها . وليست بهذه المعنى ، من جرية ، مؤثت جري .

ويعد هذا التحقيق للمعنى ، جاء السيد نصر الله ، فقبل الكلمة في المتن : [جرين] وليت الأصل . ويسمى بأثر الجري ، أي الزكيل (ل : ١٠٥) |

١- في ط : [ويجس] . ويصحت ك بين الروايين بوضع لفظ [معاً] أنزهها .

٢- في ط : [طحن] بمعينة اللامني . تصحيف .

٣- يقال : طحن بالرحى شَزْرًا ، وهو أن يلعب بالرحى عن يمين ، وطحن بتا ، عن يسار .

٤- البيتان في (تهذيب الألفاظ لابن السكيت) (٦٣٣) غير منسوخين لغائلهما ودوابهما له كرواية للفران . وزاها (اللسان) إلى الصلح في مادة (ثر) . وإلى ريل من بني الحمران في مادة (طلع) . وبيت الثاني مذكور في (الصالح : طلع) إلى ريل من بني الحمران .

يقال : ثر الريل يثر ، ثرا : من وثاقه جسده واسترخى - والطلنح : انفعال الجوف .

٥- في قش [يجس] ، وفي ز ، س ، ا : [يجس] بجماء مهلة .

يقال وييس ييس ، مع ساء غلياً . وكويس : الصورت الخن . والوايس : الهامس .

٦- مات الماشية : خرجت إلى الرعى . والقضاء : كل شجر يظم وله شوك . وأشدته عفة وضافة .

٧- حيران : وأحيرة : جمع حوار ، وهو ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .

٨- بنات صفة ، بالفتح : حمر الوحش ، والنسبة إليها صاعدي ، على غير قياس .

الطَّعْنُ^(١) ما يُظَنُّ أنه كافٍ للمأذبة ، تَفَرَّقَ خَلْمُهُ من الولدانِ الْمُطْلَيْنِ
فجاءوا بالعمارس - وهى الجداء - وضروب الطير التى جرت العادة
بأكلها : كالأجاص^(٢) العكاريم ، وجوازل^(٣) الطلوايس ، والسمن من
دجاج الرخم^(٤) وفراريج^(٥) الخلد . وسبقت البقر والغنم والإبل لتُغَبَطَ^(٦) ،
فارتفع رغاء العكر^(٧) وبعار المعز^(٨) ، وثواج الضأن^(٩) ، وصباح
اللبية ، ليبيان المذبذبة . وذلك كله - بحمد الله - لا ألم فيه ، وإنما هو
جِدٌّ مثل اللعب ، فلا إله إلا الله الذى ابتدع خلقه من غير روية ، وصوره
بلا مثال .

فلذا حَصَلَتْ^(١٠) النعوض فوق الأوقاض ، والأوقاض مثل الأوصام^(١١)
بلغة طين ، قال - زاد الله أمره من النفاذ : أخضروا من فى الجنة من الطهارة
الساكين^(١٢) ، على ممر الأزمان . فتحضر جماعة كثيرة ، فليأمرهم
١ - الطين بالكسر ، والطين : النقي - والسرير : البنى ، قال « أبر بكر » : وعرب الشام
يسكن الحبل حروباً ، قال : وأحب رويلا (المغرب ٢٢٣) .
٢ - ن : ش [أجاص] يؤلف بقية النسخ : [أجاص] جمع بيج بالهم ، وهو فرخ الطائر كما فى
(القاموس) . وقال « ابن دريد » فى (المصنوع) : زعموا ذلك ولا أدري ما مضى - والمكرية : الأنثى
من الحمام .

٣ - الجوازل : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام أو الطلوايس .
٤ - الفراريج : جمع فروج ، وهو فرخ الدجاجة بمائة .
٥ - غبط اللبنة يغطها واحتبطها : لحردا وبى سمينة تبة لا حلة لها .
٦ - العكر : يفتحون : واسمته عكرة ، على مثال بلدة ، وهى التلعة من الإبل .
٧ - البعر : صوت الغنم ، وقيل صوت المعز ، وقيل هو الشهد من أصوات الشاة - وقد يمرت
تبر يمارا - صاحت .

٨ - الثواج : صباح الغنم ، وقد ثلجت لى صاحت .
٩ - ن : ذ [جملت النعوض] .
والنعوض ، والناموس : جمع نحس وهو الهم ، أو المكثز منه ، ويقال : نحس نحاسة ، كثر
له ، فهو نحيس ونعوض .
١٠ - الأوزام : جمع وزم ، غلبة الجزار التى يقطع عليها الهم ، وهو أيضا كل ما بقيت به
الهم من الأرض ، من غشب أو حمير .

بأنقاذ الأملمة ، ولك لذة يَبْهتها الله عزُّ سلطانه ، بدليل قوله تعالى : « وَبِهَا مَا تَشْتَهُوهُ الْآنَفُسُ وَلَذَّةُ الْحَيَاتِ وَأَنْتُمْ فِيهَا غَالِبُونَ . فَبِئْسَ الْبُيُوتُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ »^(١) .
 فإذا آتت الأملمة ، المتروكة غلساته الذين كانتهم اللؤلؤ المكنون ، لإحضار المنعولين ، فلا يتركون في الجنة شاعراً إسلامياً ، ولا مخضرم ، ولا عالماً بشيء من أصناف العلوم ، ولا متأكداً ، إلا أحضره . فيجتمع بعد عظيم - والوجد : الخلق الكثير^(٢) ، قال الشاعر^(٣) :

تَطْلُبُ الْجُودُ بِأَبْوَابِهِ مِنْ الْفُرِّ فِي أَوَامِرِ السِّنْيَا -
 فَتَضَعُ الْحَوْنَ^(٤) مِنَ اللَّعْبِ ، وَالْقَوْلِيَّةَ مِنَ اللَّجَنِ ، وَيَجْلِسُ عَلَيْهَا
 الْإِكْرَادُ ، وَتُنْقَلُ إِلَيْهِمُ الصُّحُفُ ، فَتَقْرَأُ الصَّحْفَةَ لَتَيْهِمْ وَهُمْ يَمِيزُونَ مِمَّا
 ضَمَّتْهُ ، كَقَمَرٍ كَبُورٍ وَسُرَى - وهذا النيران من النجوم .
 فإذا قَصَا الْأَرْبَ مِنَ الطَّعَامِ ، جَاءَتْ السَّقَا بِأَصْنَافِ الْأَشْرَبِ ،
 وَالْمُسِمَعَاتُ بِالْأَصْنَافِ الْمُطَرَّبَةِ .

• • •

ويقول - لا فتى ناطقاً بالصواب - : عَلَى بَعْنٍ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ
 وَالْمُنْتَبِئَاتِ ، مِمَّنْ كَانَ فِي الدَّارِ الْعَاجِلَةِ ، فَقَضِيَّتْ لَهُ الثَّوْبَةُ . فتحضر جماعة
 كثيرة من رجال ونساء : فيهم « الْغَرِيضُ » ، و « مَعْبَدٌ » ، و « ابْنُ

١ - من سورة الزمر ، آيات ٧١ : ٧٣ .

٢ - مراد « ابن السكيت » إلى كعب بن مالك . وروايه في (الجلد ٢٩) لفظ الأمل :
 « قُلْتُ لِبَيْدٍ بِأَذْنَانِ » - والبيد : جمع بَيْد ، وبيد من الناس الجماعة ، ومن الخيل مائة وأكثر .
 ٣ - الخول : جمع خول ، كقرب وكجاب ، وهو ما يركل عليه - وقولاني : جمع قاتور ،
 وهي الخولان من رضام ، والصبيبة من سعد .

الأعلام

• - الغريضة : ص ٢١٢ .

• • - معبد : ص ٢١٤ .

مُسَجِّعٌ ، و «ابنُ سُرَيْجٍ» ، إلى أن يَحْضَرَ إبراهيمُ *** المَوْصِلُ ،
وابنه «إسحاقُ» *** . فيقولُ قائلٌ من الجماعة ، وقد رأى أسرابَ قِيَانٍ قد
حَضَرْنَ يَثَلُ : [بَصْبَصُ^(١) *****] و «دناتيرُ» ***** و «عِنَانُ
*****» : من العَجَبِ أنَّ «الجَرَادَتَيْنِ» في أَقاصِي الجَنَّةِ . فإذا سَمِعَ
ذلك - لا بَرَحَ سَمَعَهُ مطروقاً بما يُبْهِجُهُ - قال : لا بُدَّ من حُضُورِهِما .

١ - في الأصل : [بصيص] وشلها في ث ، ط ، س ، ا .

وَد ز [نصيص] وما أُنْبِتناه رواية ش ، وهي الصواب ، انظر ذيل الأعلام .

الأعلام

• - ابن مسجع : أبو عثان ، صعيد بن مسجع ، موطن بني مسجع ، وقيل إنه موطن بني نوظل بن
الحارث بن عبد المطلب .

مكي أسيد ، من لحول المثنين وأكابرهم . نقل خنا الدبر إلى العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ
أهلان الروم . وهو الذي علم «ابن سريج» والفرهس «الغناء» .

(أغاني الدار ٢٧٦/٣) .

• • - ابن سريج ، الملقب : ص ٢١٤ .

• • • - إبراهيم الموصِل : أصله من فارس . من بيت شريف في الصميم - نزل أبوه «ميون»
بالكوفة في بني هارم ، وولد له بها إبراهيم سنة ١٢٥ هـ . توفي ببغداد سنة ١٨٨ هـ .

وإنما سمي الموصِل لأنه هرب إلى الموصل وهو في حِين أنكر عليه ذروه طلبه لفتاه . وقد أقام بها
سنة فلما عاد قال له إسماعيل من القتيان : مريباً بالموصل .

كان كبير المثنين في عصر الرشيد ، وكان مع الفتاه كاتباً شاعراً خطيباً .

(الأغاني ١٥١/٥ - ابن خلكان ١٣/١)

• • • • - إسحاق الموصِل : أبو محمد ، إسماعيل بن إبراهيم الموصِل - أحد الأدب عن «الأصمعي»
و «أبي مبيدة» وغيرهما ، وتعلم الفتاه فقلب عليه ، ونسب إليه لبراعته فيه ، ولم يكن له فيه نظير . توفي

سنة ٢٣٥ هـ في خلافة الواثق . (الأغاني ٥/ ٢٦٨ ، نزهة الألبا ٢٢٧ ، وأعلام الصالحين والشاهج) .

• • • • • - بصيص : جارية مولدة ، من مولدات البادية ، حلوة الوجه حسنة الفتاه . كانت
مولاة «ليحيى بن نفيس» ، وكان صاحب ثياب ينشاه الأشراف ، ويسمى أغاني جواريه . وقيل إن
«المهلبي» اشتراها منه سرّاً وهو ولد عهد ، يبلغ سبعة عشر ألف دينار . (أغاني بولات ١١٤/١٣) .

• • • • • - دقالبير : مغنية بحسنة و«ليحيى بن خالد» ، اشتهرت بالجمال والظرف ، والأدب
ورواية الشعر ولغتنا . (الأغاني ب : ١٦/ ١٣٦ ، ٥/ ٢٤٨) .

• • • • • - عثان : جارية الناطق . مغنية بحسنة في العصر العباسي . ولها شعر في
المدح والمترنك .

انظر (الرقعة ٢٩ ، الأغاني ب ١٠/ ١٠١ - القهرست ١٦٤) .

فَرَكَبُ بَعْضُ الْخَدَمِ نَاقَةً مِنْ نَوَى الْجَنَّةِ ، وَنَتَمَبُّ إِلَيْهَا حَتَّى بُعِدَ مَكَانَهُمَا ،
فَتَقْبَلَانِ عَلَى تَجْيِيزَيْنِ أَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ اللَّامِعِ . فَإِذَا حَصَلَتَا فِي السَّجْلِسِ ،
حِجَابُهُمَا وَيَسُّ^(١) . هُما وقال : كَيْفَ خَلَصْتُمَا إِلَى دَارِ الرَّحْمَةِ بَعْدَ مَا خَبَطْتُمَا
فِي الضَّلَالِ ؟ فَتَقُولَانِ : قَلِيرَتْ لَنَا التَّوْبَةُ وَتُنَا عَلَى دِينِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ^(٢)
فَيَقُولُ : أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمَا ، أَسَمِعَانَا شَيْئاً مِنْ (الْقَصِيدَةِ الْحَاطِيَةِ) الَّتِي
تُرْوَى لِـ «عَبِيدٍ» مَرَّةً وَلِـ «أَوْسٍ» أُخْرَى^(٣) . - وَمَا سَمِعْنَا قَطُّ بِبَيْدٍ ،
وَلَا أَوْسٍ - فَتُلْهِمَانِ أَنْ تُغْنِيَا بِالْمَطْلُوبِ ، فَتُلَحَّنَانِ :
وَدَعُ لِمَيْسِرٍ . وَدَاعَ الْوَالِيقِ اللَّاحِظِ قَدْ فَتَنَكْتُ فِي فَسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحٍ^(٤)

١ - رَمِ الْكَلِمَةُ فِي الْأَصْلِ بِشَيْءٍ بِكَلِمَةٍ [يُشَرِّ] لِإِعْدَادِ قَوَسِ الشَّيْنِ وَهَذَا انْتَقَلَتْ النُّسخُ فِي الرُّوَايَةِ
فِي ش : [يُشَرِّ هُما] قُوتِ ، ت ، ط : [يُشَرِّ هُما] .

يَقَالُ يَشَرُّ لِقِيٍّ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ طَرَحٌ هـ . وَيَشَرُّ بِالصَّادِ : سَرَّ هـ . وَلِيَّ كِتَابِ الْإِبْدَالِ : الْبِشَاشَةُ
وَالْمُشَاشَةُ الْفُلَادِلُ الَّتِي هِيَ بِالْهَاءِ (٨٨/١) .

٢ - ن ، ت ، ط : [الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلِينَ] .

٣ - الْقَصِيدَةُ الْحَاطِيَةُ مَرْوِيَّةٌ فِي (دِيوَانَ عَمِيدٍ ط لَعْنٌ ص ٧٥) وَهِيَ رَوِيَتْ فِي (شِعْرِاءِ الْبَاطِنِيَّةِ
- النُّصْرَانِيَّةِ : ٤٩٣) مَنْسُوبَةً إِلَى أَوْسٍ بْنِ حَبَرٍ وَانْظُرْ (سَمَطُ اللَّامِ ١/٢٣٩) . وَلِيَّ (الْتِمَاحِ
وَاللَّسَانِ) اسْتِشْبَادُ بَاهِيَّاتِهَا فِي مَوَادِّ مَنْطَرِقَةٍ ، لَمِيدٌ هـ عَنِ الْجَوْهَرِيِّ «وَالْأَوْسُ هـ مِنْ ابْنِ قَتِيْبَةٍ» وَقَالَ فِي
(الْتِمَاحِ ، مَادَّةِ أَسَفٍ) بَعْدَ اسْتِشْبَادِهِ بَيْتٍ مِنَ الْحَاطِيَةِ : هَكَذَا رَوَاهُ اللَّسَانُ حَلَّ الشُّكِّ ، وَهُوَ مُوجِدٌ فِي
دِيوَانِهِمَا . وَاسْتَشْبَدَ أَبُو الْغَلِيْبِ الْفَرَزْدَقِيُّ هـ فِي كِتَابِ الْإِبْدَالِ بَيْتَ مَنْهَا مَصْدَرُاً بِمِثَابَةٍ : قَالَ أَوْسُ بْنُ حَبَرٍ
أَوْ عَمِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ (٤٩١/١) .

وَالْقَصِيدَةُ فِي رِوَايَةِ (الدِّيَوَانِ) تَخْتَلِفُ عَنْ رِوَايَةِ (الْفَرَزْدَقِيِّ) فِي تَرْجِيمِ الْأَيْيَاتِ .

٤ - الْبِشَاشَةُ : الْهَبْ ، وَهِيَ بِمَقْعَةٍ وَهِيَ : أَسْمَةٌ - وَالْوَالِيقُ : الْخَدْمُ - فَتَنَكْتُ فِي الْأَمْرِ
فَتَنَكْتُ : لَجَّ فِيهِ وَأَلْعَجَ ، فَتَنَكْتُ فِي الْأَمْرِ فَتَنَكْتُ : لَجَّ فِيهِ فَتَنَكْتُ .

الأعلام

• - عَمِيدٌ ، بَنُ الْأَبْرَصِ : ص ١٨٧ .

• - أَوْسٌ : بَنُ حَبَرٍ بَنُ مَتَابِ الْأَسَدِيِّ الْقَتِيْبِيِّ (جُمْهُورَةُ الْأَنْشَابِ ٢٠٠) كَانَ فَعْلٌ مَفْرُوحٌ
نَشَأَ الْتَابَتُ وَزَعِيرٌ ، فَأَخْلَاهُ وَوَضَعَهُ ابْنَ سَلَامٍ فِي أَوَّلِ شِعْرِاءِ الطَّبِيقَةِ الثَّانِيَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَوْسَفِ الشِّعْرِاءِ
قُفُوسٍ ، وَالسَّحَابِ ، وَهِيَ سَبَقَ إِلَى وَتَقَرَّرَ الْمَعْنَى فِيهَا .
انْظُرْ فِي دِيوَانِهِ : (الشِّعْرِاءُ وَالشِّعْرَاءُ ٩٩ ، الْمَوْضِعُ مَعْرُوفَانِ ٦٣ ، أَغَانِي بِيْرَاقِ ١٠ / ٩ ، وَشِعْرَاءُ
الصَّاعِلِ وَالْمُتَشَاحِجِ) .

إِذْ تَسْتَبِقُ بِمَضْقُولٍ عَوَاضُهُ
كَأَنَّ رِيْقَتَهَا بِمَدِّ الْكَرَى أَغْبَقَتْ
وَمِنْ مُتَغَشِّعَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا
هَبَّتْ تِلْوَمٌ ، وَلَيْسَتْ سَاعَةَ الْإِلَاحِ
قَاتِلَتِهَا اللَّهُ ، تَلْحَاقِي وَقَدْ عَلِمْتَ
إِنْ أَشْرَبَ الْخَمْرُ أَوْ أَرْزَأَ لَهَا نَمْنًا
وَلَا مَحَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَحْيِيَسَةٍ
فَطَرْبَانٍ مَنْ سَمِعَ ، وَتَسْتَفِيزَانِ الْأَفْئِدَةَ بِالنُّسُورِ . وَيَكْتَرُ حَمْدُ اللَّهِ
- سُبْحَانَهُ - كَمَا أَنْعَمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَابِعِينَ . وَخَلَعْنَاهُمْ مِنْ دَارِ الشَّقْوَةِ إِلَى
مَحَلِّ النِّعَمِ .

وَيَنْعَرِضُ لَهُ - أَدَامَ - اللَّهُ الْجَمَالَ بِبَقَائِهِ ... الشُّوقُ إِلَى نَظَرِ سَحَابٍ
كَالسَحَابِ الَّذِي وَصَفَهُ قَائِلٌ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي قَوْلِهِ :
لَأَنْى أَرَقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِ صَاحٍ لِيُسْتَكِفْ بِعَيْدِ النَّوْمِ لَمَّاحٌ (١)

١ - لغة حشة : قليلة اللحم ، وهو ينحمن .

٢ - المفتح النضر : شربها مشياً ، والمفتح أيضاً : شرب الفيرق ، وهو خمر البشى .

٣ - الروماء : الحفاه .

٤ - هنا تبدأ القصيدة في (الديوان - ط لندن) .

٥ - بهذه في الديوان :

كَانَ الشَّيْبُ يَلْبِيْتَا وَيَهْجِيَا لِمَا وَهَبْنَا وَلَا يَهْتَا بِأَرْسَلِجِ

٦ - يروي الشعر الثالث في (الديوان) :

• وَكَانَ كِسْرَةُ الْكُرْدِ وَصَاحٍ •

الهيئة والمحنة والمهانة : معطف التواضع - والتواضع : صفحة من التولاد تقي من السيف ونحوه ، وهو
أيضاً قرص الشمس .

٧ - لم يرد هذا البيت في (ديوان هيد) . ورواه أبو حل التتلي في أمانيه لبيد :

يَا مَنْ لَبِقَتْ أَيْهَتَ الْفِيلِ أَرْبَعَهُ فِي حَارِثِ كَفَى الصَّبْحِ لَمَحَ

وَانظُرْ (سبط اللؤلؤ : ١ / ٤٣٩) .

قد نمت عني ، ويات البرق يسهرني كما استضاء يهودي بمصباح^(١)
تهدي الجنوب بأولاه وناء به أعجاز مزن يسوق الماء دلاح^(٢)
كلن ريقه لما علا شطبا أقرب أبلق ينفي الخيل رماح^(٣)
كنن فيه عشارا جلة شرفا هوذا مفايل قد حمت بإرشاح^(٤)
دان مسف قويق الأرض هيلبه يكاد يدفعه من قام بالراح^(٥)
فمن ينجزيه . كمن يعقويه والمستكين : كمن ينهي بقرواح^(٦)
وأصبح الزوف والقيان ممرعة ما بين منفتق منه ومنصاح^(٧)
فنيشي الله - تعالت آلاؤه - سحابة كلحسن ما يكون من السحب
من نظل إليها شهد أنه لم ير قط شيئا أحسن منها . مُحَلَّة بالبرق في
وسيطها وأطرافها . تُنطَرُ مياه ورد الجنة من ظل وطش : وتُنشَرُ حصى الكافور
كأنه صغار البرد ، فعز إلها القديم الذي لا يعجزه تصوير الأمانى وتكوين
الهواجس من الشئون

• • •

- ١ - ٢ - البيت الأول : قد نمت عني . أنيف جهاشك ، واعتظمت النسخ في تزييه . ما بهد :
وضع في يد البيت [تهدي] رجأت به النسخ الأخرى قبله . ثم جيء به في (ب ١٢٩ ، أ ١٠٩) .
على ترتيبنا ونسنا في الشعر !
والزن : القطع من السحاب أو ذو المادته - ودلاح : مثل جماته ، من دبح يدبح دلويا ، مشي
بعله متعرجا أشعر ليقب عليه .
٣ - الريق من كل شيء : أوله وأفضله - ولشطب ولشطب ككتف وكأثير ، جبل . ده نسر
(السان) البيت - والأبلق : ما كان في لونه سواد ويبيض .
٤ - العذر : جمع عذراء ، يعني إلى أين حل حملها عشرة أشهر - وإبللة : لينة - والعشر :
الكبار .
٥ - المسف : تشديد القول من الأرض - والهيلب : ما تدلى منه .

- ٦ - ن (عراء التصريفية ٤/ ٤٩٣) : فن يعقوه . ورواية (الديوان وكاتب الإبدال
٤٩١/٢) مثل (الفران) .
النحو : ما ارتفع من الأرض - والمعقوة : الساحة - والقرواح : الهبة للسهل الجرداء .
٧ - (رواية الديوان) : من بين مرتفع منه ومنطاب .
التيبان : جمع قناع وهو الأرض المسلة القربت حيا الجبال والأكام - والشقق : المنرج
والمنصاح : المنشق - والمنصاح : السائل .

وَكَلَّفَتْ فَلِذَا بِ «جِرَانِ الْعَوْدِ التَّيَرِي» ، فَيَحْيِي وَيُرْحَبُ بِهِ . ويقول
لبعض التَّيَّانِ : أَسْمِعْنَا قَوْلَ هَذَا الْمُحِينِ :

حَمَلَنَ جِرَانَ الْعَوْدِ حَتَّى وَضَعْنَهُ بِعَلْيَاءَ فِي أَرْجَانِهَا الْجِنِّ تَعْرِفُ^(١)
وَأَحْسَرَزَنَ مِنَّا كُلَّ حُجْرَةٍ وَمِزْرٍ لَهْنٌ ، وَطَاحَ التَّوْقَلُ الْمَزْخَرُفُ^(٢)
وَقُلْنِ : تَمَتَّعْ لَبَّةَ النَّاسِ هَذِهِ فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ غَدًا أَوْ مُسَبِّفٌ^(٣)

- وهذا البيت يُرَوَّى لـ «سُحَيْمٍ» * - فَنُصِيبُ تِلْكَ الْقَيِّئَةَ وَنُجَيْدُ . فإذا
عَجِبَتِ الْجَمَاعَةُ مِنْ إِحْسَانِهَا وَإِسَابَتِهَا قَالَتْ : أَتَدْرُونَ مَنْ أَنَا ؟ فيقولون :
لَا وَاللَّهِ الْمَحْمُودُ ! فتقول : أَنَا «أُمُّ عَمْرٍو» [التي]^(٤) يقول فيها القائل :

١ - الأبيات من قائلته التي مطلعها :

ذَكَرْتُ الْعِصَا فَأَنْهَيْتُ الْعَيْنَ تَذَرُفُ وَرَاجِمُكَ الشَّوْقَ الَّذِي كُنْتُ تَعْرِفُ

(الديوان صفحة ١٣ : ٢٤ ط دار الكتب)

٢ - ٣ - وضع البيت الأول في (الديوان) بعد الثالث .

وقد روى البيت الثالث في ش ، س ، ز ، ت ، ا : «وقلن تمتع لبلة الناس هذه» وهذا تصحيف
لعل أصله أن ألياء في (ك) تشبیه بالسين .

طاح : سقط - والنزل : شيء من أخل تديره النساء على رؤوسهن تحت الحمار - والرهيم : الشاة
والرم بالحجارة ، واللفن - والمسيب : المفسروب بالسيف .

٤ - في الأصل والخطوط : [التي] ، ويأمنش ش : [التي] مسورة بقلم الشيخ .
فاظفر (ب : ١٣١ ، ل : ١١١) .

الأعلام

٥ - جيران العود : التيمري ، عامر بن الحارث ، اغتطفوا في فنه ، قتل به اهل ، وقيل أموى .
وجيران العود لقب له ، مأخوذة من قوله ، يخاطب امرأته :

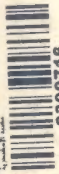
خُذَا حِفْظًا يَا حَتَّى لَوْنِي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ

يريد سوطاً قد من صدر جيل من . وانظر معه البيت ٤٤ من أول قصائده في الديوان . (الشعر
والشعر ٤٥٠ ، ديوانه ط دار الكتب ، وشراء الصاعل والشافع ، وذاكرة الماريف الإسلامية) .

٥ - سحيم ، عبد بن الحساس : ١٣٤

مكتبة جامعة القاهرة
Cairo University Library

Bibliotheca Alexandrina



0300718